الرسول الأعظم ﷺ

وقدره عند الغربيين المنصفين

كتبه

محمد بيومي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : الرسول الأعظم ﷺ
وقدره عند الغربيين المنصفين

المـــــــــؤلف : محمد بيومي

رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميـدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_٥@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

والصلاة والسلام على نبينا محمدﷺ ، الذي قال الله -تعالى- له : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

وبعد

فإن الإنسان لا يصير مؤمنا إلا إذا آمن بجميع أنبياء الله ورسله ، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وبين الله عز وجل أن من كفر بنبي واحد يكون كمن كفر بجميع أنبيائه ورسله ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٥] ونوح عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض ، ولكن لمّا كذّبه قومُه جعلهم الله بمنزلة من كذب جميع الرسل الذين جاؤوا بعده .

والمسلمون يؤمنون بجميع أنبياء الله ورسله ، ويعتقدون أنهم جميعًا صادقون بارّون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير .

وأما اليهود والنصارى ــ إلا قليلاً منهم ــ لا يؤمنون برسولنا محمدﷺ ، ودأبوا على الطعن فيه وفي رسالته ، منذ بعثته وحتى يومنا هذا !!

ولقد صُدِم المسلمون جميعًا عندما قام بابا الفاتيكان (بيندكت السادس عشر) بإلقاء محاضرة في جامعة ريجينسبورج بولاية بافاريا الألمانية بتاريخ ١٢/ ٩/ ٢٠٠٦م، وكان عنوان هذه المحاضرة «الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات» ودار مضمونها حول الخلاف التاريخي والفلسفي بين الإسلام والمسيحية في العلاقة التي يقيمها كل منهما بين الإيمان والعقل .

وقد استشهد البابا بيندكت في هذه المحاضرة بكتاب (حوارات مع مسلم المناظرة السابعة) للإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني (١٣٥٠-١٤٢٥م) ، وفي هذا الكتاب يقول الإمبراطور مانويل لمحاوره المسلم : «أرني ما الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد إلا أشياء شريرة ، وغير إنسانية ، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف!!» .

وإذا كان البابا بيندكت السادس عشر يطعن في رسولنا الكريم بهذه الصورة – وهو المفترض أن يكون متحفظًا في كلامه لحساسية موقعه – فكيف بغيره؟ ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِى صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨] .

وأبلغ رد لدحض افتراءات البابا بيندكت السادس عشر هو ما قاله زميل دراسته عالم اللاهوت الكاثوليكي السويسري المعاصر الدكتور هانز كونج ، الذي كان مستشارًا رسميًا لمجلس الفاتيكان الذي عينه البابا جون الثالث والعشرين في ستينيات القرن الماضي ، وقد أصدر كتابًا بعنوان (الإسلام طريق الأمل) طبعته دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٧م.

وفي هذا الكتاب يقول : «لا يمكن لأحد أن ينكر نبوة محمد بحال من الأحوال ، فهو المرشـــد الحقيقي إلى طريق النجاة ، ولعل الذي ميز حياة الرســـول الخاتم أن ســـيرته وشـــمائله كلها قد حفظها لنا التاريخ ، فليس ثمة غموض في أي ناحية من حياته ، وســـيرته ، وقد اعترف بهذه الحقيقة كبار الباحثين والمؤرخين الغربيين» .

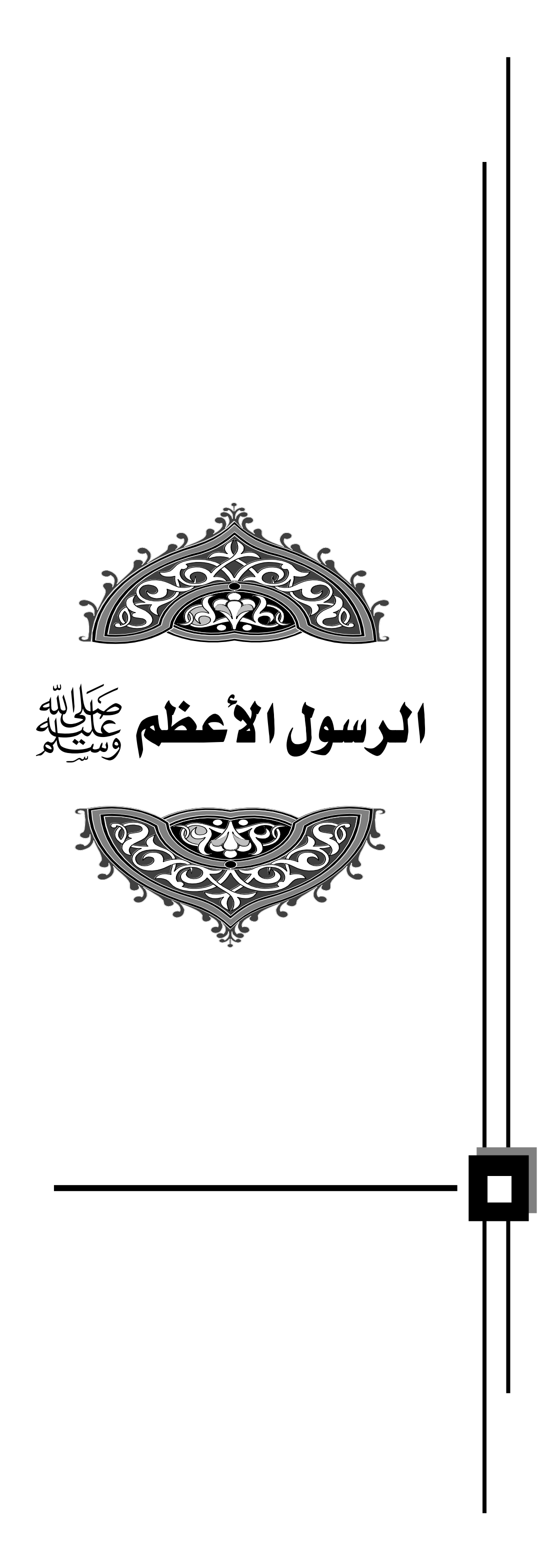
وهذا الكتاب ذكرت فيه مشاهد يسيرة من حياة الرسولﷺ حتى يعرف الناس ــ مؤمنهم وكافرهم ــ مدى عظمة رسولﷺ وقدره عند ربه ، وقد ابتدأت الكتاب بذكر طائفة من أقوال المفكرين الغربيين المنصفين في حق رسولنا الكريمﷺ .

وكتبه

أبو عبد الرحمن / محمد بيومي

مصر ــ المنصورة

الفصل الأول
قدر الرسول ﷺ عند الغربيين المنصفين



عندما يتجرد الإنسان من العصبية والأهواء والأحكام المسبقة ، فإنه يكون منصفًا في أقواله ، حتى لو كان يختلف مع من يحكم عليه في العقيدة والدين ، وهذا ما وقع من بعض الغربيين المنصفين الذين شهدوا لرسولﷺ بهذه الشهادات الآتية، وهؤلاء الغربيين ليسوا من عوام الناس ، بل هم من رواد الفكر ، ومن كبار العلماء والباحثين .

يقول المفكر السويسري «يوهان دي كنبرت» (١٨٣٦ ـــــ ١٩١٢م) في كتابه (محمد والإسلام) : «كلما ازداد الباحث تنقيبًا في الحقائق التاريخية الوثيقة المصادر فيما يخص الشمائل المحمدية ازداد احتقارًا لأعداء محمدﷺ أمثال إنجلز ، وبريدر ، وماركس في آرائه القديمة [١] ، وغيرهم من متعصبي المستشرقين الذين أشرعوا أسنة الطعن في محمدﷺ قبل أن يعرفوه ، ويدرسوا دعوته ، ونسبوا إليه ما لا يجوز أن ينسب إلى رجل عادي فضلاً عن رجل كمحمد الذي يحدثنا التاريخ بأنه سار حسب هداه وإرادته المستمدين من الله».

وقال الكاتب السويسري «مسيمر» (١٨٢٧ ـــــ ١٨٩٨م) في كتابه (العرب في عهد محمد) ترجمة الأستاذ فؤاد بطرس : «إن من تسافه وتطاول وأنكر صدق محمد ﷺ فقد بتّ بهذه المسألة دون أن يحلها ، وحمّل ضميره مسؤولية المكابرة العمياء ، ورمى نفسه في نهاية سيئة ، إذ ليس من وحي الضمير الحر ما يقترفه أولئك المغرضون على محمدﷺ الذي اتصف بكل صفات الكمال» [٢].

ويقول الفيلسـوف والكاتب الإنجليزي المعروف «برناردشـو» (١٨٥٦-١٩٥٠م) في كتابه (محمد) [٣] : «إن أوربا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد ، وبدأت تعيش دينه ، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما أتهمتها بها من أراجيف رجال أوربا في العصور الوسطى» .

ويضـيف قائلاً : «ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول : إن بوادر العصـر الإسـلامي الأوربي قريبة لا محالة ، وإني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسـلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ، ولقاد العالم إلى الخير ، وحلّ مشـاكله على وجه يحقق للعالم كله السـلام والسـعادة المنشـودة ، كما أن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، وإن رجال الدين في القرون الوسـطى ، ونتيجة للجهل أو التعصـب قد ر سموا لدين محمد صورة قاتمة ، ولقد كانوا يعتبرونه عدوًا للمسيحية ، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدته أعجوبة خارقة ، وتو صلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية ، بل يجب أن يُسمى منقذ البشرية ، ولقد در ست محمدًا باعتباره رجلاً مدهشًا ، فرأيته بعيدًا عن مخا صمة المسيح ، وأوربا بدأت في العصـر الراهن تفهم عقيدة التوحيد ، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشـكلاتها بطريقة تجلب السـلام والسـعادة ، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي ، ولذلك فإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، قلنا إن محمدًا رسـول المسـلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات ، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينًا وا ضحًا قويًا ، ا ستطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم ، كما أن التاريخ لم يسجل أن رجلاً واحدًا سوى محمد كان صاحب رسالة وباني أمة ، ومؤسس دولة .

هذه الثلاثة التي قام بها محمدﷺ كانت وحدة متلاحمة ، وكان الدين هو القوة التي توحدها على مدى التاريخ» [٤] .

وقال أيضًا في كتابه «زنجية تبحث عن الله» : «قطع محمد بعد المسيح بستمائة عام خطوة إلى الأمام ضخمة وهائلة بقضائه الرائع على الوثنية الصماء المواتية إلى وحدانية متنورة .

واليوم تحتاج عبقرية محمد إلى إعادة ا ستكشافها والتعرف على طبيعتها ومواطن العظمة بها ... تلك الأمور التي إذا ما و ضعنا يدنا على جوهرها الحقيقي لاستطعنا حل جميع مشاكل العالم الحالية في زمن لا يتعدى احتساء قدح من القهوة» [٥] .

---

(١) لأن كارل ماركس قد رجع عن آرائه القديمة في حق النبيﷺ ، وسيأتي نص ما قاله في آرائه الجديدة .
(٢) نقلاً عن «رسائل إلى سلمان رشدي من كبار مفكري وفلاسفة العالم المسيحي» ، سيد حافظ أبو الفتوح (ص٤٧) .
(٣) هذا الكتاب قد أحرقته السلطات البريطانية قديمًا لخروجه على التقاليد الإنجليزية والتقاليد الخاصة بالكنيسة الإنجيلية وبلاط سان جيمس .
(٤) نقلاً عن «الإسلام في عيون المنصفين» ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (١ / ١٢٠ ــ ١٢٢).
(٥) نقلاً عن «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٥٢) .

ويقول المؤرخ الفرنسي «**جوستاف لوبون**» (١٨٤١-١٩٣م) في كتابه «حضارة العرب» :

«أستطيع أن أجزم بأن محمدًا هو أعظم رجال التاريخ ، وأن القرآن الكريم كتاب عظيم ويحسب لهذا الكتاب أن الأربعة عشر قرنًا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف من أسلوبه الذي لا يزال غضًا كأن عهده بالوجود أمس ولم يكن هذا النبي الجليل داعيًا للآخرة وحدها ، بل أمر أتباعه أن يأخذوا نصيبهم من الحياة» .

ويقول : «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا مع أن التعصب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله » [٦].

ويقول في كتابه «التمدن الإسلامي» صفحة (٦٧) وما بعدها : «إنني لا أدعو إلى بدعة مستحدثة ، ولا إلى ضلالة مستهجنة ، بل إلى دين عربي قويم ، أوحاه الله إلى نبيه محمد ، فكان أمينًا على بث دعوته بين قبائل رُحَّل ، تاهت وغرقت في عبادة الحجارة الصماء ...وتلذذت بترهات الجاهلية ، فجمع صفوفهم بعد أن كانت مبعثرة ... ووحَّد كلمتهم بعد أن كانت متفرقة ، ووجّه أنظارهم لعبادة الخالق الواحد .. فكان محمد بذلك كله خيرًا للبشرية على الإطلاق حسبًا ونسبًا وزعامة ونبوة .

هذا هو محمد الذي يعتنق شريعة أربعمائة مليون مسلم اليوم [٧]منتشرين في أرجاء المعمورة يرتلون قرآنًا عربيًا مبينًا .

فرسول كهذا جدير باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق دعوته إذ أنها دعوة شريفة قوامها معرفة الخالق والحث على الخير والردع عن المنكر ، بل كل ما جاء به يرمي إلى الصلاح والإصلاح .. والصلاح أنشودة المؤمن وهو الذي أدعو إليه جميع من أكتب إليهم ومن أجلهم» [٨] .

ويقول المستشرق الألماني «تيودور نو لدكه»[٩] في كتابه «تاريخ النص القرآني» (ص٨٣) : «نزل القرآن على محمدﷺ نبي المسلمين ، بل نبي العالم ، لأنه جاء بدين إلى العالم عظيم ، وشريعة كلها آداب وتعاليم ، وحريٌ بنا أن ننصف محمدًا في الحديث عنه ، لأننا لم نعلم عنه إلا كل صفات الكمال ، فكان جديرًا بالتقدير والاحترام» [١٠] .

ويقول في كتابه (حياة محمد) : «ولكي يكون المرء منصفًا لمحمد فإنه يتحتم عليه أن ينظر إليه في حياته ليس فقط بوصفه نبيًا وواعظًا وأميرًا ، بل ينظر إليه أيضًا في تعامله مع أتباعه وأصدقائه ، وفي حياته اليومية ، فهناك ملامح ثابتة لا تحصى تظهره هنا في ضوء جميل.. وأنه كان يتحلى بشمائل على أقصى درجة من النبل ، وأنه هو نفسه كان مقتنعًا بمهمته لإنقاذ إخوانه في الإنسانية من العذاب الأبدي عن طريق هدايتهم إلى العقيدة الصحيحة ، ولجعلهم مشاركين في السعادة السماوية».

ويقول الأديب السويسري «جو وانتبورت» في كتابه «محمد والقرآن» : «بقدر ما نرى محمدًا في صفاته الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية بقدر ما نرى من ضعف البرهان والحجة وسقوط الأدلة المؤيدة لأقوال الهجو والطعن الذميم الذي اندفع على شخصه وعلى دينه الذي دعا إليه .. وظهر ضعف موقف وكذب المغرضين والجاهلين بحقيقة محمد ومكانته الرفيعة .. ذلك الرجل العظيم عند كل من درس صفاته القديرة .. كيف لا وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه ويحملنا حملاً على احترامه»[١١] .

---

(٦) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٣٧) .

(٧) هذا التعداد حسب تقدير الكاتب سنة ١٩٢٨م .

(٨) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٤٥ ــ ٤٦) .

(٩) ولد نولدكه سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٣٠م ، وقد نال شهادة الدكتوراة على رسالته (أصل وتركيب سور القرآن) .

(١٠) المصدر السابق (ص١٠٠) .

(١١) المصدر السابق (ص٣٥) .

أما «الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كارليل» [١٢] (١٧٩٥-١٨٨١م) الحائز على جائزة نوبل ، فقد عقد في كتابه «الأبطال وعبادة البطولة» فصلاً لنبي الإسلام بعنوان« البطل في صورة رسول : محمد ــــــ الإسلام» ، عدَّ فيه النبي واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ ، وقد ردَّ كارليل مزاعم المتعصبين حول النبي فقال : «يزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمدًا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر

الجاه والسلطان . كلا وألف كلا ، لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتورد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجا وإربة ونهى ، أفكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك النفس صامتة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين» .

ويقول أيضًا : «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن دين الإ سلام كذب ، وأن محمدًا خدّاع مزوّر ، وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيدًا ، كريمًا ، برًّا ، رؤوفًا ، تقيًا ، فاضلاً ، حراً ، رجلاً شديد الجد ، مخلصًا ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس، بل ربما ما زح وداعب ، ولقد كان عادلاً ، صادق النية ، ذكي اللب ، شهم الفؤاد ، لوذعيًا ، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم ، ممتلئًا نورًا ، رجلاً عظيمًا بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذّبه معلم ، وهو غني عن ذلك» .

وبعد أن أفاض كارليل في إنصــاف النبي محمد ختم حديثه بهذه الكلمات : «هكذا تكون العظمة ، هكذا تكون البطولة ، هكذا تكون العبقرية» [١٣] .

وقال أيضًا : «إنما محمد شهاب قد أضاء العالم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» [١٤] .

«أما العالم الفلكي الرياضي ما يكل هارت» في كتابه «العظماء مائة» ، قد جعل على رأس المائة سيدنا محمدًا ﷺ ، وهو يرد نجاح النبيﷺ في نشر دعوته ، وسرعة انتشار الإسلام في الأرض إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام فيقول : «لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة .. لأن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي ، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات ، وأصبح قائدًا سياسيًا وعسكريًا ودينيًا ، وبعد ١٤ قرنًا من وفاته ، فإن أثر محمد عليه الصلاة والسلام ما يزال قويًا متجددًا. وقال : «ولمّا كان رسول الله قوة جبارة لا يستهان بها فيمكن أن يقال أيضًا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ» [١٥] .

«أما الروائي الروسي الفيلسوف الكبير« تولستوي»(١٨٢٨-١٩١٠م) الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق ، فقد انبهر بشخصية النبي وظهر ذلك وا ضحًا على أعماله ، فيقول في مقالة له بعنوان (من هو محمد؟) : «إن محمدًا هو مؤ سس ور سول ، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخرًا أنه أهدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ، وأنه خلّص هذه الأمة الذليلة الدموية من مخالب شياطين العادات الذميمة ومن سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شــخص أوتى قوة ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال ، وفي رأي أن شــريعة محمد ســتســود العالم لانســجامها مع العقل والحكمة» .

وبعد أن يتعرض بالتحليل والتفسير لعظمة نبي الإ سلام ونبوته وتعاليمه السامية ، يقول : «وإني لأحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع» [١٦] .

---

(١٢) يقال إنه أكثر عقل ولدته بريطانيا بعد شكسبير .
(١٣) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٢٣ ــ ١٢٤) .
(١٤) المصدر السابق (١ / ١٤١) .
(١٥) المصدر السابق (١ / ١٢٠) .
(١٦) المصدر السابق (١ / ١٢٥) .

ويقول «المستشرق الأمريكي إدوارد رمسي : «جاء محمد للعالم بر سالة الواحد القدير ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كما يقول بالفعل ، فبزغ مخبر جديد كان يرى في الأفق، وفي اليوم الذي أعادت فيه يد المصـلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية أتى الوحي من عند الله إلى رسول كريم ، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة ، فانتبه العرب ، وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان العبودية» (١٧) .

ويقول المستشرق الفرنسي «رينيه» في كتاب (حياة محمد) :

«الإسـلام دين سـماوي لا محالة ، ورسـوله محمد أعظم من أنجبت البشـرية ، فهو بدعوته أحدث أموراً في العالم تعجز العقول عن فهمها وكنه معناها» (١٨) .

ويقول المستشرق النمساوي «جوزيف فون هامر» في كتاب «تاريخ الشرق وآدابه» : «من ضيق الأفق والظلم الفادح دمغ الإسلام ونبيه بأمور لم يعد يستسيغها إنسان ، فالرجل البسيط الذي استطاع إعادة بناء تاريخ العالم المعروف في عصره جدير بكل احترام ويجب تمحيص دعوته بحياد» (١٩) .

ويقول المستشرق النمساوي «جوزيف أو برمان» (١٨٨٤ ــ ١٩٥٦م) في كتابه «مهد الإسلام» : «الإسلام هو النظام المثالي الفريد الذي يحتاج إليه العالم في عصرنا الحاضر ، ومحمدﷺ أعظم المصلحين ، ومقدرته الخارقة في تقويم قومه وتهذيب أخلاقهم وتحويلهم من رعاة فظاظ الطبع إلى رجال يصنعوا التاريخ ما أحوجنا اليوم لأن يكون بيننا أو حتى نفتري بوصاياه وتعاليمه.

إن سر عظمة محمدﷺ من أشق الأمور على الدارس أو الباحث ، لأن نبوغه من النوع المركب الغريب ، فهو بحق أول من أنهى التفرقة العنصرية في قول بسيط شامل : **«المسلم أخو المسلم»** لقد حلَّ القضية في ثلاث كلمات ، أما اليوم فمشكلة التفرقة العنصرية انعقدت بشأنها عشرات المؤتمرات ، ومئات الكتب ظهرت لعلاجها دون جدوى ، ويقيني أن الحل لن يأتي إلا في القرن القادم، ولكنَّ محمدًا حلَّها منذ ثلاثة عشر قرنًا» (٢٠) .

ويقول الدكتور شبرك النمساوي المؤرخ والأديب : «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع ، سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته» (٢١) .

ويقول القس الفرنسي « لوزان» في كتابه «الله في السماء» : «ما أعظم محمدًا ﷺ حينما وقف أمام كل صنم من الأ صنام الموجودة بحرم الكعبة يوم فتح مكة ليضربها بعصاه ويقول : **«جاء الحق»** ثم يهوي به إلى الأرض تحت قدميه .

إن محمدًا ليس نبيًا للعرب وحدهم ، لأنه أفضل نبي قال بوحدانية الله ، وبرغم أن دين مو سى من الأديان التي أ سا سها الوحدانية ، إلا أنه كان قوميًا محضًا وخاصًّا ببني إسرائيل .

أما محمدﷺ فقد نشر عقيدته بقاعدتين رئيستين : الوحدانية والبعث .

وأعلن ذلك لعموم البشر في أنحاء المعمورة ، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلاً عند من عنده إدراك وحس سوى .

وإن هذا الأمر جدير بالاتباع والمبادرة إلى اعتناق دعوته لشرف مقصده ... وإني أدعو إليه جميع النصارى لو كان عندهم إنصاف وعدل» (٢٢) .

(١٧) المصدر السابق (١ / ١٢٦) .
(١٨) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١٣٥) .
(١٩) المصدر السابق (ص١٣٧) .
(٢٠) المصدر السابق (ص١٣٨ ــ ١٣٩) .
(٢١) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٣٦) .
(٢٢) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٨٨ ــ ٨٩) .

ويقول الفيلسوف والشاعر الفرنسي «لامارتين» [٢٣] في دفاعه الشديد عن اقتناعه بعظمة الرسول:

«إن ثبات محمد وبقاءه ثلاثة عشرة عامًا يدعو في وسط أعدائه في قلب مكة ونواحيها ، ومجامع أهلها ، وإن شهامته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان ، وإن حميته في نشر رسالته ، وإن حروبه التي كان جيشه فيها أقل من جيش عدوه ، وإن تطلعه في إعلاء الكلمة ، وتأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدول وإنشاء الإمبراطورية ، كل ذلك أدلة على أن محمدًا كان وراءه يقين في قلبه وعقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة حطمت آلهة كاذبة ، ونكسـت معبودات باطلة ، وفتحت طريقًا جديدًا للفكر في أحوال الناس ، ومهدت سبيلاً للنظر في شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر، ورائد الإنسان إلى العقل ، وناشر العقائد المحررة للإنسان ، ومؤسس دين لا وثنية فيه ، كما أنه يعتبر أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية وأدركت ما فيها من عظمة وخلود ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد ؟ ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه ، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسـان ؟ إن سـلوكه عند النصـر وطموحه الذي كان مكرسًا لتبلغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي ، هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة ، إنه الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور ، لقد هدم هذا الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق ، وإذا كانت الضوابط التي تقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًّا من عظماء البشرية بنبي الإسلام في عبقريته ؟ ... وبالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل : هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ؟» [٢٤] .

«أما السير وليام موير [٢٥] المؤرخ الإنجليزي فيقول في كتابه (حياة محمد) : «إن محمدًا نبي المسلمين لُقِّب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمي من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم .

ومن صفاته الجديرة بالتنويه والإجلال : الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأنًا ، فالتواضع والرأفة والإنسانية وإنكار الذات والسماحة والإخاء تغلغلت في نفسه ووثقت به محبة كل من حوله ، لقد امتاز محمد عليه الصلاة والسلام بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد» [٢٦] .

ويقول في صفحة (٤٢ ، ٤٣) : «إن الذين دونوا سيرة الرسول قد ذكروا علامات كثيرة تدل على نبوته المنتظرة ، ومنها نبوءة ذلك الراهب بحيرا ... إن محمدًا كان في نفسه عظيمًا وفي رسالته عظيمًا وماعسى أن نتحدث في سيرة لرجل خلق أمة [٢٧] مترامية بعد أن كانت خاملة عن كل مجد ، وإذا بها ذات كيان عظيم» [٢٨] .

ويقول «جوته» الأديب والفيلسوف الألماني الأشهر على الإطلاق :

«إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصـل بعد إلى ما وصـل إليه محمد ، وسـوف لا يتقدم عليه أحد ، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو ، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد» [٢٩] .

---

(٢٣) لامارتين ماري لوي دي ، ولد سنة ١٧٩٠ ، وتوفي سنة ١٨٦٩ م، شغل مناصب سياسية كثيرة وأصبح رئيسًا للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير . وقد ألف أفضل كتاب عرفه الغرب بعنوان (محمد) .

(٢٤) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٢٦ ــ ١٢٨) .

(٢٥) ولد سنة ١٨١٩ ، وتوفي سنة ١٩٠٥ ، وهو من المتعصبين ضد الإسلام ، ولم يمنعه تعصبه من قول الحق في نبيناﷺ .

(٢٦) المصدر السابق (١ / ١٣٠ ــ ١٣١) .

(٢٧) أي أن الله أحيا به الأمة .

(٢٨) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٩٩) .

(٢٩) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٢٤) .

ويقول المستشرق الألماني «فرد ريك ديترتشي» في كتابه «مقولات لأرسطو» : «إننا لو أنصفنا الإسلام لا تبعنا ما عنده من تعاليم وأحكام ، لأن الكثير منها ليس في غيره ... وقد زاده محمد نموًا وعظمة بحسن عنايته وعظيم إرادته ...

ويظهر من محمد أن دعوته لهذا الدين لم تكن إلا عن سبب سماوي ... إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادى به ، وإن من يتهم محمدًا بالكذب فليتهم نفسه بالوهن والبلادة وعدم الوقوف على ما صدع به من حقائق ساطعة» (٣٠) .

ويقول المفكر والأديب الفرنسي «إميل درمجنهام» (١٧٩٠ ــ ١٨٥٧م) في مقدمة كتابه «حياة محمد» : «لا يوجد واحد في الدنيا يمكنه أن ينكر عظمة محمد ﷺ ، ولكن وجد من ينكر بعض ما جاء في سيرته في الكتب العربية ... ومن الناس من يتجاوز الحد في النقد والاعتراض ... حتى يقع في ظلم نفسه .

أما أنا فقد جعلت كتابي هذا سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الأصيلة بدون إهمال جميع ما وصلت إليه من تدقيقات المتخصصين المحايدين في هذا الموضوع خاصة الأزمنة المتأخرة .

وقد أردت أن أمثل لمحمدﷺ صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة كما فهمته من الكتب التي قرأتها وأمعنت النظر فيها .. ومن مشافهة الأحياء من المسلمين ...

فإذا كانت كل حياة بشرية تنطوي على تعاليم ، وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق فكم يكون مؤثرًا ومفيدًا التلاقي مع رجل عظيم من الرجال العظماء ... الذي يُقتدي به في جانب كبير من الإنسانية» .

وفي صفحة (٨٣) يقول **إميل درمنجهام** : «إن بعضهم يعيب محمدًاﷺ في كثيرة ميله إلى النساء **!!** ، وتلك والله فرية سخيفة أشعر بالغثيان الشديد تجاهها لأنها لا تصدر إلا عن فكر أسود حاقد .

فالذي لا شك فيه أن محمدًاﷺ لم يكن شرهًا ولا فخورًا ولا متعصبًا ولا منقادًا لمطامع أو شهوات ، بل كان رقيق القلب ، عظيم الإنسانية ... بشوشًا دمث الأخلاق ، حسن المعاشرة ، بسيطًا في حياته ، يكنس غرفته بنفسه ، ويصلح ثيابه ، ويجدد نعله بيده ، ويحلب شياهه ، ويضجع على الأرض ، وينهض فيفتح الباب من أجل هرة تريد أن تدخل ... ويمسح بردائه عرق جواده ، ويوزع الصدقات .. ويتجنب كل شيء يظهر فيه بمظهر دنيوي ، وكان يمنع الناس أن يجعلوه سيدًا ... بعد كل هذه الصفات لا يمكن لمنصف أن يميل للطعن في محمدﷺ ، لأن كل من طعن في محمدﷺ كان دافعه ميلاً في نفسه وضميره ... ولم يتحر الطريق القويم في بحثه وكتاباته» (٣١) .

وقال في صفحة (٣١٨) : «ولد لمحمدﷺ من مارية القبطية ابنه إبراهيم ومات طفلاً ، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه ، ووافق موته كسوف الشمس ، فقال المسلمون إنها انكسفت لموته ، ولكن محمدًاﷺ كان من سمو النفس ما رأي به رد ذلك فقال : **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد»** ... فقولٌ مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال» (٣٢) .

ويقول الفيلسوف الألماني «كارل ماركس» ــ كارل ماركس مؤلف كتاب «رأس المال» ، واضع البيان الشيوعي العالمي ، وقد حارب الأديان جميعها في مؤلفاته ونظريته الشيوعية ... وفي أخريات أيامه بحث في الدين الإسلامي وتاريخه وشرائعه وانبهر بما فيه من مقومات تكفل الحياة الشريفة والكريمة للبشر أجمعين ، وفي تصوري الشخصي أن حياة ماركس لو امتدت به لكان تحول تحولاً مذهلاً في فكره ومعتقداته السياسية ، ولكان أول هادم لنظرياته وفلسفته ، ويؤيد كلامي ما جاء في آخر مؤلفاته كتاب «الحياة» قوله : «إن الرجل العربي الذي أدرك قصور المسيحية واليهودية وقام بمهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام يعبدون الأصنام ، ويدعوهم إلى التوحيد ، ويزرع فيهم أبدية الروح وخلودها .. ليس من حقه أن يُعدَّ بين صفوف

---

(٣٠) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١٠٧) .
(٣١) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٨٢ ــ ٨٣) .
(٣٢) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٤٣) .

رجال التاريخ العظام فحسب ، بل جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوته وأنه رسول من السماء إلى الأرض» [٣٣] «هذا النبي افتتح برسالته عصرًا للعلم والنور والمعرفة ، حرى أن تدون أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصـــة ، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكمًا من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير» [٣٤].

ويقول المستشرق البلجيكي الدكتور دوسين ــ في بحثه «الحياة والشرائع» ــ : «ليس يزعم اليوم أحد أن محمدًا ﷺ راح يزوِّر دينًا ، أو أنه كاذب في دعواه ، أو أفاك في رسالته ... إن من يعرف محمدًا ويدرس سيرته بتفكير علمي ويستوعب ما يتمتع به دينه من تشريعات تصلح أن تظل من الزمن مهما طال لا يملك إلا أن يحترمه ويقدره .

وكل من يكتب عن محمد ودينه ما لا يجوز فإنما هو من قلة التدبير ... وضعف الاطلاع وامتهان للمنهج العلمي المحايد» [٣٥] .

يقول المستشرق الفرنسي «ماكس فاينان» (١٨٤٦ ــ ١٩٣١م)

«إن محمدًا من أكبر مريدي الخير للإنســانية ، إن ظهور محمد للعالم أجمع إنما هو أثر عقل راجح، ولو افتخرت آســيا بأبنائها فحقيق لها أن تفخر بهذا الرجل العظيم ...

إن من الظلم الفادح أن ننال من حق محمد أو نتهاون في وضـــعه بمكانته اللائقة به ، فقد جاء إلى بلاد العرب وهم على ما علمناه من الحقد البغيض قبل بعثه ، ثم تحولت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد الجهر بدعوته ...

وبالجملة فمهما ازداد المرء اطلاعًا على سيرة محمدﷺ ودعوته فلن يلم بالجوانب المضيئة الخفية في تاريخه ... إنه لا يجوز أن ينسب إلى محمدﷺ ما ينقصه... وعلى المنصف أولاً أن يدرك أسباب إعجاب الملايين بهذا الرجل ويعلم سبب محبتهم إياه وتعظيمهم له » [٣٦] .

ويقول المفكر الإنجليزي « سنكس» (١٨٣٧ ــــــ ١٩١٤م) في «المجلة الروحية» عدد يوليو ١٩٠٣م ، وفي مقال تحت عنوان «محمد» يقول سنكس : «ظهر محمد بعد المسيح ، وكانت وظيفته ترقية العقل البشري وإشرابه الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة وإرجاعها للمنابع الصافية ، وذلك بالاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة ... إن ديانة الإسلام أحدثت رقيًّا كبيرًا جدًا في الفكرة الدينية في العالم ، لقد خلّصت العقل البشرى من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان ذوي الصبغ الدينية المختلفة ...

إن تعاليم محمد أكبر وأعمق من إدراك الإنسان لمعنى الدين ومقوماته ... وتعاليمه في العلاقات التي يجب أن تكون بين المرء وخالقه هي أكثر التعاليم انطباقًا على نواميس الطبيعة وقوانين العقل الإنساني ... وإن الدين الذي يدعو إليه إنما هو دين واضح لا غموض فيه ولا ألغاز» [٣٧] .

ويقول الكونت «كا تياني» في كتابه (تاريخ الإسلام) : «أليس الرسول محمد جديرًا بأن تُقدّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام ؟! ، وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفى الغليل» [٣٨] .

---

(٣٣) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٣٦) .
(٣٤) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٣٩ ــ ١٤٠) .
(٣٥) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٣٣) .
(٣٦) المصدر السابق (ص٧٩ ــ ٨٠) .
(٣٧) المصدر السابق (ص١٠١) .
(٣٨) «الإسلام في عيون المنصفين» (ص١٣٢) .

وأما الراهبة الإنجليزية (**كارين أرمسـترونج**)[٣٩]: فتقول في كتابها (سـيرة النبي محمد) : «إن أحدًا من أعداء محمد – مع فرط خصـومتهم وعداوتهم وعنادهم – لم يتهمه بتزييف الوحي ، حتى إن عُتبة – ألد المشـركين عداوة – لم يملك إلا أن يصـيح في قومه محذرًا ، وهو يقول : والله إني قد سمعتُ قوله ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم».

ثم ختمت كتابها بقولها : «إنني أدعو العقلاء أولاً إلى ضرورة إعادة النظر في الدين الإسلامي ، ورد الاعتبار لرسوله الأمين ، الذي قضى حياته كلها لهداية البشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهداية ، ومن سوء العاقبة إلى النعيم الأبدي الذي لا يبلى وهو رضوان الله في جنات النعيم ، وعلى العقلاء أن ينبهوا الجهلاء والمغرورين الجاحدين ، كي يفيقوا من غفلتهم ليروا النهار نهارًا ، والليل ليلاً».

ويقول المستشرق والمؤرخ الألماني الدكتور «هنري ريتير» في بحث له منشور بمجلة «الإسلام» : «دين محمد قد أكّد إذن منذ الساعة الأولى لظهوره وفي حياة النبي أنه دين عام للبشر ، وصالح لكل جنس وبالضرورة يناسب كل عقل» .

وفي ختام بحثه يقول د / ريتير : «إليك يا محمد وأنا الخادم الحقير أقدم إجلالي بخضوع وتكريم ، وإليك أطأطئ رأسي ، إنك لنبي حق من الله ، قوتك العظيمة كانت مستمدة من عالم الغيب الأزلي الأبدي» [٤٠] .

ويقول الباحث الفرنسي «كليمان هوارت» : «لم يكن محمدًا نبيًّا عاديًّا ، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء ، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عاديًا من يقسم أنه **«لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها»** ، ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلمًا» [٤١] .

ويقول القس «مونتجومري وات » (١٩٠٩–٢٠٠٧م) في كتابه (محمد في مكة) : «إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السـامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سـيدًا وقائدًا لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه ، فافتراض أن محمدًا مدعٍ افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها . بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد» [٤٢] .

ويقول المسـتشـرق والمفكر الإنجليزي «إدوارد هنري بالمر» في مقدمة كتاب (ترجمة القرآن) : «لقد جاء محمد بمبادئ عظيمة للعالم ، أما دينه فلو أنصفت البشرية لاتخذته لها عقيدة ومنهاجًا تسير على ضوئه ... فقد كان محمد عظيمًا في أخلاقه وتكوينه ، عظيمًا في دينه وشرائعه .

وإنني لا أبالغ إذا قلت : إن شريعته تحمل للناس تعاليم ونظم وقوانين ليس في غيرها مما سبق مثيل لها» [٤٣] .

ويقول الدكتور «زويمر» المستشرق الكندي في كتابه (الشرق وعاداته) : «إن محمدًا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا ، وبليغًا فصيحًا ، وجريئًا مغوارًا ، ومفكرًا عظيمًا ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء» [٤٤] .

---

(٣٩) هي باحثة في تاريخ الأديان ، ألفت عددًا من الكتب عن الإسلام مثل كتاب (القدس ومحمد) و(أشعار في العشق الإلهي) و(الحروب الصليبية) و(مسيرة النبي محمد) و(محمد نبي هذا العصر) ، والكتابان الأخيران ترجما إلى العربية .

(٤٠) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص٧٠ ــ ٧١) .

(٤١) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٣٣) .

(٤٢) المصدر السابق (١ / ١٣٤) .

(٤٣) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١١٠) .

(٤٤) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٣٥) .

ويقول المستشرق الفرنسي الدكتور «وايل» (١٨١٨ ـــ ١٨٨٩م) في كتابه «تاريخ الخلفاء» : «إن محمدًا يستحق كل إعجابنا وتقديرنا كمصلح عظيم ، بل يستحق لقب نبي بكل جدارة ، ويجب ألا نصغي إلى أقوال المغرضين وآراء المتعصبين ، فإن محمدًا عظيم في دينه ، وفي شخصيته ، وكل من تحامل عليه فقد جهله وغمطه حقه» (٤٥) .

ويقول المستشرق الفرنسي «بار سانت هيلر» في كتابه «خواطر شرقية» : «من العجيب حقًا أن نتطاول اليوم على محمد وعلى دينه ... والأعجب تلك النظرة الحمقاء التي نرى من خلالها المسلمين .. ولقد نسينا أن العلوم التي نباهي بها اليوم على الشرقيين هي نتاج تطور العلوم التي ألّفها أجدادهم الذين ساروا على نهج محمد بحرفية دقيقة فأنبتوا لنا نبت الحضارة التي نقطف ثمارها الآن ...

ومن الشرف والوفاء الأخذ بيدهم ... والشعور بالامتنان نحو نبيهم وأجدادهم العظام» (٤٦) .

ويقول المستشرق الإنجليزي «صامويل مارجليوث» (١٨٥٨ ـ ـ ١٩٤٠م) في محاضرة له بالمجمع العلمي في (دمشق عام ١٩٢٧ م) : «إن يوم ميلاد محمدﷺ ليوم عظيم على العالم لا على العرب فقط لأنه لم يولد إلا لأمر عظيم ألا وهو رسالته التي بلّغها للعالم فاعتنقها قوم وتركها آخرون ».

فهذه الرسالة ناضجة بالحضارة والتعاليم التي تخدم البشرية وتوليها زمام الحياة ..

ولكنها رسالة أخذت بها أمة لم تجهد نفسها لمعرفة ما فيها ، وخير ما فيها طابع صلاحية البقاء مع الزمن مهما طال أو امتد» (٤٧) .

ويقول جان جاك رسو – وهو فيلسوف الثورة الفرنسية الشهير المولود عام ١٧٨٨م: «لم ير العالم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يحوّل العقول والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا مُحمّدًا ، ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقًا أمينًا ، ما صدّقه أقرب الناس إليه خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الأصلاب العقول والأفئدة ، لكن السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيرًا فشبّ متمالاً مُحبًا للطبيعة ميّالاً للعزلة لينفرد بنفسه مع خالقه .. لذلك نجح في رسالته واستطاع أن يقنع قومه بأن خالق هذا الكون واحد لا شريك له ، فآمنوا به وبما قال ، ولأنّ رسالة مُحمّد قوية وأعطته قوة راح ينشر بها الرسالة لوجدت صدىً غير عادي ، وكلما أراد أن يجعل بني قومه في قوته كان يتلو عليهم القرآن فيجعلهم يطلبون منه أن يأمرهم بما أراد الله لنشر الإسلام في ربوع الأرض ، وكانوا بالقرآن ينتصرون ويفتحون الممالك ، ويسودون العالم» .

ويقول المستشرق السويدي الدكتور « سنرستين» (١٨٦٦ – ١٩٥٣م) في كتابه (تاريخ حياة محمد) صفحة (١٨) : «إننا نظلم محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا .

فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مصرًا على مبادئه وظل يحارب الطغاة حتى انتهى المطاف به إلى النصر المبين ، وكان انتصاره حتميًا لأن كفاحه كان من أجل القيمة لا من أجل غرض أو غنيمة ، وبذلك أصبحت شريعة محمد أكمل الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ» (٤٨) .

ويقول المستشرق الفرنسي «الكونت هنري دي كاستري» (١٨٥٠ ـــ ١٩٢٧م) في كتابه «الإسلام خواطر وسوانح» ـــ ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا ـــ : «لسنا في حاجة إلى إثبات صدق محمد ، لأن الأساس في دعوته ورسالته في الأصل عبادة إلهٍ واحدٍ بدلاً من عبادة الأصنام» ، ويقول مستطردًا : «كان محمد لا يقرأ ولا يكتب ، ومن ذلك لم يقرأ كتابًا مقدسًا ، ولم يسترشد في دينه بمذهب أو دين متقدم عليه ، وذلك أبلغ ردٍ على من يزعم كذبه جهلاً منه بتاريخ محمد ، ذلك التاريخ المملوء بصفات تستحق كل إكبار» (٤٩) .

---

(٤٥) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١١٥) .
(٤٦) المصدر السابق (ص١١٠) .
(٤٧) المصدر السابق (ص١١٥) .
(٤٨) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١١٥) .
(٤٩) المصدر السابق (ص١١٧) .

ويقول المستشرق الفرنسي «كازنوفا» في صفحة (٣٣) من الجزء الأول في كتاب (حضارة الشرق) : «يهمني أن أجهر أولاً بأنني رافضٌ أصلاً لكل نظرية يفهم منها الشك في صدق وطهارة محمد ، وإن سيرة محمد من بدايتها وحتى نهايتها تدل على أنه شريف ، ولا مناص من الإقرار بأن محمدًا كان على نقاء وسمو» .

ويقول : «إن التعقل ونضوج الفكر الذين دل عليهما محمد في إظهاره الآيات الأولى الموحاة إليه ، وحسن السياسة في توحيد القبائل العربي رغم الخرافات المتأصلة فيها ، وفي تمييز ما ينبغي الإبقاء عليه من تقاليدها القديمة ، كلها أدلة على أنه كان له في الأمور نظر سديد ، كان يرى الغاية ويسعى إليها بغريزة السياسي المحنك ونورانية النبي الصادق على حدٍّ سواء» [٥٠] .

ويقول المستشرق الإنجليزي «روبرتن سميث» في مقدمة كتاب (أدب الإسلام): «إن محمدًا رسول الله حقًا ، وإنني أعتقد أن الفلسفة المسيحية إذا تخلصت من شوائبها ستعترف بمحمد يومًا من الأيام» .

ويقول سميث : «إذا استطعنا تقدير تاريخ الإسلام بحياد ، وننظر إليه من نافذة النزاهة ، فحتمًا سوف نقدر صاحبه الذي دعا إليه ...

إن محمدًا لا نستطيع أن نقول في حقه إلا أنه رجل نبيل بعقله وعمله وخلقه ، وسيحمل له المنصفون من المسيحيين وغيرهم الإخلاص متى عرفوا حقيقته في المستقبل» [٥١].

وقال الكاتب الإنجليزي **«لويل توماس»** : «قبل أن يكتشف كريستوف كولمبي أمريكا بألف سنة أبصرت عينا الطفل القرشي محمد بن عبد الله النور في مكة ، فكأن الله اختار هذا الطفل ليقلب تاريخ العالم ، وكان في طفولته يرعى الماعز والغنم فيقودها إلى أعالي الجبال التي تحيط بمكة إحاطة السوار بالمعصم ، ولمَّا شب وأينع راح يذهب إلى سوريا في تجارة بمال إحدى نساء قريش [٥٢] ، و سرعان ما شعر بأن قومه الذين يعبدون الأوثان كانوا على ضلال يتمسكون بدين منبعث من الأوهام والأساطير ، فبعث بدين تسامح رضى أن يقبله كل إنسان بدون مشقة ، وقد علَّم أصحابه حب آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ، ولكن هؤلاء لا يعتبرون بمنزلة محمد بل هم أقل منه بدرجات لأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل ، ودينه دين الله العام على عالم البشرية كله» [٥٣] .

وقال **واشنجتون إيرفنج** : «كان محمدﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله »[٥٤].

وقال : «كانت تصرفات الر سول في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مر سل لا على أنه قائد مظفر ، فقد أبدى رحمة و شفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي ، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو » [٥٥].

وقال : «لقي الر سول من أجل نشر الإ سلام كثيرًا من العناء وبذل عدة تضحيات ، فقد شك الكثير في صدق دعوته ، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحًا كبيرًا ، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات ، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة» [٥٦].

---

(٥٠) «رسائل إلى سلمان رشدي» (ص١٢١) .

(٥١) المصدر السابق (ص١٢٦) .

(٥٢) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

(٥٣) «السيرة النبوية» أبو النصر مبشر الطرازي (ص١٥٦) ط دار الدعوة .

(٥٤) «حياة محمد » (ص٦٢) .

(٥٥) المصدر السابق (ص٢٣٣) .

(٥٦) المصدر السابق (ص٣٠٠) .

وقال : «برغم انتصارات الرسولﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره ، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية ، وحتى في أوج مجده حافظ الرسولﷺ على بساطته وتواضعه ، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له ، أو يبالغوا في الترحيب به ، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة ، فإنها كانت دولة الإسلام ، وقد حكم فيها بالعدل ، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته »[٥٧]
.

وقال العالم الألماني **رودي بارت** [٥٨]: في كتابه (تاريخ الحضارات العام) : «جاء محمد بن عبد اللهﷺ ، النبي العربي وخاتم النبيين ، يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد ، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد كانت الشـريعة في دعوته لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسـلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب ، بل أيضًا الأمور الدنيوية ، فتفرض على المسلم الزكاة ، والجهاد ضد المشركين .. ونشر الدين الحنيف .. وعندما قبض النبي العربيﷺ عام ٦٣٢م ، كان قد انتهى من دعوته ، كما انتهى من وضـع نظام اجتماعي يسـمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام ، وصهرهم في وحدة قوية ، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة لم تعرف مثلها من قبل »[٥٩].

ويقول الفيلسوف والباحث رينيه جينيو في مستهل كتابه (رسول الدنيا) : «لقد أردتُ أن أستعصم بنص إلهي مقدّس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم أجد بعد الدراسة الطويلة العميقة المضنية سوى القرآن الكريم ، فهو الكتاب الوحيد الذي أقنعني وأمّن على ما في قلبي . ورسول الإ سلام هو الر سول الذي أحببته و سعدتُ بالـ سير تحت لوائه ، وغمرتني أقواله وأفعاله بالـ سعادة النفـ سية والـ سكينة الروحية . ولولاهﷺ لغرقتْ الإنسانية في بحار المادية والإلحاد والانحلال الخُلُقي والدمار الروحي» .



(٥٧) المصدر السابق (ص٣٠٢، ٣٠٣) .

(٥٨) هو: عالم ألماني معاصر ، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايد لبرج ، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال ، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرق منه عشرات السنين ، وأصدرها بين عامي ١٩٦٣-١٩٦٦ ، وله كتاب عن النبي محمد ^ .

(٥٩) «تاريخ الحضارات العام» (٣/ ١١٢) ..

الفصل الثاني

نسب رسول الله ﷺ



نسب رسول الله ﷺ

إن ر سول الله ﷺ أ شرف أهل الأرض ن سبًا ، وكان معروفًا بن سبه ال شريف بين الناس جميعًا ، حتى إن أعداءه قد شهدوا له بذلك ، فعندما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب عن صفات رسول الله ﷺ ، وقال له : كيف نسبه فيكم ؟ قال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب ، فقال هرقل : كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها(٦٠) يعني في أكرمها أحسابًا ، فأشرف القوم قومه ﷺ.

فهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة الحمد ـ ابن هشام ـ واسمه عمرو ـ ابن عبد مناف (٦١) ـ واسمه المغيرة ـ ابن قصي ـ واسمه زيد ويقال مجمع ـ ابن كلاب(٦٢) بن مرة ابن كعب بن لؤى(٦٣) بن غالب بن فهر(٦٤) بن مالك بن النضر(٦٥) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس(٦٦) بن مضر(٦٧) بن نزار(٦٨) بن مَعَدّ (٦٩) بن عدنان (٧٠) .

وهذا النسب إلى عدنان معلوم الصحة ، ومتفق عليه بين النسابين ، وأما ما فوق عدنان فمختلف فيه .

ولا خلاف بين النسابين أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام .

وجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون إلى هذا النسب ، ولهذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى ـ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى : ٢٣] قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم (٧١) .

ولقد حدثنا رسول الله ﷺ عن نسبه الشريف . فقال : «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**» (٧٢) .

و قال ﷺ : «**إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ، ثم تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**» (٧٣) .

وقال ﷺ : «**إن الله ا صطفى من ولد إبراهيم إ سماعيل ، وا صطفى من ولد إ سماعيل بني كنانة ، وا صطفى من بني كنانة قريشًا ، وا صطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم**» (٧٤) .

---

(٦٠) رواه البخاري (٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٦١) مناف : اسم صنم أُضيف إلى عبد كما يقولون : عبد اللات وعبد العزي .

(٦٢) كلاب ـ اسمه حكيم ، وقيل عروة . ولقّب بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب .

(٦٣) لؤى : تصغير «لأي» ، وهو الثور الوحشي ، وقد يكون تصغير «لأي» وهو البطء . والمشهور فيه الهمزة .

(٦٤) الفهر : الحجر على مقدار ملء الكف ، يذكّر ويؤنّث .

(٦٥) النضر : الذهب الأحمر .

(٦٦) إلياس : مختلف فيه ، فمنهم من يقول : إلياس موافق للذي هو خلاف الرجاء ، وهو مصـدر يئس ، وقيل : سـمي بذلك لأنه وُلد بعد كبر سـن أبيه .

(٦٧) مضر : الأبيض ، مشتق من اللبن الماضر وهو الحامض . .

(٦٨) نزار : من النزارة وهي القلة .

(٦٩) معد : من تمعد إذا اشتد .

(٧٠) عدنان : مأخوذة من عدن في المكان إذا أقام فيه .

(٧١) رواه البخاري في «التفسير» (٤٨١٨) .

(٧٢) **حسن** : رواه الرامهرمزي في «الفاصل بين الراوي والواعي » (ص١٣٦) والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣١٨ ـ ٣١٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق» (٣/ ٤٠٢) وأبو نعيم في «أعلام النبوة» (١ / ١١) عن على بن أبي طالب رضي الله عنه . وانظر «الإرواء» (١٩١٤) .

(٧٣) **صحيح** : رواه أحمد (١ / ٢١٠) والترمذي (٣٥٣٢) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٧٤) **رواه مسلم** في «الفضائل» (٥٨٢٨) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

أخبرنا الرسولﷺ أنه وُلد في يوم الاثنين ، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة ﷺ ، أن أعرابيًا قال:

يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ ، فقالﷺ ! **«ذاك يوم وُلدت فيه ، وأنزل عليَّ القرآن فيه»** .

ويذكر أكثر أهل العلم أن اليوم الذي وُلد فيه الر سولﷺ كان يوافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وقال بعضهم إنه ولد في التا سع من ربيع الأول ، والله أعلم ويقول أ صحاب التوفيقات التاريخية : إن يوم الثاني عشر من ربيع الأول يوافق اليوم المكمل للعشرين من شهر إبريل سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . والله أعلم

وأما العام الذي وُلد فيه الرسولﷺ ، فهو عام الفيل كما ذكر عبد الله بن عباس ﷺ[٧٥] .

وقال قيس بن مخرمة : ولدت أنا ورسول اللهﷺ عام الفيل ، فنحن لدان [٧٦] .

وقوله «لدان» يقال : فلان لدة فلان إذا ولد معه في وقت واحد .

■ ما رأته آمنة بنت وهب أم الرسول ج وهو جنين في بطنها ■

عن خالد بن معدان الكَلاعي ، أن نفرًا من أصحاب النبيﷺ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ، قال : **«نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»** [٧٧] .

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] قال **ابن كثير رحمه الله** ــ : «يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث فيهم ر سولاً منهم أي من ذرية إبراهيم ، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله و سلامه عليه ر سولاً في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن ، والمراد أن أول من نوّه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام ، ولم يزل ذكره في الناس مذكورًا ، مشهورًا سائرًا ، حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبًا ، وهو عيسى بن مريم عليه السلام ، حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا وقال : ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] ولهذا قال في هذا الحديث : «**دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بن مريم**» ، وقوله : **«ورأت أمي أنه خرج نورًا أضاءت له قصور الشام»**، قيل كان منامًا رأته حين حملت به وقصّته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم ، وكان ذلك توطئة ، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»** ، وفي صحيح البخاري: «**وهم بالشام**» [٧٨].

---

(٧٥) رواه الحاكم والبيهقي عنه بسند صحيح .

(٧٦) **صحيح** : رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٠٢) وأحمد (٤ / ٢١٥) والترمذي (٣٦١٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨ / ٣٤٣ ، ٨٧٣) والحاكم (٢ / ٦٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة» (١٠١) .

(٧٧) **صحيح** : رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» (١ / ١٧٥) والطبري في تفسيره (٢٠٧٠) والحاكم (٢ / ٦٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٨٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٧٨) تفسير ابن كثير (١ / ٢٤٤ ــ ٢٤٥) ط مكتبة الإيمان بالمنصورة باختصار يسير .

وكما كان أمر النبيﷺ مشهورًا بين الناس قبل أن يخلقه الله عز وجل ، فكذلك كان أمره مشهورًا في الملأ الأعلى قبل خلق آدم عليه السلام ، فعن مسيرة الفجر ﷺ قال : قلت يا رسول الله متى كتبت نبيًا ؟ قال : **«وآدم بين الروح والجسد»** (٧٩) ، وعن العرباض بن سارية ﷺ قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : **«إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته ، و سأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»** (٨٠) .

قال السندي : قول : «لمُنجدلُ» : أي ملقي على الجدال ، وهي الأرض ، أي : كان بعد ترابًا لم يصور ، ولم يخلق ، وقيل : أي مطروح على الأرض كائن في أثناء خلقه ، أي : والحال أن آدم : أي صورته من الطين مطروح على الأرض لم ينفخ فيه الروح بعد» .

وقد توفى عبد الله والد النبيﷺ ، وهوﷺ حَمْلٌ في بطن أمه ، ولم ينجب أبوه سواه . وقد كان عمر عبد الله حين وفاته خمس وعشرين سنة ، وقيل : ثمان وعشرين سنة . والله أعلم ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وهوﷺ في السادسة من عمره .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «لا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء (٨١) منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين» (٨٢) وكان عمر آمنة حين وفاتها ثلاثين سنة ، ولم يتزوج عبد الله والد الرسولﷺ غيرها ، ولم تتزوج هي غيره .

■ أسماء الرسول ج ■

عن جبير بن مطعم ﷺ قال : قال رسـولﷺ : «**إن لي أسـماء : أنا محمد ، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشـر الذي يُحشر الناس على قَدَمَي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**» (٨٣) .

وعن موسى الأشعري ﷺ قال : كان رسول اللهﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال : **«أنا محمد وأحمد والمُقَفِّي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة»** (٨٤) .

وقد ورد اسم (محمد) في القرآن الكريم أربع آيات ، وهي :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

---

(٧٩) **صحيح** : رواه أحمد (٥ / ٥٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠ / ٨٣٣ ،، ٨٣٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤١٠) والآجري في «الشريعة» (ص٤١٦ ، ٤٢١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩ / ٥٣) والحاكم (٢ / ٦٠٨ ـــ ٦٠٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٨٤ ـــ ٨٥ ، ٢ / ١٢٩) .

(٨٠) **صحيح** لغيره : رواه أحمد (٤ / ١٢٧) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩ ، ١٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦ / ٦٨ ـــ ٦٩) ويعقوب بن سـفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٣٤٥) والطبري في تفسـيره (٢٠٧٢ ، ٢٠٧٣) وابن حبان (٦٤٠٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨ / ٦٢٩) والآجري في «الشـريعة» (ص٤٢١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ١٣٠) وفي سـنده سـعيد بن سـويد الكلبي ، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤ / ٢٩) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وفيه أيضًـا عبد الأعلى بن هلال ، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٦ / ٦٨) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً ، وقد ترجمه الحسيني في «الإكمال» (ص/ ٢٥) وقال : مجهول .

والحديث ورد من طريق آخر عند أحمد (٤ /١٢٨) والطبري في تفسـيره (٢٠٧١) والحاكم (٢ / ٦٠٠) والبيهقي في «الدلائل» (١ / ٨٣) وابن أبي عا صم في «السنة» (٤٠٩) والبزار (٢٣٦٥) والطبراني في «الكبير» (١٨ / ٦٣١) وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف كما في «التقريب» (٢ / ٣٩٨) ولكن يشهد لشطره الأول حديث مسيرة الفجر ، ويشهد لشطره الثاني حديث خالد بن معدان وحديث أبي أمامة الباهلي ﷺ . والله أعلم .

(٨١) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . «معجم البلدان» للحموي (١ / ٧٩) .

(٨٢) «زاد المعاد» (١ / ٤٤) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٨٣) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٣٢) باب ما جاء في أسماء رسول اللهﷺ . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٥٤) باب في أسمائهﷺ واللفظ لمسلم .

(٨٤) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٥٥) باب في أسمائهﷺ .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح : ٢٩] .

٤ – قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد : ٢] .

وورد اسم (أحمد) في القرآن الكريم في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ [الصف : ٦] .

قال ابن حجر رحمه الله : «إن هذين الأ سمين أ شهر أ سمائه وأ شهرهما محمد ، وقد تكرر في القرآن ، وأما أحمد فذكر فيه حكاية عن قول عيسى عليه السلام، فأما محمد فمن باب التفعيل للمبالغة ، وأما أحمد فمن باب التفضيل ، وقيل : سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ، ومعناه أحمد الحامدين ، و سبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله [٨٥] ، وقيل الأنبياء حمّادون وهو أحمدهم ، أي أكثرهم حمدًا أو أعظمهم في صفة الحمد ، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضًا ، وهو بمعنى محمود وفيه معنى المبالغة ، وقد أخرج المصنف ــ يعني البخاري ــ في «التاريخ الصغير» من طريق على بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وَشَقَّ لَهُ من اسمه ليُجِلَّه فذو العَرْش محمودٌ و هذا محمد [٨٦]

والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدّح ، قال الأعشى :

إليك أَبَيْتَ اللَّعْنَ كان وَجِيفُها إلى الماجِدِ القرْمِ الجوادِ المُحَمَّد

أي الذي حمد مرة بعد مرة ، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة .

قال عياض : كان رسول الله ﷺ أحمد قبل أن يكون محمدًا كما وقع في الوجود لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة ، وتسميته محمدًا وقعت في القرآن العظيم ، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس ، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس ، وقد خُصَّ بسورة الحمد [٨٧]، وبلواء الحمد وبالمقام المحمود ، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر ، وسميت أمته الحمادين ، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه ﷺ » [٨٨]

قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : «وهو محمود ﷺ بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، وفتح الله به القلوب وكشف به الظلمة عن أهل الأرض وا ستنقذهم من أ سر الشياطين ومن الشرك بالله والكفر والجهل به ، حتى نال أتباعه شرف الدنيا والآخرة ، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها ، فإنهم كانوا عُبَّادَ أوثان وعباد صلبان وعباد نيران وعباد الكواكب ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله ، وحيران لا يعرف ربًا يعبده ولا بماذا يعبده ، والناس يأكل بعضهم بعضاً ، من استحسن شيئًا دعا إليه ، وقاتل مَنْ خالفه ، وليس في الأرض مو ضع قدم مـ شرق بنور الر سالة ، وقد نظر الله سبحانه إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار دين صحيح فأغاث الله به البلاد والعباد وكشف به تلك الظلم وأحيا به الخليقة بعد الموت ، فهدى به من الضلالة ، وعلَّم به من الجهالة ، وكثَّر به بعد القلة ، وأعزَّ به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العَيْلة ، وفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة» [٨٩] .

---

(٨٥) كما في حديث الشفاعة العظمى ، وسيأتي ذكره .
(٨٦) نسب ابن القيم هذا البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، كما «جلاء الأفهام» .
(٨٧) أي سورة الفاتحة .
(٨٨) «فتح الباري» (٧/ ٤١٢٨ ــ ٤١٢٩) ط المكتبة العصرية ، بيروت .
(٨٩) «جلاء الأفهام» (ص١١٦ ــ ١١٩) بتحقيقي ، ط دار الخلفاء بالمنصورة .

قال القاضي عياض ــ رحمه الله ــ: «ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته فنٌ آخر ، هو أن الله جل اسمه حمي [٩٠]، أن يُسمَّى بهما أحد قبل زمانه ، أما «أحمد» الذي أتى في الكتب وبشَّرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يَسمَّى به أحد غيره ، ولا يُدْعى به مَدْعُو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .

وكذلك «محمد» أيضًا لم يُسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبيًا يبعث اسمه محمد ، فسَّمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢] .

وهم: محمد بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي [٩١] ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري [٩٢] ، ومحمد بَرَّاء البكرى [٩٣]، ومحمد ابن سفيان بن مجاشع [٩٤]، ومحمد بن حمران الجعفي [٩٥]، ومحمد خزاعي السُّلَمي [٩٦] ، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدَّعي النبوة ، أو يدَّعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحدًا في أمره حتى تحققت السمتان [٩٧] له ﷺ ، ولم ينازع فيهما» [٩٨] .

وقد صرف الله عن نبيه ﷺ شتم المشركين ولعنهم له با سم محمد ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : **« ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ يشتمون مذممًا ، ويلعنون مذممًا ، وأنا محمد »** [٩٩] .

قال ابن حجر رحمه الله : (قوله يشتمون مذممًا) كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره » [١٠٠] .

■ لماذا ذكر المسيح عليه السلام الرسول ج باسم أحمد وليس بمحمد ؟■

قال ابن القيم ــ رحمة الله ــ : «عرف النبي ﷺ عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وزهد وأخلاق وحض على الإحسان والاحتمال والصفح ، حتى قيل إن الشرائع ثلاثة : شريعة عدل ، وهي شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان كقوله ــ أي عيسى عليه السلام ــ : «من أخذ رداءك فأعطه ثوبك ، ومن لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن سخَّرك ميلا فامش معه ميلين» ونحو ذلك ، وشريعة جمعت بين هذا وهذا وهي شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه والفضل ويندب إليه كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

(٩٠) حمى : أي منع وصان .

(٩١) عدَّه ابن عبد البر من الصحابة ، وتردد فيه ابن حجر في «الإصابة» ، والأوسي نسبه إلى الأوس ، قبيلة من الأنصار .

(٩٢) ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة ، وهو صحابي ، شهد بدرًا ، وتوفى بالمدينة سنة ٤٣هـ .

(٩٣) البكري : نسبة لبكر قبيلة مشهورة ، هلك في الجاهلية ، وقد عَّده البعض من الصحابة ، وهو خطأ ، والله أعلم .

(٩٤) لم يدرك الإسلام ، وقد عدَّه البعض من الصحابة ، وهو خطأ .

(٩٥) نسبة للجعفة وهي قرية معروفة ، وقد هلك في الجاهلية .

(٩٦) نسبة إلى خزاعة ، لم يدرك الإسلام .

(٩٧) السمتان : الصفتان ، وهما المحمدية والأحمدية .

(٩٨) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١ / ٤٤٥ ــ ٤٤٧) .

(٩٩) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٣٣) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، عن أبي هريرة ﷺ.

(١٠٠) « فتح الباري » (٧/ ٤١٣٢) .

فجاء اسمه عند هذه الأمة بأفعل التفضيل الدال على الفضل والكمال كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله[١٠١] بالاسمين معًا ، فتدبر هذا الفضل وتبين ارتباط المعاني بأسمائها ومناسبتها لها»[١٠٢] .

معنى اسم الماحي

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «قوله ﷺ : (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر» قال العلماء : المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب ، وما زُوى له ﷺ من الأرض ، ووُعِدَ أن يبلغه ملك أمته . قالوا : ويحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة : ٣٣] [١٠٣] .

معنى اسم الحاشر

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله ﷺ : **(وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي)** أي على أثري أي أنه يحشر قبل الناس ، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى : **«يحشر الناس على عقبي»** [١٠٤].

وقال النووي ــ رحمه الله ــ : «يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي» [١٠٥]، كما قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

معنى اسم العاقب

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «أما (العاقب) ففسره في الحديث بأنه ليس بعده نبي أي جاء عقبهم» [١٠٦] وختم به النبيون .

معنى اسم المقفى

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «أما (المقفي) فقال شمر : هو بمعنى العاقب : وقال ابن الأعرابي : هو المتبع للأنبياء . يقال : قفوته أقفوه ، وقفيته إذا اتبعته . وقافية كل شيء آخره» [١٠٧] .

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «المقفي هو الذي قفَّي على آثار من تقدمه ، فقفي الله به على آثار من سبقه من الرسل ، وهذه اللفظة مشتقة من القف ، يقال : قفَّاه يقفوه إذا تأخر عنه ، ومنه قافية الرأس ، وقافية البيت ، فالمقفي الذي قفي من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم» [١٠٨] .

***

معنى اسم نبي التوبة

قال النووي ـ رحمه الله ـ : «أما (بني التوبة وبني الرحمة) فمعناهما متقارب ، ومقصودهما أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم ، قال الله تعالى : ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد : ١٧] ، والله أعلم ... وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أنه له ﷺ أسماء غيرها .. لأنها موجودة في الكتب المتقدمة ، وموجودة للأمم السالفة» [١٠٩] .

---

(١٠١) أي القرآن الكريم .

(١٠٢) «جلاء الإفهام» (ص١٢١) وانظر «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» للشيخ ابن عثيمين (١ / ٤٧) .

(١٠٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٩٤) بتحقيقي ، ط دار الغد الجديد بالمنصورة .

(١٠٤) «فتح الباري» (٧ / ٤١٣١) .

(١٠٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٩٥) .

(١٠٦) المصدر السابق (١٥ / ٩٥) .

(١٠٧) المصدر السابق (١٥ / ٩٥) .

(١٠٨) «زاد المعاد» (١ / ٥٨) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(١٠٩) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٩٥) .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق «الشاهد ، المبشر ، النذير ، المبين ، الداعي إلى الله ، السراج المنير» وفيه أيضًا «المذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد والأمين والمزمل والمدثر» وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : «المتوكل» ومن أسمائه المشهورة «المختار والمصطفى والشفيع والصادق المصدوق» وغير ذلك » [١١٠] .

■ مبعثه ﷺ ■

بعث النبيﷺ بعد أن أكمل الأربعين سـنة ، قال أنس بن مالك ﷛ : «كان رسـول اللهﷺ ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصـير ، وليس بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسَّبط ، بعثه الله على رأس أربعين سنة» [١١١] .

قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : «فلمّا كمل له أربعون أشرق عليه نور النبوة ، وأكرمه الله تعالى برسالته ، وبعثه إلى خلقه ، واختصه بكرامته ، وجعله أمينًا بينه وبين عباده» [١١٢].

(١١٠) «فتح الباري» (٧ / ٤١٣١ ــ ٤١٣٢) .
(١١١) رواه البخاري (٣٥٤٧) ، ومسلم (٢٣٤٧) .
(١١٢) «زاد المعاد» (١ / ٤٥) .

■ كيفية بدء الوحي بالرسولﷺ ■

عن عائشة رضي الله عنها قالت (١١٣) : «أول ما بُدئ به رسول اللهﷺ من الوحي الرويا الصالحة (١١٤) في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (١١٥) ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (١١٦) ــ وهو التعبد ــ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء (١١٧) ، فجاءه الملك (١١٨) ، فقال : اقرأ . قال : **«ما أنا بقارئ»** (١١٩) . **قال : فأخذني فغطَّني (١٢٠) حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني**

---

(١١٣) من المعلوم أن عائشة ﷺ لم تدرك قصة بدء الوحي برسول اللهﷺ ، فيحتمل أنها سمعت القصة من الرسولﷺ، أو سمعتها من أحد الصحابة ثم حدّثت بها ، ورجح الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ أنها سمعتها من رسول اللهﷺ ، فقال : «يؤيد أنها سمعت ذلك من النبيﷺ قولها في أثناء هذا الحديث : «فجاءه الملك فقال : اقرأ ، فقال ر سول اللهﷺ: ما أنا بقارئ . قال: اقرأ ، فقال ر سول اللهﷺ : ما أنا بقارئ. قال : فأخذني»= =إلى آخره فقوله : قال «فأخذني فغطني» ظاهره في أن النبيﷺ أخبرها بذلك فتحمل بقية الحديث عليه» اهـ «فتح الباري» (٩ / ٥٧٩٤) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(١١٤) وفي رواية : الرؤيا الصادقة قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «وهي التي ليس فيها ضغث ، وبدئ بذلك ليكون تمهيدًا وتوطئة لليقظة» . ١ هـ فتح الباري» (١ / ٣٠)

وقال النووي ــ رحمه الله ــ : «قال القاضي [عياض] رحمه الله وغيره من العلماء : إنما ابتدىﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية ، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا» ١٠هـ «شرح النووي على مسلم» (١ / ٨٥٨) .

(١١٥) قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «المراد بفلق الصبح : ضياؤه ، وخص بالتشبيه لظهوره الواضع الذي لا شك فيه» ١ هـ «فتح الباري» (١ / ٣١) .

(١١٦) قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله (فيتحنث) هي بمعنى يتحنف ، أي يتبع الحنيفة ، وهي دين إبراهيم ، والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم ، وقد وقع في رواية ابن هشام في «السيرة» : (يتحنف) بالفاء أو التحنث إلقاء الحنث وهو الإثم ، كما قيل: يتألم ويتحرج ونحوهما» ، ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣١) .

(١١٧) قال النووي ــ رحمه الله ــ : «أي جاءه الوحي بغتة» ١هـ .

(١١٨) قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله (فجاءه) هذه الفاء تسمى التفسيرية ، وليست التعقيبية ، لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به ، بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال وغيره من جهة التفصيل» ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣٢) .

(١١٩) قال النووي- رحمه الله - : قولهﷺ (ما أنا بقارئ) معناه : لا أحسن القراءة ، فما نافية هذا هو الصواب « شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ٨٨٧) .

وقال ابن حجر – رحمه الله – : والباء زائدة لتأكيد النفي ، أي ما أحسن القراءة . فلما قال ذلك ثلاثًا قيل له : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك وإعانته ، فهو يعلمك ، كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر ، وعلّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية ، ذكره السهيلي . وقال غيره : إن هذا التركيب ــ وهو قوله : **ما أنا بقارئ** ــ يفيد الاختصاص . وردَّ الطيبي بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد ، والتقدير : لست بقارئ البتة . فإنه قيل : لم كرر ذلك ثلاثًا ؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً : **«ما أنا بقارئ»** على الامتناع ، وثانيًا على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثًا على الاستفهام . ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ وفي مرسل الزهري في «دلائل البيهقي» : كيف أقرأ ، وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية . والله أعلم . «فتح الباري» (١ / ٣٢) .

(١٢٠) قال النووي : غطني : معناه عصرني وضمني ، يقال : غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد . «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ٨٨٧) قال ابن حجر : والغط : حبس النفس ، ومنه غطه في الماء ، أو أراد غمني ومنه الخنق . ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن : فأخذ بحلقي . «فتح الباري» (١ / ٣٢) .

فقال: اقر. فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ﵂ ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع (١٢١) ، فقال لخديجة ـــ وأخبرها الخبر ـــ : لقد خشيت على نفسي (١٢٢) . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتَكْسِبُ المعدم ، وتَقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق (١٢٣) .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن بن عبد العزى ـــ ابن عم خديجة ـــ وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية (١٢٤) ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية (١٢٥) ما شـاء الله أن يكتب ، وكان شـيخًا كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة: يا بن عم اسـمع من ابن أخيك (١٢٦) .

---

(١٢١) قال ابن حجر : قوله : (فزملوه) أي لفوه . والروع بالفتح : الفزع .

(١٢٢) قال ابن حجر – رحمه الله - : الخشـية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على أثنى عشـر قولاً : أولها الجنون، وأن يكون رآه من جنس الكهانة ، جاء م صرحًا به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربي وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإ سماعيلي على أن ذلك حـ صل له قبل حـ صول العلم الضـروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله تعالى . ثانيها الهاجس ، وهو باطل أيضًـا لأنه لا يسـتقر وهذا اسـتقر وحصـلت بينهما المراجعة . ثالثها الموت من شدة الرعب . رابعها المرض ، وقد جزم به ابن أبي جمرة . خام سها دوام المرض ، ساد سها العجز عن حمل أعباء النبوة . سـابعها العجز عن النظر إلى الملك من الرعب . ثامنها عدم الصـبر على آذى قومه . تاسـعها أن يقتلوه . عاشـرها مفارقة الوطن . حادي عشـرها تكذيبهم إياه . ثاني عشـرها تعييرهم إياه . وأولى هذه الأقوال بالصـواب وأسـلمها من الارتياب الثالث واللذان بعده ، ٠ وما عداها فهو معترض . والله الموفق . ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣٣) .

(١٢٣) قال ابن حجر : قوله (قالت خديجة : كلا) معناها النفي والإبعاد .. ثم ا ستدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبدًا بأمر ا ستقرائي و صفته بأصـول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسـان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يسـتقل بأمره أو من لا يسـتقل ، وذلك كله مجموع فيما و صفته به . والكل بفتح الكاف : هو من لا يستقل بأمره ، كما قال الله تعالى ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ﴾ [النحل : ٧٦] . وقولها : «وتكسب المعدوم» .. أي الفقير لأن المعدوم لا يكسب ... فكأنها قالت : إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزًا فتعاونه .. وقولها : «وتعين عل نوائب الحق» كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم . وفي رواية المصـنف في التفسـير .. «وتصـدق الحديث» وهي من أشرف الخصال . ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣٣ ــ ٣٤) .

(١٢٤) قال ابن حجر : قوله (فانطلقت به) أي مضت معه ، فالباء للمصاحبة ... قوله (تنصَّر) أي صار نصرانيًا ، وكان قد خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كُرها على عبادة الأوثان إلى الـ شام وغيرها يـسألون عن الدين ، فأما ورقة فأعجبه دين النـ صرانية فتنـ صر ، وكان لقي من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل . ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣٤) .

(١٢٥) وفي رواية في الصحيحين : «وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله» وقد جمع النووي ــــ رحمه الله ــــ بين الروايتين فقال : العبارتان صحيحتان . والحا صل أنه تمكن حتى صار يكتب من الإنجيل أي مو ضع شاء بالعربية والعبرانية ، قال الداودي : كتب من الإنجيل الذي هو بالعبرانية هذا الكتاب الذي هو بالعربية ١هـ نقلاً عن «فتح الباري» (٩ / ٥٧٩٩) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(١٢٦) قال ابن حجر : «اسمع من ابن أخيك» . لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته . أو قالته على سبيل التوقير لسنه . ١هـ «فتح الباري» (١ / ٣٤) .

فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأي .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى [١٢٧] ، ياليتني فيها جذعًا[١٢٨] ، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول ﷺ : «أو مخرجيّ هم ؟» ، قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ، ثم لم ينشب [١٢٩]ورقة أن توفى ، وفتر الوحي» [١٣٠]

قال ابن حجر ــــ رحمه الله ــــ : «وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع ، وليحصل له التشوق إلى العود»[١٣١].

■ تنبيه مهم ■

هذا الحديث رواه البخاري ــ رحمه الله ــ في أكثر من موضع ، وينتهي الحديث في جميع المواضع بقوله : «وفتر الوحي» [١٣٢]، ولكن عندما أعاد الحديث في كتاب التعبير[١٣٣] زاد فيه قول الزهري : «حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدامنه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقى نفسه تبدَّى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقًا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفي بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك» [١٣٤] وهذه الزيادة باطلة ، وليست على شرط الصحيح ، لأن الزهري ذكرها بلاغًا ، وبدون إسناد .

---

(١٢٧) قال ابن حجر : قوله (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى) .. أشار بقوله : «هذا» إلى الملك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره . والناموس صاحب السر ... والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام .

وقوله : «على موسى» ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانيًا ، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام ، بخلاف عيسى ، وكذلك النبي ﷺ . أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى . كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر . أو قاله تحقيقًا للرسالة ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب ، بخلاف عيسى فإن كثيرًا من اليهود ينكرون نبوته ... على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبد الله بن معاذ عن الزهري في هذه القصة أن ورقة قال : ناموس عيسى . والأصح ما تقدم ، وعبد الله بن معاذ ضعيف . نعم في دلائل النبوة لأبي نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة أن خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال : لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم . فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى وتارة ناموس موسى ، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبي ﷺ له قال له : ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها ،، وكل صحيح . والله سبحانه وتعالى أعلم . «فتح الباري» (١ / ٣٥) .

(١٢٨) قال ابن حجر : الجذع .. هو الصغير من البهائم ، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابًا ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيرًا أعمى .

(١٢٩) أي لم يلبث .

(١٣٠) رواه البخاري في «بدء الوحي» (٣)، ومسلم في «الإيمان» (٣٩٦) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(١٣١) «فتح الباري» (١ / ٣٧) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(١٣٢) كما في بدء الوحي (٣) ، وفي التفسير (٤٩٥٣) .

(١٣٣) رقم (٦٩٨٢) .

(١٣٤) وهذه الزيادة وردت أيضا عند أحمد في «المسند» (٦ / ٢٣٢ ــ ٢٣٣) وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (ص٦٨ ــ ٦٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٣٩٣ ــ ٣٩٥) .

قال ابن حجر ــــــ رحمه الله ــــــ : «قوله هنا «فترة حتى حزن النبيﷺ فيما بلغنا» ، هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس [١٣٥] ، وصــنيع المؤلف [١٣٦] يوهم أنه داخل في رواية عقيل ، وقد جرى على ذلك الحميدي في «جمعه» [١٣٧] ، فســاق الحديث إلى قوله : «وفتر الوحي» ، ثم قال : انتهى حديث عقيل المفرد عن ابن شهاب [١٣٨] إلى حيث ذكرنا ، وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري ، فقال : «وفتر الوحي فترة حتى حزن» ، فســاقه إلى آخره . والذي عندي أن هذه الزيادة خاصــة برواية معمر ، فقد أخرج من طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي عن يحيى بن بكير شــيخ البخاري فيه في أول الكتاب بدونها ، وأخرجه مقرونًا هنا برواية معمر ، وبيَّن أن اللفظ لمعمر، وكذلك صــرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر ، وأخرجه أحمد ومسلم والإسماعيلي وغيرهم ، وأبو نعيم أيضًا من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها ، ثم إن القائل : فيما بلغنا هو الزهري ، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصــل إلينا من خبر رســول اللهﷺ في هذه القصــة ، **وهو من بلاغات الزهري ، وليس موصولاً**» [١٣٩] .

وقال الشيخ الألباني ــ رحمه الله ــ : إن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد معمر بها دون يونس وعقيل ، فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة ، فإن القائل [فيما بلغنا] إنما هو الزهري كما هو ظاهر من السياق ، وبذلك جزم الحافظ في «الفتح» ، وقال : وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً .

وقال : وهذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها .

وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادة فلنا الحق أن نقول : إنها زيادة منكرة من حيث المعنى ، لأنه لا يليق بالنبيﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع على ذلك ، وهو القائل : **«من تردي من جبل فقتل نفســه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا..»** الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ [١٤٠] .

وقال الشيخ محمد أبو شهبة ــ رحمه الله ــ : «هذه الرواية ليست على شرط الصحيح ، لأنها من البلاغات ، وهي من قبيل المنقطع ، والمنقطع من أنواع الضعيف ، والبخاري لا يخرج إلا الأحاديث المسندة المتصلة برواية العدول الضابطين ، ولعل البخاري ذكرها لينبهنا إلى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزيادة ، وليس أدل على ضــعف هذه الزيادة وتهافتها من أن جبريل كان يقول للنبيﷺ كلما أوفى بذروة جبل : «يا محمد إنك رسول الله حقًا» ، وأنه كرر ذلك مرارًا ، ولو صح هذا لكانت مرة واحدة تكفي في تثبيت النبيﷺ وصرفه عمّا حدّثته به نفسه كما زعموا» [١٤١] .

وقال الشيخ محمد الصادق عرجون ــــــ رحمه الله ــــــ : «هذا البلاغ يتعارض أولاً مع أصل من أصول الإيمان ، وهو عصمة الأنبياء والرسل ، بمعنى حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم ، وتفكيرهم وخواطرهم ، وسائر أعمالهم حفظًا كاملاً ، فلا يقع منهم قط ما يشكك في نبوتهم ورسالتهم ، وهذا البلاغ المعمري أوالزهري لم يبق لعصــمة النبيﷺ في مدة الحزن البائس التي تقول أبطولة هذا البلاغ أنهﷺ مكثها وهو يغدو مرارًا كي يتردى من شواهق الجبال .

---

(١٣٥) رواية عقيل هي المذكورة في بدء الوحي (٣) ، ورواية يونس بن يزيد هي المذكورة في التفسير (٤٩٥٣) .

(١٣٦) أي البخاري رحمه الله .

(١٣٧) أي جمعه بين الصحيحين .

(١٣٨) وهو الزهري .

(١٣٩) «فتح الباري» (١٤ / ٨٦٢٠) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(١٤٠) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» (ص٤١ ــ ٤٢) .

(١٤١) «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» (١ / ٢٦٥ ــ ٢٦٦) باختصار .

ويتعارض هذا البلاغ ثانيًا مع ما يجب أن يكون عليه النبيﷺ من رسوخ الإيمان بنبوته ، وأكمل اليقين برسالته ، ولا شك أن ما جاء في هذا البلاغ الباطل ـــ من تبدِّي جبريل عليه السلام للنبيﷺ كلما أو في بذروة جبل لكي يلقى منها نفسه ، وقوله له : يا محمد : أنت رسول الله حقًا ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّي له جبريل عليه السلام فقال مثل ذلك ـ يصور مدى ما بلغه ذلك الحزن اليائس ـ في زعم قائليه ـ من نفس النبيﷺ حتى جعله يتشكك في تبدِّي جبريل له ، وفي إخباره أنه رسول الله حقًا ، فالنبيﷺ ـ كما تصرح به عبارة هذا البلاغ ـ لم يكد يسكن جأشه لتبدي جبريل له ، وإخباره أنه رسول الله حقًا ـ حتى يعود إلى عزيمته في إلقاء نفسه من ذرا شواهق الجبال ، فيتبدى له جبريل مرة أخرى ، ويقول له : يا محمد أنت رسول الله حقًا ، فأين سكون جأشه الذي أحدثه في نفسه تبدي جبريل له وإخباره أنه رسول الله حقًا ؟ ، وأين رسوخ إيمانه برسالة ربه التي شرَّفه بها قبل فترة الوحي ، وأنزل عليه في أول مراتب وحيها في غار حراء قرآنًا يتلى ، وعاش في أنوارها ، أي أنوار نبوته التي سبقت رسالته طول هذه المدة ، وهو ـ كما يقول البلاغ الزائف ـ يعود إلى عزيمته لإلقاء نفسه من ذرا شواهق الجبال إذا طالت عليه فترة الوحي .

إن ما تضمنه هذا البلاغ الزائف يشمل أمرين :

أحدهما ظاهر محسوس ، تكمن مشاهدته ، والحكم بوجوده أو عدم وجوده بمقتضى إمكان مشاهدته حسًا ، وثانيهما باطن محجوب في داخل النفس ، لا يمكن معرفته لأحد إلا بإخبار صاحبه الذي دار في نفسه ، أو بإخبار من أظهرهم عليه بنقل ثابت عنه .

فذهاب النبيﷺ إلى أعالي الجبال وشواهقها التي ألف الصعود إليها في زمان خلواته وتطلعاته للتفكر في عجائب آيات الله الكونية ، وبدائع ملكوته ، أمرٌ محسوس ، يمكن الحكم عليه برؤيته ومشاهدته ، ولا حرج في أن يكون النبيﷺ قد حزن في فترة الوحي اشتياقًا لأنوار الشهود الروحاني الأعلى الذي كان يغمره في أوقات نزول الوحي ، ونزول آيات القرآن المبين ـ حزنًا كان يغدو منه إلى ذرا الجبال التي كانت مأنس روحه ، تطلعًا إلى آفاق أشواقه لشهود تجليات أمين الوحي جبريل عليه السلام الذي سبق له أن تجلى في آفاقها بصورته الملائكية الروحانية العالية .

وكون هذا الذهاب إلى ذرا شواهق الجبال لقصد التردي منها ليقتل نفسه ـــ كما هو نص عبارة البلاغ الزائف ـــ أمر باطن محجوب بأستار الضمير في حنايا النفس لا يعلمه ولا يطلع عليه إلا الله علاّم الغيوب ، وإلا صاحبه الذي دار في حنايا نفسه ، وعزم على تحقيقه عمليًا ، وإلا من يظهره عليه صاحبه العليم به بإخبار منه إليه .

ولم يثبت قط في حديث صحيح أن النبيﷺ أخبر عن نفسه أنه كان في مدة فترة الوحي يذهب إلى قنن الجبال الشواهق وذراها ليرمي نفسه من فوقها انتحارًا لحزنه على فتور الوحي ، ولهذا كانت نسبة ذلك إلى النبيﷺ منكرًا من القول وباطلاً من المحالات التي لا يقبلها عقل ولا تتلاءم مع أصول الإيمان .

***

وما ورد في حديث ابن عباس عند ابن سعد [١٤٢] والإمام أحمد [١٤٣] من قوله ـــ أي ابن عباس : «مكث النبيﷺ أيامًا بعد مجئ الوحي لا يرى جبريل ، فحزن حزنًا شديدًا حتى كان يغدو إلى ثبير مرة ، وإلى حراء أخرى ، يريد أن يلقى نفسه» ، غير مسلّم من وجوه :

أولها : أن حديث ابن عباس من رواية الواقدي[١٤٤] وهو معروف بالضعف .

ثانيها : إذا صح سند الحديث إلى ابن عباس ر ضي الله عنهما ، فابن عباس لم يرفعه إلى النبيﷺ، ولا إلى من سمعه من النبيﷺ ، فهو اجتهاد لا يعلم معتمده في أمر لا سبيل إلى معرفته إلا بإخبار من النبيﷺ ، ولم يثبت هذا الإخبار ، فالحديث موقوف على ابن عباس ، فيكون في منزلة بلاغ الزهري يجب رفضه كرفض بلاغ الزهري ، وإبطاله كإبطاله ، ولعل هذا الحديث الضعيف في سنده ، الباطل في متنه ونصه هو مستند بلاغ الزهري .

(١٤٢) في «الطبقات الكبرى» (١ / ١ / ١٣٠ ـ ١٣١) .
(١٤٣) لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد .
(١٤٤) هو : محمد بن عمر الواقدي ، وهو متهم بالكذب .

وقد ثبت في الصـحيح أن النبيﷺ تحدث عن فترة الوحي ، ولم ترد في كلامه كلمة واحدة تشـعر بما تقحمته هذه التخرصـات الباطلة والمزاعم الفا سدة التي جاءت في بلاغ الحزن اليائس من أنهﷺ كان في مدة فترة الوحي يغدو إلى ذرا شواهق الجبال ليرمي نفسه من فوقها ، لما انتابه من حزن يائس على فتور الوحي ، ومعاذ الله أن يكون هذا المنكر قد دار في خلد محمد رسول الله سيد الخلقﷺ .

أخرج الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما من الأئمة عن ابن شهاب الزهري قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول اللهﷺ يقول : «ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قِبَل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسـي بين السـماء والأرض ، فجئثت [١٤٥] منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي ، فقلت لهم : **«زملوني ، زملوني ، زملوني»** فأنزل الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ ، ثم تتابع الوحي» .

ولعل الناظر في هذا البحث يعجب أن يكون هذا الحديث الصحيح ، وهو يقص ما حدث للنبيﷺ في فترة الوحي ـــــ وهي فترة الحزن اليائس في نص البلاغ الزائف ـــ يرويه الزهري نفسه ، وهو صاحب بلاغ التردي من ذرا شواهق الجبال ، وليس في حديثه المسند الموثق بصحة سنده كلمة واحدة تشعر من قريب أو بعيد بما جاء في تخرصـات البلاغ الذي لم يسـند ، فكيف ومن أين عرف المتخرصـون أن النبيﷺ كان يغدو في فترة الوحي إلى ذرا شـواهق الجبال ليرمي نفسه من فوقها ؟ وهوﷺ وقد تحدث عن فترى الوحي لم يقل شيئًا من تلك المزاعم التي جاء بها البلاغ الزائف ، ولو كانﷺ قال شيئًا مما تخرص به ذلك البلاغ لنقل مرفوعًا إليه نقلاً متواترًا أو مشـهورًا ، لا بلاغًا غير مسـند ؟ كيف ولو كان لذلك وجود في حياة النبيﷺ لكان من أعظم الأحداث التي تتضافر الرواة والنقلة على روايته ونقله ، ولكنه لم ينقل مرفوعًا ، ولا روى مسندًا ، فهو باطل منكر .

ولقد عُرِفَ أن النبيﷺ كان يأنس إلى زوجه الوفية الأمينة السيدة خديجة رضي الله عنها ، أنسًا لم يأنسه بأحد سواها فيحدثها بما يكون قد رأى و سمع في خلوته بمتعبده ، أو في مرجعه إليها من غرائب الأحداث ، وعجائب الآيات ، وخوارق الإرهاصـات التي كانت تتراءى له تبشـيرًا ، فيجد عندها من مشاعر صدق الود والحنان ما يخفف من آثار ما عسى أن يكون قد شق عليه ، فهل ثبت أنهﷺ حدثها ، أو هي قد عرفت من تغير أحوال أنسه ولطفه أنه قد حزن ـــ بعد أن جاءته رسالة ربه ، ونزلت عليه آيات القرآن الكريم ، ثم فتر عنه الوحي فترة ـــ حزنًا غدا منه مرارًا إلى ذرا شواهق الجبال ليرمي نفسه من فوقها ؟ كلا لم يثبت ، ولم يُرْوَ شـيء من ذلك ، وكانت السـيدة خديجة في مكانتها من حياتهﷺ أقرب الناس وأجدرهم أن تعلم من حالهﷺ ما يخفى على سائر الناس ، وإذا لم يكن رسولﷺ قد تحدث إلى مأنسه وزوجه الأمينة الوفية عن هذا الحزن اليائس المزعوم حرصًا على شعورها من صدمة هذا الحزن المرير ، فأين عُصبة أسبق السابقين إلى الإيمان برسالتهﷺ الذين لم تكن لهم في إيمانهم كبوة نَظِرة ولا كان لهم تلبث لحظة : الصديق أبو بكر ، وعلى بن أبي طالب ، وزيد ابن حارثة ، و سواهم من الصفوة الذين لازموا رسول اللهﷺ ملازمة لا يخفى عليهم معها من أمره وأحواله شيء ، والبلاغ المزعوم : يقول إن فترة الحزن اليائس قد طالت وتعددت فيها غدوه رسول اللهﷺ إلى ذرا الشواهق ليلقي نفسه من فوقها، فهل ثبت عن واحد من هؤلاء السابقين كلمة واحدة تشعر بشيء مما زعمه بلاغ الحزن اليائس؟!

إن أمر هذا البلاغ عجب من العجب لا يرويه أحد من أخص أخصاء السابقين الأولين ، ولا من جاء بعدهم في ملازمة رسول اللهﷺ ويبقى سرًا مكتومًا حتى جاء معمر وشيخه الزهري فكُشف لهما حجابُه وتبدى لهما سرُّه !!

ومن أعجب العجب أن يقلب هذا البلاغ حكمة الله تعالى في فتور الوحي وتلطفه بنبيه وحبيبهﷺ ليجمَّ نفسه ، ويريح مشاعره وحواسه ، ويمسح عنه آثار روع المفاجأة التي رجف منها فؤاده ، وليزيده قوة في روحانيته بما يعتلج بقلبه من التشوق وشدة الشوق إلى مطالع أنوار الملكوت وسبحات الشهود ، إلى مأساة حزينة محزنة ، وعقوبة قاصمة باخعة .

وكيف تبقى دوافع العزيمة على التردي من شـواهق الجبال قائمة في نفس رسـول اللهﷺ بعد أن تبدَّى له جبريل عليه السـلام ، وهو يقول له : يا محمد إنك رسول الله حقًا ، فيسكن جأشه وتقر نفسه ، فيرجع عمّا كان قد عزم عليه ؟! ، أفما كان يكفي للقضاء نهائيًا على دوافع عزيمة التردي من شواهق الجبال ـــ لو كان لهذه العزيمة وجود في حياة رسول اللهﷺ ـــ تبدي جبريل في عظمة روحانيته ، وجلال ملائكيته ، ومقامه في الملأ الأعلى ، وما أوتيه من قدرة التشكل في صور التجليات العظمى وهو يقول لسيد الوجود : يا محمد إنك رسـول الله حقًا ، وأنا جبريل ، ورسـول اللهﷺ كان على أكمل اليقين في معرفته بعد مفاجأة الغار ، وإنزال آيات القرآن ، ولكن بلاغ الحزن اليائس لا يرى ذلك كافيًا ، بل يمضي في نسج خيوط الأبطولة

---

(١٤٥) أي رعبت حتى وقعت على الأرض .

فيقول : فإذا طالت على رســول اللهﷺ فترة الوحي غدا إلى ذرا الشــواهق ليلقي نفســه من فوقها ، ويدركه الأمين جبريل مرة أخرى ، ويتبدى له بصورته الملائكية العظمى قائلاً : يا محمد إنك ر سول الله حقًا ، وأنا جبريل حتى عاد الوحي وتتابع . ماذا يسمى كل هذا في شرعة الإيمان ؟ بَلْهَ في حق النبوة ، وقدر الرسالة حق قدرها ؟

أفٍ للعقول التي لا ترتفع بإيمانها عن حضـيض سـبخات الأرض التي لا تنبت كلأ ، ولا تمسـك ماء ، وأفٍ للقلوب التي لا ترى عنوان كمال النبوة إلا على نونصة فتائل مصابيح العقول التي نفد زيتها ، فهي تمتص عصارة ما علق في خيط الفتائل ، وتمضى إلى حيث تلفظ آخر برقة في حياتها مستسلمة لأحضان الظلام في محيط الفناء» (١٤٦) .



(١٤٦) «محمد رسول اللهﷺ» (١ / ٣٨٥ ــ ٤١٤) باختصار .

الرد على الإمام الإسماعيلي في توجيهه لقصة التردي

ذهب الإمام الإسماعيلي ــ رحمه الله ــ إلى توجيه أبطولة التردي، فقال : «أما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نبئ ، فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفًا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعًا ، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلاً ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه» [١٤٧] .

وهذا التوجيه الذي ذكره الإسماعيلي ــ رحمه الله ــ مردود من وجهين :

الأول : أن هذا التوجيه مبني على صحة بلاغ الزهري ، لأن التأويل فرع الصحة ، ولكن بعد ثبوت بطلان هذا البلاغ ، فلا يكون هناك حاجة لتوجيهه .

الوجه الثاني : إن هذا التوجيه يقدح في مقام النبوة ، ويقدح في مقام النبيﷺ ، لأن النبوة تعصم من تحلى بها عن الإقدام على إهلاك نفسه مهما كانت دوافع هذا الفعل ، وأن النبيﷺ قد ا صطفاه الله عز وجل لر سالته ، وأعده لتحمل أعبائها وأثقالها ، فكيف يقال بعد ذلك إنه أراد إهلاك نفسه لضعف قوته عن تحمل أعباء النبوة ، ثم كيف يكرر النبيﷺ محاولة التردي من رؤوس الجبال مرارًا ، وفي كل مرة يتبدى له جبريل عليه السلام ، ويقول له : يا محمد إنك رسول الله حقًا ؟!! ، كل هذا يجعل ما قاله الإسماعيلي ــ رحمه الله ــ مردود غير مقبول .

هل يوجد في صحيح البخاري أحاديث ضعيفة ؟

فهم بعض الناس أن تضعيف زيادة الزهري هذه تعني أن صحيح البخاري به أحاديث ضعيفة !! ، وهذا فهم خاطئ لأن هذه الزيادة ليست على شرط الإمام البخاري في صحيحه والتي وضعها لقبول الأحاديث المتصلة الإسناد كما ذكرنا ولزيادة إيضاح هذه المسألة المهمة ــ وحتى لا يتصور أن كل رواية أوردها البخاري في صحيحه يطلق القول بصحتها ــ أقول : إن الروايات التي أوردها الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ في صحيحه تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأحاديث المسندة إلى النبيﷺ ، وهذه الأحاديث كلها صحيحة ، وهي أصل موضوع صحيح البخاري ، وهي سبب تسمية الإمام البخاري لصحيحه بـ«الجامع الصحيح المسند من حديث رسول اللهﷺ وسننه وأيامه» .

القسم الثاني : الأحاديث المعلقة ، والحديث المعلق هو الذي سقط من أول إسناده راوٍفأكثر على التوالي ولو إلى آخر الإسناد .

وأغلب الأحاديث المعلقة يوردها الإمام البخاري في تراجم الأبواب ومقدماتها ، وهذه الأحاديث على نوعين :

الأول : أن يكون الحديث الذي علَّقه البخاري قد رواه موصولاً في موضع آخر من صحيحه ، فإن قال قائل : إذا كان الحديث موصولاً عنده فلماذا يرويه في موضع آخر معلقاً ؟

وقد أجاب ابن حجر ــ رحمه الله ــ على هذا السؤال فقال : «اعلم أن البخاري ــ رحمه الله ــ كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع ويستدل به في كل باب بإسناد آخر ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه ، وقلما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد ، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها والله أعلم بمراده منها .

فمنها : أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر ، والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة [١٤٨] ، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرًا إلى مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة .

ومنها : أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة ، يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى .

---

(١٤٧) «فتح الباري» (١٢ / ٣٧٧) .

(١٤٨) أي التفرد .

ومنها : أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة ، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقليها .

ومنها : أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدَّث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى ، وحدَّث به آخر فعبَّر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه ، ويفرد لكل لفظة بابًا مفردًا .

ومنها : أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال منبهًا على أنه لا تأثير له عنده في الوصل .

ومنها : أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك (١٤٩) .

ومنها : أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين .

ومنها : أنه ربما أورد حديثًا عنعنه راويه فيورده من طريق أخري مصرحًا فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن ، فهذا جميعه يتعلق بإعادة المتن الواحد في مو ضع آخر أو أكثر . وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان المتن قصيرًا أو مرتبطًا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعداً ، فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيًا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية ، وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك كما تقدم تفصيله فتستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث ، **وربما ضاق عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له إلا طريق واحد فيتصرف حينئذ فيه فيورده في موضع موصولاً وفي موضع معلقًا**» (١٥٠) .

وأما النوع الثاني من الأحاديث المعلقة فهو ألا يوجد الحديث في صحيح البخاري إلا معلقًا ، وهذا النوع له صورتان : الأولى : أن يورد البخاري الحديث بصيغة الجزم كتصديره الحديث بقوله «قال» .

الثانية : أن يورده بصيغة التمريض كتصديره الحديث بقوله «يذكر».

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «فالصيغة الأولى يستفاد منها الصحة إلى من علَّق عنه ، لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث فمنه ما يلتحق بشرطه ومنه ما لا يلتحق ، أما ما يلتحق فالسبب في كونه لم يوصل إسناده إما لكونه أخرج ما يقوم مقامه فاستغنى عن إيراد هذا مستوفي السياق ولم يهمله بل أورده بصيغة التعليق طلبًا للاختصار، وإما لكونه لم يحصل عنده مسموعًا أو سمعه وشك في سماعه له من شيخه أو سمعه من شيخه مذاكرة (١٥١) فما رأي أنه يسوقه مساق الأصل» (١٥٢) .

قلت : وهذا من دقة الإمام البخاري رحمه الله وشدة أمانته العلمية .

وقد تتبع الحافظ ابن حجر أحاديث البخاري المعلقة بصيغة الجزم في دووابن السنة فوجد أنها متصلة بأسانيد صحيحه ، كما بين ذلك في كتابه «تغليق التعليق» .

القسم الثالث : وأما القسم الثالث من أحاديث صحيح البخاري فهو الآثار الموقوفة على الصحابة أو التابعين .

---

(١٤٩) أي أنه أورد الموقوف لينبه على أنه لا تأثير له عنده في الرفع .
(١٥٠) «هدي الساري مقدمة فتح الباري» (ص١٩ ، ٢٠) ط المكتبة العصرية ، بيروت .
(١٥١) أي ليس في مجلس تحديث .
(١٥٢) المصدر السابق (ص٢١) .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «أما الموقوفات فإنه ــ أي البخاري ــ يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان في إسناده ضــعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبرًا إما بمجيئه من وجه آخر وإما بشــهرته عمن قاله ، وإنما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصــحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة ، فحينئذ ينبغي أن يقال جميع ما يورده فيه إما أن يكون مما ترجم به أو مما ترجم لها ، فالمقصود من هذا التصنيف ــ أي صحيح البخاري ــ بالذات هو

الأحاديث الصــحيحة المســندة وهي التي ترجم لها ، والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والأحاديث المعلقة نعم والآيات المكرمة ، فجميع

ذلك مترجم به إلا أنها إذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضًا بالنسبة إلى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسَّر ومنها مفسِّر ، فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ، ولكن المقصــود بالذات هو الأصــل فافهم هذا فإنه مخلص حســن يندفع به اعتراض كثير عمَّا أورده المؤلف من هذا القبيل» [١٥٣] .

(١٥٣) «هدي الساري» (ص٢٤) .

بشارة التوراة والإنجيل بمجيء رسول الله ﷺ

ورد في التوراة [154] والإنجيل [155] البشارة بمجيء رسول الله ﷺ برسالته الخاتمة .

■ بشارة التوراة ■

ورد في سفر التثنية أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» .

وهذا النص يشير إلى بعثة الرسول ﷺ ، لأن أخوة بني إسرائيل هم العرب ، فإن بني إسرائيل من نسل إسحاق عليه السلام ، والعرب من نسل إسماعيل عليه السلام ، وهما أخوان ، وأبوهما هو إبراهيم عليه السلام ، والنبي المماثل لموسى عليه السلام هو محمد ﷺ ، لأنه لم يأت نبي بعد موسى عليه السلام بشريعة كاملة جامعة بين العقيدة والتشريع مستقلة غير محمد ﷺ ، فهو النبي المماثل لموسى عليه السلام الذي خوطب بهذا النص ، ولا معنى للأخوة لو كان هذا النبي الموعود من بني إسرائيل كما يزعم المحرفون ، لأنه حينئذ يكون من أنفسهم لا من إخوتهم .

يقول السموأل بن يحيى المغربي ــ وهو أحد ــ اليهود الذين أسلموا [156] ــ : «إنهم ــ أي اليهود ــ لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة : «نابي أقيم لا هيم مقارَبْ اجئهيم كاموخا إيلا ويشماعون» .

تفسيره «نبيًا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا» .

وإنما أشــار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ ، فإن قالوا : إنه قال : «من وســط إخوتهم» وليس في عادة كتابنا أن يعني بقوله «إخوتكم» إلا بني إسرائيل .

قلنا : بلى ، فقد جاء في التوراة «إخوتكم بنو العيص» ، وذلك في الجزء الأول من الســفر الخامس قوله : «أَيَّم عوبريم بقبول أحيحم بني عَيْسَــا ومحو شئيم بسيْعير» ، تفسيره: «أنتم عابرون في تُخم إخوتكم بني العيص المقيمين في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم» ، فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسـرائيل ، لأن العيص وإسـرائيل ولدا إسـحاق، فكذلك بنو إسـماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم» ، وإن قالوا : إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائيل النبي عليه السلام ، لأنه قال : «من وسط إخوتهم مثلك» ، وشموائيل كان مثل موسى ، لأنه من أولاد ليوي ـــــ يعنون : من السِّبط الذي كان منه موسى [157] .

قلنا لهم : فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل وأنتم تقولون: إن شموائيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ ؟ أأشفق من ألا تقبلوه ؟! إنه إنما أرسل ليقوّي أيديكم على أهل فلسطين ، وليردكم إلى شرع التوراة ، ومنْ هذه صفته فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به ، لأنه إنما يُخافُ مكذبيكم لمن ينسـخ مذهبكم، ويغير أوضـاع ديانتكم ، فالوصـية بالإيمان به مما لا يسـتغني مثلكم عنه ، ولذلك لم يكن لموسـى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرْميا وأشعيا وغيرهم من الأنبياء ، وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى ﷺ وأتباعه» [158] .

ويوجد نص آخر في التوراة يشير إلى نبوة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهو :

---

(١٥٤) يقصد بالتوراة أسفار موسى الخمسة ، هي : سفر التكوين ، و سفر الخروج ، و سفر اللاويين ، و سفر العدد ، و سفر التثنية فقط ، وأما باقي أسفار الأنبياء فقد ألحقت بأسفار موسى صلى الله عليه وسلم ، وسمي الجميع بالعهد القديم .

(١٥٥) الإنجيل : كلمة يونانية بمعنى الخبر السعيد أو البشارة ، وقد تداول النصارى في القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل ، ثم اعتمد مجمع نيقية المسـكونى سـنة ٣٢٥م أربعة كتب ، وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، بالإضـافة إلى عدد من الرسـائل منسوبة إلى بولس ، وبعض تلاميذ السيح عليه السلام ، وهم : يعقوب ، وبطرس ، ويوحنا ، ويهوذا ، وكلها تعرف بالعهد الجديد .

(١٥٦) وكان اسمه في اليهودية بالعبرانية «شموائيل بن يهوذا بن آبون» .

(١٥٧) وأيضًا فإن قوله (مثلك) يدل على أن هذا النبي الموعود صاحب شريعة عامة مثل موسى عليه السلام ، وهذا يبطل حمله على شموائيل .

(١٥٨) «إفحام اليهود» (ص١١١ ــ ١١٣) ط دار الهداية بالقاهرة . وانظر «هداية الحيارى» لابن القيم (ص١١٥ ــ ١١٦) .

«وآمادَ أَذُوناي مِسِّيناىْ إشكَلّي ودَ بهْورْ يَقَايْه مِسْيعير اثحزي لاَنَا اسْتَخي بغبورْتيه تملْ طوراد فإران وعمّية ربواث قد يسين» .

قال السموأل بن يحيى : «تفسيره : إن الله تعالى من سيناء تجلى ، وأشرق نوره من سيعير ، وأطلع من جبل فاران ومعه ربوات القديس» .

وهم يعلمون أن جبل سـيعير هو جبل الشـراة الذي فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسـى عليه السـلام ، بل في هذا الجبل كان مقام المسـيح عليه السلام ، ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور ، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة وفي الإ شارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم .

فأما الدليل الوا ضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إ سماعيل لمّا فارق أباه الخليل عليه السلام سكن إ سماعيل في بَرِّية فاران ، ونطقت التوراة بذلك في قوله : «وييسب بمذبار فاران وتقّاح لو إمّو إشَّامَيْاء يزمن مصرايم» .

تفسيره : «وأقام في برية فاران وأنكحتْه أمُّه امرأة من أرض مصر» (١٥٩) .

فقد ثبت في التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل ، وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل لأنهم سكان فاران .

وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل : محمد ﷺ ، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل ، فدلّ ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة ، وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وبشرتْ به» (١٦٠) .



(١٥٩) جاء في سفر التكوين (٢١ ــ ٢٢) : «وسكن في بريه فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» .
(١٦٠) «إفحام اليهود» (ص١١٧ ــ ١٢٠) ، وانظر «هداية الحيارى» (ص ١١٧ ــ ١٢٢) .

بشارة الإنجيل بالرسول ﷺ

بشَّر الإنجيل بالرسول ﷺ ، وذلك عندما أشار إليه بلفظ «الفارقليط» ، فقد ورد في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا ، وما بعده : «إن المسيح قال للحواريين: إني ذاهب ، وسيأتيكم الفارقليط روح الحق ، لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له ، وهو يشهد عليَّ ، وأنتم تشهدون ، لأنكم معي من قبل الناس ، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به» .

وفي موضع آخر من إنجيل يوحنا : «الفارقليط لا يجيئكم مالم أذهب ، وإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ، ولكنه مما يسمع به ، ويكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب» .

وفي موضع آخر : «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي [١٦١] باسمي ، وهو يعلمكم كل شيء» .

وفي موضع آخر : «إني سائل له أن يبعث إليكم فارقليطًا آخر يكون معكم إلى الأبد ، وهو يعلمكم كل شيء» .

وفي مو ضع آخر : «ابن البشر ذاهب ، والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ، ويفسر لكم كل شيء ، وهو يشهد لي كما شهدت له ، فإني أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل» .

قال أبو محمد بن قتيبة ــ رحمه الله ــ : «هذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنما اختلف لأن من نقلها عن المسيح ﷺ في الإنجيل من الحواريين عدة «الفارقليط» بلغتهم من ألفاظ الحمد ، إما أحمد ، أو محمد ، أو محمود ، أو حامد ، أو نحو ذلك ، وهو في الإنجيل الحبشي» «برنعطيس» [١٦٢] .

وقال الأنبا أثنا سيوس : «إن لفظ فارقليط إذا حُرف نطقه قليلاً يصير «بير يكليت» ، ومعناه الحمد ، أو الشكر ، وهو قريب من لفظ أحمد» [١٦٣] .

وقال الأستاذ عبد الوهاب النجار : سألت الدكتور (كارلو نيلنو) المستشرق الإيطالي عن معنى كلمة (فارقليط) ، وهي تكتب أحيانًا (بارقليط) ، وأحيانا (بار كليت) إذا تصرف المترجمون في اللفظة لدى نقلها عن اللغات الأصلية الثلاث ، وهي العبرية والكلدانية واليونانية ، فأجاب الدكتور (كارلو نيلنو) بأن معناه (الذي له حمد كثير) ، وهذا يوفق أفعل التفضيل في أحمد [١٦٤] .

وقد حاول بعض النصارى إنكار هذه الحقيقة ، فقالوا: إن الفارقليط كلمة سريانية تعني المخلص ، وهو المسيح عليه السلام ، ولكن هذا الكلام مردود ، لأن المسيح عليه السلام لم تكن لغته السريانية ، وإنما تكلم بالعبرانية ، والإنجيل نزل باللغة العبرانية ، ثم كيف يكون الفارقليط هو المسيح نفسه ، وهو يحدث حوارييه عن شخص آخر غيره ، فيقول لهم : «إني ذاهب وسيأتيكم الفارقليط» ويقول : «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب» ويقول : «إني سائل له أن يبعث إليكم فارقليطًا آخر» .

ولما كانت هذه النصوص صريحة في أن المسيح عليه السلام يتحدث عن شخص آخر غيره ، قال بعض النصارى ـــ لإصرارهم على إنكار الحقيقة ــ إن الفار قليط هو روح نزلت على الحواريين!! وهذا القول مردود كسابقه لأن النصوص السابقة تتحدث عن شخص يأتي بعد عيسى عليه السلام ، وليس عن روح!!

---

(١٦١) إن عيسى عليه السلام بريء من هذا التخريف ، وهذا الشرك لأن الله تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .
(١٦٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص١٢٢) .
(١٦٣) «نبوءة محمد في الكتاب المقدس» دكتور أحمد حجازي السقا .
(١٦٤) انظر «خاتم المرسلين» دكتور يوسف الشال (ص٣٥) .

قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : «هذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على أمر معنوي في قلب بعض الناس لا يراه أحد ولا يسمع كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شيء ، ويذكرهم بكل ما قاله المسيح ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويرشد الناس إلى جميع الحق ، ولا ينطبق من عنده ، بل يتكلم بما يســمع ، ويخبرهم بكل ما يأتي ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين ، وهذا لا يكون ملكًا لا يراه أحد ، ولا يكون هدىً وعلمًا في قلب بعض الناس ، ولا يكون إلا إنسانًا عظيم القدر ، يخاطب بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشراً رسولاً ، فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على محمدﷺ »[١٦٥] .

---

(١٦٥) هداية الحيارى» (١٢٩) باختصار يسير .

إخبار علماء اليهود والنصارى ببعثة الرسولﷺ

لقد سجلت كتب التاريخ والأديان شهادات لبعض علماء اليهود والنصارى يخبرون فيها ببعثة الرسولﷺ كما ورد ذلك في كتبهم المقدسة .

وهؤلاء العلماء لم يرتضوا لأنفسهم أن يكتموا الحق الذي علموه كما فعل غيرهم، قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٤٦] ومن هؤلاء :

■ الراهب بحيرا ■

الراهب بحيرا كان من كبار علماء النصارى، وهو مشهور عندهم وسيرته مبثوثة في كتبهم .

وقد التقى بحيرا النبيﷺ قبل أن يبعث ، وعندما رأى بحيرا علامات نبوته ﷺ أخبر بأنه هو الر سول الذي قرأ صفته ونعته في الكتب المقد سة ، وقال لقومه : «هذا رسول رب العالمين ، يبتعثه الله رحمة للعالمين» .

عن أبي مو سى الأ شعري ﷺ قال : «خرج أبو طالب إلى الشام [١٦٦] ، وخرج معه النبيﷺ في أ شياخ من قريش، فلما أ شرفوا على الراهب [١٦٧] هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول اللهﷺ وقال **«هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين ، يبتعثه الله رحمه للعالمين»** ، فقال له أشياخ من قريش : ما عِلْمُك ؟ فقال : إنكم حين أشـرفتم من العقبة لم يبق شـجر ولا حجر إلا خرّ سـاجدًا ، ولا يسـجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسـفل من غضروف كتفه مثل التفاحة [١٦٨] ، ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلمّا أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال : أر سلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجد القوم قد سبقوه إلى في الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال ــــ أي بحيرا ــــ: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ...» الحديث [١٦٩] .

■ إخبار ابن الهيِّبان اليهودي بقرب بعثة النبيﷺ ■

أخرج ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٦ ــــ ٢٢٧) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٩) بسند صحيح عن أحد أشياخ بني قريظة [١٧٠] أنه قال : «إن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له : ابن الهيِّبان قدم علينا قبل الإ سلام بسنين فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا [١٧١] ، فيقول: لا والله حتى تقدِّموا بين يدي مخرجكم صـدقة ، فنقول كم ؟ ، فيقول : صـاعًا من تمر أو مدين من شـعير ، قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيسـتسـقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث .

قال : ثم حضـرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشـر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا أنت أعلم .

---

(١٦٦) للتجارة .

(١٦٧) يعني بحيرا ، فقد صرح باسمه في روايات أخرى .

(١٦٨) سيأتي الحديث عن خاتم النبوة وصفته .

(١٦٩) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٦٢٠) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١ / ٥٣) والحاكم في «المستدرك» (١ / ٦١٥ ــــ ٦١٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٥ـ٦ ، ٧ ، ٨) ، وصححه الحاكم .

(١٧٠) بنو قريظة طائفة من يهود المدينة .

(١٧١) أي ادع الله تعالى أن ينزل علينا المطر .

قال : فإني إنما قدمت هذه البلد أتوكَّف [١٧٢] خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه فلا تُسْبَقَنَّ إليه يا معشر يهود» .

■ إخبار يوشع اليهودي بقرب بعثة النبي ﷺ ■

عن سلمة بن وقش ﷺ ــ وكان من أهل بدر ــ قال : «كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل ــ قال : فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل – قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فينا سنًا ــ فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصــحاب أوثان لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو تَرَى هذا كائنًا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذي يُحلف به ويودُّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدًا . قالوا : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأ شار بيده إلى نحو مكة واليمن . قالوا : ومتى تراه ؟ قال فنظر إليّ وأنا أحدثهم سنًا فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا رسول الله ﷺ » [١٧٣] .

■ شهادة النجاشي ملك الحبشة برسالة النبي ﷺ وإعلان إسلامه ■

كان النجاشي ملك الحبشة، على دين النصرانية ، وكان يقرأ الإنجيل ويجد فيه صفة رسول الله ﷺ ، وعندما بعث النبي ﷺ شهد له النجاشي بأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى عليه السلام في الإنجيل ، ثم أعلن إسلامه ، وهذه قصته .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو مو سى الأ شعري ، فأتوا النجا شي . وبعثت قريش عمرو بن العاص [١٧٤] وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له : إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : في أر ضك فابعث إليهم ، فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم ، فاتَّبعوه فَسلَّم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال – أي النجاشي – وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسولاً ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم . قال : فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد [١٧٥] . قال : فرفع عودًا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا [١٧٦] مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، أ شهد أنه ر سول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الر سول الذي بـشَّر به عيســى بن مريم ، وانزلوا حيث شــئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضــئه ، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما» [١٧٧] .

■ شهادة هرقل ملك الروم للنبي ﷺ بالرسالة ■

كان هرقل ملك الروم رجلاً حصيفًا عاقلاً ، وكان يعلم من الكتب السالفة بظهور الر سول ﷺ ، ولما جاءه الخبر بظهوره شهد له بالر سالة ، بل وأراد أن يؤمن به ولكن منعه من ذلك خشيته على ملكه !! ، وهذه قصته :

---

(١٧٢) أتوكف : أي أتوقع وأنتظر .

(١٧٣) **صحيح** : رواه أحمد (٣ / ٤٦٧) وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٥ ــ ٢٢٦) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٦) والحاكم (٣ / ٤١٧ ـ ٤١٨) وصححه ووافقه الذهبي . وعند أبي نعيم (وكان يقال له يوشع) .

(١٧٤) أي قبل إسلامه .

(١٧٥) أي لم يؤثر فيها ولم يَحُزها ، يعني قبل المسيح عليه السلام .

(١٧٦) يعني أن عيسى عليه السلام مخلوق كما أن هذا العود مخلوق .

(١٧٧) **حسن** : رواه أحمد (١ / ٤٦١) والحاكم (٢ / ٦٢٣) وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١ / ١١٨) وحسنه ابن حجر في «فتح الباري» (٧ / ١٨٩) وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» : هذا إسناد جيد قوى وسياق حسن .

عن عبد الله بن عباس ﷺ ، أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل (١٧٨) أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول ﷺ مادَّ (١٧٩) فيها أبا سـفيان (١٨٠) وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء (١٨١) ، فدعاهم في مجلسـه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال : أيكم أقرب نـ سبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نـ سبًا ، فقال : أدنوه مني ، وقربوا أ صحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه ، فو الله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عليه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نـسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نـسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحدٌ قط قبله (١٨٢) ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من مَلِك ؟ قلت لا . قال : فأشـراف الناس يتبعونه أم ضـعفاؤهم؟ فقلت : بل ضـعفاؤهم . قال أيزيدون أم ينقصـون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سـخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال (١٨٣) : ولم تُمْكِّني كلمة أدُخل فيها شـيئًا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فيكف كان قتالكم إيَّاه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سـجال ، ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشـركوا به شـيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسـألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسـألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسـألتك : أشـراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الر سل ، و سألتك أيزيدون أم ينق صون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى تيم ، و سألتك أيرتد أحد سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشا شته القلوب ، و سألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسـل لا تغدر ، وسـألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشـركوا به شـيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقًا فسيملك مو ضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لَغَسلْتُ عن قدمه» (١٨٤)

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله : (فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها) الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان عن العلم المقرر عنده في الكتب السالفة» (١٨٥) .

■ راهب نصراني يخبر سلمان الفارسي بقرب ظهور النبيﷺ ■

كان سلمان الفار سي ﷺ قبل إ سلامه يعيش في أ صبهان من بلاد فارس ، وكان متحيرًا في أمر دينه ويبحث عن الإله الحق لكي يعبده ، فدخل في المجوسية ثم تركها، ثم دخل في النصرانية وتركها ثم دخل في دين الإسلام بعد أن أخبره أحد رهبان النصارى بقرب ظهور الرسولﷺ بأرض العرب ، وأخبره بعلامات نبوته ، فرحل سـلمان إلى أرض العرب لكي يدخل في دين الإسـلام ، وفي سـبيل ذلك لاقى متاعب وعقبات كثيرة قبل أن يلتقي النبيﷺ ، ولكنه ثابر وواجه هذه العقبات حتى استطاع أن يلتقي النبيﷺ ويعلن إسلامه ، وهذه قصته :

---

(١٧٨) هرقل : بكسر الهاء وفتح الراء : ولقبه قيصر . وقد ملك إحدى وثلاثين سنة وفي أثناء ملكه توفى الرسولﷺ .

(١٧٩) أي في مدة الهدنة التي كانت بين الرسولﷺ وقريش .

(١٨٠) هو : أبا سفيان بن حرب ، وكان ذلك قبل إسلامه .

(١٨١) إيلياء : هي بيت المقدس .

(١٨٢) أي هل زعم أحد أنه رسول الله قبله .

(١٨٣) يعني أبو سفيان .

(١٨٤) رواه البخاري في «بدء الوحي» (٦) . ومسلم في «الجهاد والسير» (١٧٧٣) باب كتاب النبيﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام .

(١٨٥) «فتح الباري» (١ / ٤٨) .

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال : حدثني سلمان الفارسي ــ من فيه ــ قال : كنت رجلاً فارسيًا من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَيّ (١٨٦) ، وكان أبي دِهْقان قريته (١٨٧) ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار (١٨٨) الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة (١٨٩) . قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، فشُغل في بنيان له يومًا ، فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطَّلعها وأمرني ببعض ما يريد ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك عن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري ، قال : فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى وقد بعث في طلبي و شغلته عن أمره كله ، فلما جئت قال : أي بني أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال : قلت : يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فو الله مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال: قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا ، قال : فخافني فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته ، قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم فقلت إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني ، قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضل هذا الدين علمًا ؟ قالوا : الأسقف (١٩٠) في الكنيسة ، قال : فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأ صلي معك ، قال : أدخل ، فدخلت معه ، فكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا له شيئًا كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق(١٩١) ، قال : وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع ، ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا ، قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبدًا ، قال : فصلبوه ورموه بالحجارة وجاؤوا برجل آخر فوضعوه مكانه ، قال سلمان : فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه ، قال : فأحببته حبًا لم أحب شيئًا قبله مثله ، قال : فأقمت معه زمانًا ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إني قد كنت معك وأحببتك حبًا لم أحبه شيئًا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه إلا رجلاً بالموْصِل (١٩٢) ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالْحق به ، قال : فلمّا مات وغُيِّب (١٩٣) لحقتُ بصاحب الموْصِل فقلت : يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره ، فقال لي : أقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين (١٩٤) ، وهو فلان فالحق به ، فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحباي ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فو الله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضر قلت له : يا فلان إن فلانًا كان أوصي بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما

---

(١٨٦) جي : مدينة ناحية أصبهان القديمة .

(١٨٧) دهقان قريته : أي رئيسها .

(١٨٨) قطن النار : أي خادمها .

(١٨٩) تخبو : أي تنطفأ .

(١٩٠) الأسقف : عالم النصارى ورئيسهم .

(١٩١) الورق الفضة .

(١٩٢) أي مدينة الموصل بالعراق .

(١٩٣) غيب : أي دفن .

(١٩٤) نصيبين : مدينة شمال بلاد الشام وكانت قاعدة ديار ربيعة .

أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجل بعمُّوريَّة من أرض الروم [١٩٥] ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا ، فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه ، قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُهُ إلى أرض بين حرتين [١٩٦] بينهما نخل ، به علامات لا تخفي : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، قال : ثم مات وغيب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مرَّ بي نفر من كَلْب [١٩٧] تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم ، فأعطيتموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدًا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ في نفسي ، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي لها فأقمت بها ، وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فو الله إني لفي رأس عَذق [١٩٨] لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة[١٩٩]، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء [٢٠٠] على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي، قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرِّعدة [٢٠١] حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ ، قال : فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، قال : فقلت : لا شيء إني أردت أن استثبته عما قال، قال: وكان عندي شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ : «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل ، فقلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئًا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها، قال : فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان [٢٠٢] ، وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدبرته [٢٠٣] ، أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال لي رسول الله ﷺ : «**تحول**» ، فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : «**كاتب يا سلمان**» [٢٠٤] فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير [٢٠٥] ، وأربعين أوقية [٢٠٦] ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «أعينوا أخاكم» فأعانوني من النخيل : الرجل بثلاثين ودِّية [٢٠٧] والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشرة ، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي

---

(١٩٥) عمورية : بلد في بلاد الروم وهي التي فتحها المعتصم سنة ٢٢٣هـ .

(١٩٦) الحرة : كل أرض ذات حجارة سوداء .

(١٩٧) أي قبيلة كلب .

(١٩٨) العذق : النخلة بحملها .

(١٩٩) بنو قيلة : هم الأنصار .

(٢٠٠) قباء : موضع قرب مكة .

(٢٠١) الرعدة : الانتفاض والبرد .

(٢٠٢) الشملة : كساء غليظ يشتمل به الإنسان ، أي يلتحف به .

(٢٠٣) استدبرته : أي تحولت خلفه .

(٢٠٤) المكاتبة : العبد يكاتب على نفسه بثمنه ، فإذا أدى الثمن أعتقه سيده .

(٢٠٥) أحييها من الأحياء ، والفقير : الحفرة التي تغرس فيها الفسيلة .

(٢٠٦) أي من فضة .

(٢٠٧) الودية : واحدة الودي ، وهي صغار الغسيل .

ثلاثمائة ودية ، فقال لي رســول الله ﷺ: «**اذهب يا ســلمان ففقِّرلها** [٢٠٨] ، فإذا افرغت فائتني أكن أنا أضــعها بيدي» ، قال : ففقرت، وأعانني أ صحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج ر سول الله ﷺ معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودِيَّ ويضعه ر سول الله ﷺ بيده ، حتى إذا فرغنا ، فو الذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقى عليَّ المال، فأُتىَ ر سول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال : «ما فعل الفار سي المكاتب ؟» قال : فدُعيتُ له ، قال «**خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان**» ، قال : قلت : وأين تقع هذه مما عليَّ يا ر سول الله ، قال : «خذها فإن الله سيؤدي بها عنك» ، قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم ، وعُتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرًا ثم لم يفتني معه مشهد» [٢٠٩] .

شهادة عبد الله بن سلام ـ أحد أحبار اليهود ـ للنبي ﷺ بالرسالة

كان عبد الله بن سـلام رضي الله عنه قبل إسـلامه من كبار علماء اليهود ، وكان يعيش في مدينة رسـول الله ﷺ ، ولمّا هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ذهب إليه عبد الله بن سلام، وبعدما رأي عليه علامات النبوة والبشارات التي كان يقرؤها في التوراة أعلن إسلامه بين يدي الرسول ﷺ ، وهذه قصته :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أ شراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : «**.. أما أول أ شراط الساعة فنار تحشرهم من المشــرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت** [٢١٠] **، وأما الولد فإذا سـبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه »**، قال :أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهتُ ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود ، فقال النبي ﷺ : «**أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟**» قالوا : خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا ، فقال النبي ﷺ : «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام**» قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك ، فخرج إليهم عبد الله بن سلام فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، قالوا : شرُّنا وابن شرنا ، وتنقصوه . قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله» [٢١١] .

قال ابن القيم ـــــ رحمه الله ـــــ : «أسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبي ﷺ المدينة لمّا رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه ، وترك الأغراض التي منعت المغضوب عليهم من الإسلام ، من الرياسة والمال والجاه بينهم ، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله ﷺ أنه رئيسهم وخيرهم وسـيدهم ، فعلم أنهم إن علموا بإسـلامه أخرجوه من قلك الرياسـة والسـيادة ، فأحب أن يعلم رسـول الله ﷺ بذلك ، فقال : أدخلني بعض بيوتك و سلهم عني ففعل ، و سألهم عنه فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم ، فخرج عليهم وذكّرهم وأوقفهم على أنهم يعلمون أنه ر سول الله وقابلهم بذلك ، فسبوه وقدحوا فيه وأنكروا رياسته وسيادته وعلمه ، فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البهت ، وهكذا شأن من أسلم من اليهود حينئذ ، وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته ، وقال: إن هؤلاء قد عظمونا ورأسونا ومولونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا ، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عيانًا .

ولقد ناظرت بعض علماء النصـارى معظم يوم ، فلما تبين له الحق بهت ، فقلت له وأنا وهو خاليان : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لي : إذا قدمت على هؤلاء الحمير ـــ هكذا لفظه ـــ فرشوا لنا الشقاف تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة ولا أحفظ قرآنًا ولا نحوًا ولا فقها، فلو أسلمت لدُرت الأسواق أتكفف الناس ، فمن الذي يطيب نفسًا بهذا ؟

---

(٢٠٨) أي احفر لها .

(٢٠٩) **صحيح** : رواه أحمد (٥ / ٤٤١ ـــ ٤٤) وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١ / ١٣٥ ـــ ١٤٠) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة ، وابن الجوزي في «الحدائق» (١ / ٤١٣ ـــ ٤١٨) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤ / ٧٥ ـــ ٨٠) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢ / ٤١٧ ـــ ٤١٩) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١ / ٥٠٦ ـــ ٥١١) والطبراني في «المعجم الكبير» (٦ / ٢٢٢ ـــ ٢٢٦) رقم (٦٠٦٥) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١ / ٢٥٨ ـــ ٢٦٤) رقم (١٩٩) ط دار النفائس ، وابن حبان في «الثقات» (١ / ٢٤٩ ـــ ٢٥٧) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغدادي» (١ / ١٦٥ ـــ ١٦٩) .

(٢١٠) قال ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ : «الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد وهي في المطعم في غاية اللذة ، ويقال: إنها أهنأ طعام وأمرأه .. والنون هو الحوت» .

(٢١١) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٩٣٨) باب كيف آخي النبي ﷺ بين أصحابه .

فقلت : هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك يُخزيك ويُذلك ويُحوجك ؟! ، فلو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عمّا فاتك ، فقال : حتى يأذن الله ، فقلت : القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح ، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ، ولا سيما وأنتم تكذِّبون بالقدر ، فكيف تحتج به ؟ فقال : دعنا الآن من هذا وأمسك» [٢١٢] .

■ إخبار أحد اليهود أن صفة النبيﷺ وصفة أمته في التوراة ■

عن عبد الله بن مسعود ﷺ ، أن النبيﷺ دخل الكنيسة ، فإذا بيهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبيﷺ أمسكوا ، وفي ناحيتها رجل مريض ، فقال النبيﷺ : **«ما لكم أمسكتم»،** قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبيﷺ وأمته ، فقال : هذه صفتك و صفة أمتك ، أ شهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، ثم مات ، فقال النبيﷺ : **«لُو أخاكم»**[٢١٣] ، أي تولوا أمر أخيكم بالغسل والتكفين والصلاة عليه ودفنه .

***

■ تحمل النبيﷺ أذى المشركين ■

تكالب المشركون على رسول اللهﷺ بالإيذاء منذ اللحظة الأولى التي جهر فيها بالدعوة للإسلام، وكان أشد الناس إيذاء له ، هم أقرباؤه وأهله لا سيما عمه أبو لهب .

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال : لمَّا نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ... خرج رسول اللهﷺ حتى صعد الصفا ـــ أي جبل الصفا ـــ فهتف : **«يا صباحاه»** [٢١٤] فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : **«يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب»** فاجتمعوا إليه، فقال : **«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقي ؟»** .

قالوا : ما جربنا عليك كذبًا ، قال : **«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شـــديد»** قال : فقال أبو لهب : تبًا لك أما جمعتنا إلا لهذا ، ثم قام فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٢١٥] ، وأبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه .

***

وعن ربيعة بن عباد الديلي ـــ وكان جاهليًا فأسلم ـــ قال : رأيت رسول اللهﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : **«يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا»** والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضـــيء الوجه ، أحول ، ذو غديرتين يقول : إنه صـــابئ [٢١٦] كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب» [٢١٧] .

---

(٢١٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٢٣٠ ـــ ٢٣١) .

(٢١٣) صحيح : رواه أحمد (١ / ٤١٦) .

(٢١٤) يا صباحاه : كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ، لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ، فكأن القائل : يا صباحاه ، يقول : قد غشينا العدو . «النهاية» لابن الأثير .

(٢١٥) رواه البخاري في «التفسير» (٤٩٧١) ومسلم في «الإيمان» (٢٠٨) .

(٢١٦) الصابئ : هو الذي خرج من دين إلى دين آخر .

(٢١٧) **صـحيح** : رواه أحمد (٣ / ٤٩٢ ، ٤ / ٣٤١) وعبد الله بن أحمد في زياداته على المسـند (٣ / ٤٩٢ ، ٤٩٣ و ٤ / ٣٤١ ـــــ ٣٤٢)والحاكم (٢ / ٦١٢) وابن حبان (٦٥٢٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٨٢ ، ٤٥٨٦ ٤٥٨٧ ، ٤٥٩٠) والبيهقي في «دلا ئل النبوة» (٢ / ١٨٦) والغوي في « معجم الصحابة » (٢/ ٣٩٧) .

وعن طارق بن عبد الله قال : إني بسوق ذي المجاز إذ مرّ رجل شاب عليه حُلة من برد أحمر وهو يقول : **«يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»** ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه ، يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه ، فقلت : من هذا ؟ قال : غلام من بني هاشم الذي يزعم أنه رسول الله ، وهذا عمه عبد العزي [٢١٨] .

***

وعن رجل من بني مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يقول : **«يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»** . قال : وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا اللات والعزى ، وما يلتفت إليه رسول الله . قلت : ـــ أي الراوي عن رجل بني كنانة ـــ : انعت لنا رسول الله ﷺ ، قال : بين بردين أحمرين ، مربوع ، كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشعر ، أبيض شديد البياض ، سابغ [٢١٩] الشعر [٢٢٠] .

***

وعن الحارث بن الحارث قال : قلت لأبي : ما هذه الجماعة ؟ قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم ، قال : فنزلنا فإذا رسول الله يدعوا الناس إلى توحيد الله عز وجل والإيمان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه ، أقبلت امرأة قد بدا نحرها [٢٢١]، تحمل قدحًا ومنديلاً ، فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : **«يا بنية خمري عليك نحرك ولا تخافي على أبيك»** ، قلنا : من هذه ، قالوا : هذه زينب ابنته [٢٢٢] .

***

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : سألت ابن العاص رضي الله عنه فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ، قال : بينما النبي ﷺ يصلى في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه ، فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبيه ــ أي بكتفيه ــ ودفعه عن النبي ﷺ قال : ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [غافر : ٢٨] [٢٢٣] .

وأخرج أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح ــ كما قال الحافظ في «الفتح» ــ عن أنس رضي الله عنه قال : «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر فجعل ينادي : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر» .

***

---

(٢١٨) **صحيح** : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٧٥) والدارقطني (٣/ ٤٤ ــ ٤٥) والحاكم (٢ / ٦١١ ، ٦١٢) والبيهقي في «دلائل» (٥ / ٣٨١) وابن حبان (٦٥٦٢) .

(٢١٩) سابغ : أي تام ، والمراد به الشعر المسترسل .

(٢٢٠) **صحيح** : رواه أحمد (٥ / ٣٧٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ١٨٧) .

(٢٢١) نحرها : صدرها .

(٢٢٢) **حسن** : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٧٣) .

(٢٢٣) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٨٥٦) باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت (٢٢٤) وأبو جهل وأصحاب له (٢٢٥) جلوس وقد نُحرت جذور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور (٢٢٦) بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم (٢٢٧) فأخذه فلمَّا سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحتُه عن ظهر رسول الله ﷺ (٢٢٨) ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت .

فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم (٢٢٩) ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا ، ثم قال : **«اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط»** وذكر السابع ولم أحفظه فو الذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيتُ الذين سمَّى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر (٢٣٠) .

وعن عائشة ﷺ قالت : قلت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ ، قال فقال : **«لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب (٢٣١) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (٢٣٢)**، فقال له رسول الله ﷺ : **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»** (٢٣٣) .

***

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رسول الله ﷺ كسرت رَبَاعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت (٢٣٤) الدم عنه ويقول : **«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله»** فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] (٢٣٥) .

وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«لقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ، وأُخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال»** (٢٣٦) .



(٢٢٤) أي البيت الحرام .

(٢٢٥) هم الستة الذين دعا عليهم النبي ﷺ في آخر الحديث ، وسابعهم أبو جهل .

(٢٢٦) قال النووي : السلا بفتح السين المهملة وتخفيف اللام مقصورة ، وهو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان ، وهي من الآدمية المشيمة . والجزور من الإبل ما يجزر أي يقطع .

(٢٢٧) قال النووي : هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية .

(٢٢٨) قال النووي : معناه لو كان لي قوة تمنع أذاهم أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني .

(٢٢٩) وهذا يدل على قوة نفس فاطمة الزهراء ﷺ من صغرها ، لشرفها في قومها ونفسها ، لكونها صرخت بشتمهم وهم رؤوس قريش ، فلم يردوا عليها كما جاء في بعض الروايات .

(٢٣٠) رواه البخاري في «الطهارة» (٢٤٠) ومسلم في «الجهاد والسير» (١٧٩٤) باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

(٢٣١) قرن الثعالب : موضع بقرب مكة .

(٢٣٢) الأخشبان : جبلان محيطان بمكة .

(٢٣٣) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم في «الجهاد والسير» (١٧٩٥) .

(٢٣٤) يسلت : أي يمسح .

(٢٣٥) رواه مسلم في «الجهاد والسير» (١٧٩١) باب غزوة أحد .

(٢٣٦) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ١٢٠ ، ٢٨٦) والترمذي (٢٤٧٢) وفي «الشمائل» (١٣٧) وابن ماجه (١٥١) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤ ، ١٤/ ٣٠٠) وأبو يعلى (٣٤٢٣) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٥٠) وابن حبان (٦٥٦٠) .

كتبه وبعوثه ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام

لم تقف دعوة النبيﷺ إلى الإ سلام عند حدود جزيرة العرب ، بل امتدت إلى بلاد كثيرة ، وكان النبيﷺ يبعث أ صحابه إلى ملوك هذه البلاد بكتب يدعوهم فيها إلى الإسلام.

قال ابن القيم ــــ رحمه الله ــــ : «فكتب إلى ملك الروم ، فقيل له : إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا إذا كان مختومًا ، فاتخذ خاتمًا من فضة ، ونَقَشَ عليه ثلاثة أسطر «محمد» سطر ، و «رسول» سطر ، و «الله» سطر [٢٣٧] ، وختم به الكتب إلى الملوك ، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع .

فأولهم عمرو بن أمية الضمري ، بعثه إلى النجاشي ، واسمه أصحمة بن أبجر ، وتفسير «أصحمة» بالعربية ، : عطية ، وأصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول اللهﷺ ليس هو الذي كتب إليه ، هذا الثاني لا يعرف إسلامه بخلاف الأول فإنه مات مسلمًا [٢٣٨] ، وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس قال : كتب رسول اللهﷺ إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ [٢٣٩].

وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، واسمه هرقل ، وهمَّ بالإ سلام وكاد، ولم يفعل [٢٤٠]، وقد روى أبو حاتم ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسـول اللهﷺ : **«من ينطلق بصــحيفتي هذه إلى قيصــر وله الجنة ؟»** ، فقال رجل من القوم : وإن لم يقبل ؟ قال : **«وإن لم يقبل»** فوافى قيصر وهو يأتي بيت المقدس ، قد جعل عليه بساط لا يمشي عليه غيره ، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى ، فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ، فنادى قيصر : من صاحب هذا الكتاب ؟ فهو آمن ، فجاء الرجل فقال : أنا، قال : فإذا قدمت فأتني ، فلما قدم أتاه ، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت ، ثم أمر مناديًا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمدًا وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به ، فقال لرسول رسول اللهﷺ : قد ترى أني خائف على مملكتي ، ثم أمر مناديه فنادى : ألا إن قيصر قد رضي عنكم ، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا ، فانصرفوا، وكتب إلى رسول اللهﷺ : «إني مسلم» ، وبعث إليه بدنانير ، فقال رسول اللهﷺ : **«كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية»** وقسم الدنانير» [٢٤١].

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، واسمه أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، فمزق كتاب النبيﷺ ، فقال النبيﷺ : **«اللهم مزق ملكه»** فمزق الله ملكه وملك قومه [٢٤٢] .

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، واسمه جريج بن مينا ملك الإسكندرية ، عظيم القبط ، فقال خيرًا ، وقارب الأمر ، ولم يُسلم ، وأهدى للنبي ﷺ مارية وأختيها سيرين وقيسرى، فتسري مارية [٢٤٣] ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت ، وأهدى له جارية أخرى ، وألف مثقال ذهبًا ، وعشرين ثوبًا من قباطي مصر ، وبغلة شهباء ، وهي دُلْدل ، وحمارًا أشهب ، وهو عفير ، وغلامًا خصيًا يقال له : مابور ، وقيل هو ابن عم مارية ، وفرسًا ، وهو اللزاز ، وقدحًا ، من زجاج وعسلاً ، فقال النبي ﷺ : «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه» .

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء .

---

(٢٣٧) رواه البخاري في «اللباس» (٥٨٧٨) باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر ؟ .

(٢٣٨) وعندما مات النجاشي بالحبشة نعاه النبي ﷺ ، وجمع الصحابة ، وصلى عليه صلاة الغائب .

(٢٣٩) رواه مسلم (٤٥٢٩) .

(٢٤٠) سبق ذكر قصته مع أبي سفيان بن حرب .

(٢٤١) **صحيح** : رواه ابن حبان (٤٥٠٤ ــ إحسان) .

(٢٤٢) انظر صحيح البخاري (٤٤٢٤) .

(٢٤٣) أي وطئها بملك اليمين ، وقد ولدت للنبي ﷺ ابنه إبراهيم .

وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن على الحنفي باليمامة فأكرمه ، وقيل : بعثه إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي ، فلم يسلم هوذة وأسلم ثمامة بعد ذلك ، فهؤلاء الستة قيل : هم الذين بعثهم رسول الله ﷺ في يوم واحد .

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد الله ابني الجُلندي الأزديين بعُمان فأسلما .

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم .

وبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن فقال : سأنظر في أمري .

وبعث أبا مو سى الأ شعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعيين إلى الإ سلام ، فأ سلم عامة أهلها طوعًا من غير قتال ، ثم بعث بعد ذلك على بن أبي طالب إليهم .

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع الحميري ، وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما .

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب ، وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير ، فلم يسلم .

وبعث إلى فزوة بن عمرو الجذامي يدعوه إلى الإسلام ، وكان فروة عاملاً لقيصر بمعان ، فأسلم .

وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ، ومسروخ ، ونعيم بني عبد كلال بن حمير [٢٤٤] .



(٢٤٤) «زاد المعاد» (١ / ٧٧ ــ ٨١) باختصار .

قَدْرُ النبي ﷺ ومنزلتُه عند ربه

للرسول ﷺ عند ربه منزلة عالية، وقدر عظيم، وقد أنزل الله في كتابه آيات تبين هذه المنزلة، فمن ذلك، أن الله عز وجل قرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومن ذلك أن الله تعالى أثنى على خلق رسوله ﷺ، فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن ذلك أن الله أقسم بحياة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] ولم يقسم الله بحياة أحد من الأنبياء غير محمد ﷺ.

قال ابن كثير ــــ رحمه الله ـــــ: «أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع، وجاه عريض.. عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره» [٢٤٥].

ومن ذلك أن الله تعالى لم يناد رسوله ﷺ باسمه، وإنما خاطبه وناداه بالنبوة والرسالة، وهذا بخلاف ما خاطب به تعالى أنبياءه، ورسله الآخرين، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ باسم الرسالة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى ــ مخاطبًا له باسم النبوة ــ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وغير ذلك في آيات كثيرة، بينما خاطب الله تعالى أنبيائه ورسله الآخرين بأسمائهم، فقال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]، وقال لآدم عليه السلام: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] وقال لعيسى عليه السلام: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ﴾ [المائدة: ١١٠].

ومن ذلك أن الله تعالى قد نهى عباده عن مناداة الرسول ﷺ باسمه، بل ينادونه بيا رسول الله، أو يا نبي الله، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور: ٦٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ، وأمرهم أن يقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله» [٢٤٦].

---

(٢٤٥) تفسر ابن كثير (٢/ ٥٥٥).

(٢٤٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٦).

ومن ذلك أن الله تعالى أمر عباده بالتأدب في حضرة رسوله ﷺ ، وتوعد من يخالف ذلك بالعقاب .

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات : ١ ــ ٥] .

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : «هذه آداب أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام ، فقال تبارك وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه ، أي قبله ، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور .

وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ ، هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يُخَاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ كما قال تعالى : ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور : ٦٣] وقوله عز وجل : ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ ، أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك ، فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري ، ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ ، أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً ، ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات ، وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب ، فقال : ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ، ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة» [٢٤٧] .

ومن دلائل عظيم قدر النبي ﷺ عند ربه ، أن الله تعالى قد تولى الدفاع عن رسوله ﷺ عندما اتهمه المشركون ، فعندما قالوا عنه مجنون ! ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير : ٢٢] ، وعندما اتهموه بأنه شاعر وكاهن ، وأن القرآن من تأليفه !! ، دافع عنه رب العزة ، فقال : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة : ٣٨ ــ ٤٣] ، وقال عجز وجل : ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ [الطور : ٢٩] ، وقال : ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس : ٦٩] ، وغير ذلك من الآيات .

ودفاع الله عز وجل عن نبيه ﷺ أمر لم يحظى به نبي من الأنبياء غير الرسول ﷺ ، فقد كان الأنبياء والرسل من قبله يدافعون عن أنفسهم في مواجهة اتهامات أعدائهم ، ومن ذلك قول الله تعالى ـــــ عن نوح عليه السلام ـ : ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ٦٠ ــ ٦١] ، وقال تعالى ــ عن هود عليه السلام ـ : ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ٦٦ ــ ٦٧] .

ومن تشـريف الله عز وجل لنبيه ﷺ أنه غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح : ١ ــ ٢] .

---

(٢٤٧) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٥ ــ ٢٠٨) باختصار .

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : «قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ، هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره ، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ، وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة» (٢٤٨) .

ومن تشريف الله عز وجل لرسوله ﷺ ، أنه أمرنا بالصلاة عليه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «إن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه ﷺ عقيب إخباره بأنه وملائكته يصلون على رسوله ، فصلوا أنتم أيضًا عليه ، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليما لما نالكم ببركة رسالته ، ويمن سفارته من خير شرف الدنيا والآخرة» (٢٤٩) .

وصلاة الله عز وجل على رسوله ﷺ معناها ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، قال أبو العالية ــ رحمه الله ــ : «صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة» (٢٥٠) ، وصلاة الملائكة على الرسول ﷺ تعنى الثناء عليه ، وصلاة العباد على الرسول ﷺ ، فمعناها الثناء عليه ، والطلب من الله عز وجل أن يرفع ذكره ، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا .

ومن تشريف الله عز وجل لنبيه ﷺ أنه جعل الصلاة عليه ﷺ من أسباب مغفرة الذنوب ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال : **«يا أيها الناس ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه»** قال أبي بن كعب قلت : يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال **«ما شئت»** قلت : الربع ، قال : **«ما شئت وإن زدت فهو خير»** ، قلت : الثلثين ؟ قال : **«ما شئت وإن زدت فهو خير»** قال : أجعل لك صلاتي كلها، قال : «إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك» (٢٥١) .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «سئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن تفسير هذا الحديث فقال : كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه ، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه ﷺ ، فقال : **«إن زدت فهو خير لك»** فقال له : النصف ؟ فقال : **«إن زدت فهو خير لك»** إلى أن قال : أجعل لك صلاتي كلها ؟ ، أي أجعل دعائي كله صلاة عليك قال : **«إذا تكفي همك ويغفر ذنبك»** لأن من صلى على النبي ﷺ صلاةً صلى الله عليها بها عشرًا ، ومن صلى عليه كفاه وغفر له ذنبه ، هذا معنى كلامه» (٢٥٢) .

ومن تشريف الله عز وجل لنبيه ﷺ ، أنه يجازى من يصلي على رسوله مرة واحدة ، بالصلاة عليه عشر مرات ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : **«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا»** (٢٥٣) .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «وهذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل ، فصلاة الله على المصلي على رسوله جزاءٌ لصلاته هو عليه ، ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله ﷺ .. إنما هي ثناءٌ على الرسول ﷺ ، وإرادةٌ من الله أن يُعلى ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا ، والجزاء من جنس العمل ، فمن أثنى على رسول الله ﷺ جزاهُ الله من جنس عمله بأن يثنى عليه ويزيد تشريفه وتكريمه ، فصح ارتباط الجزاء بالعمل ومشاكلته له ومناسبته له» (٢٥٤) .

---

(٢٤٨) تفسير ابن كثير (٤ / ١٨٣ ــ ١٨٤) باختصار يسير .
(٢٤٩) «جلاء الأفهام» (ص٩٤) .
(٢٥٠) ذكره البخاري في صحيحه (٨ / ٥٣٢ فتح) .
(٢٥١) **حسن** : رواه أحمد (٥ / ١٣٦) والترمذي (٢٤٥٧) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (١٤) والحاكم (٢ / ٤٢١ ، ٥١٣) .
(٢٥٢) «جلاء الأفهام» (ص ٤٨ ــ ٤٩) .
(٢٥٣) رواه مسلم (٨٨٧) .
(٢٥٤) «جلاء الأفهام» (ص٩٦) .

ومن تشريف الله عز وجل لنبيه ﷺ ، أنه جعل الملائكة يصلون على من يصلي على رسول الله ﷺ ، فعن عامر بن ربيعة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليّ ، فليقل عبدٌ من ذلك أو ليكثر»** (٢٥٥) ، وصلاة الملائكة على العبد معناها دعاؤهم له بالمغفرة والرحمة .

(٢٥٥) **حسن** : رواه أحمد (٣ / ٤٤٥) وابن ماجه (١ / ٢٩٤) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص٢٥) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ١٨٠) .

الفصل الثالث
وجات الرسول ﷺ



خديجة بنت خويلد ﵂

هي : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، فنسبها عن أبيها يلتقي مع نسب رسول الله ﷺ عند جدها الرابع قصي ، فهي أقرب نسائه إليه نسبًا ، وهي أول زوجات الرسول ﷺ ، وأم أولاده .

كنيتها : أم القاسم ، وكانت كنيتها في الجاهلية : أم هند .

أمها : فاطمة بنت زائدة الأصم بن الهرم ، وهي من بني عامر بن لؤي من قريش ، وهي ابنة هالة بنت عبد مناف الجد الثالث لرسول الله ﷺ .

وكانت خديجة ﵂ تلقب في الجاهلية بالطاهرة ، وكان يقال لها أيضًا : سيدة قريش ، لما عرف عنها من عراقة النسب ، وحسن السيرة ، وشرف النفس .

وكانت قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ برجلين ، أولهما : أبو هالة بن زرارة التميمي ، فولدت له ولدًا اسمه هالة ، وولدًا اسمه هند ، وزوجها الثاني هو : عتيق ابن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له بنتًا اسمها : هند .

وجميع ذرية خديجة ﵂ من هذين الزوجين قد أسلموا ، وحسن إسلامهم ، أما هند بن أبي هالة ، فقد شهد غزوة أحد .

وأما هالة بن أبي هالة فقد عاش وأسلم ، وكانت له صحبه .

وأما هند بنت عتيق بن عابد فقد تزوجت من ابن عم لها ا سمه صيفي بن أمية بن عائذ المخزومي ، فولدت له ولدًا ا سمه محمد ، وقد عاش محمد هذا في مدينة الرسول ﷺ ، وكانت له ذرية بها .

وكان النبي ﷺ قبل أن يتزوج من خديجة يتاجر لها في مالها ، وكان هذا سـبب في إطلاع خديجة﵂ على أخلاق النبي ﷺ ، وصـدقه وأمانته ، فرغبت في الزواج منه ، بعد أن رفضت الكثير من سادات و أشراف قريش الذين رغبوا في الزواج منها ، وعرضوا عليها مهورًا كبيرة .

وأما كيف تزوج الرسـول ﷺ من خديجة ﵂ ، فقد روى ابن سـعد في «الطبقات الكبرى» عن نفيسـة بنت أمية [٢٥٦] قالت : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة، جلدة ، شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أو سط قريش نسبًا ، وأعظم شرفًا ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو قَدِر على ذلك ، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيسًا [٢٥٧] إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشـام ، فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تَزوّج ؟ فقال : **«ما بيدي ما أتزوج به»** ، قلت : فإن كُفيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشـرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : **«فمن هي؟»** قلت : خديجة ، قال : **«وكيف لي بذلك؟»** قالت : قلت : عليّ ، قال : **«فأنا أفعلُ»** ، فذهبتُ فأخبرتها، فأرسـلتْ إليه أن ائت لسـاعة كذا وكذا، وأرسـلت إلى عّمها عمرو بن أسـد ليزوجها ، فحضـر ودخل رسـول الله ﷺ في عمومته ، فزوّجه أحدهم [٢٥٨] ، فقال عمرو بن أسد : هذا البضع لا يُقْرع أنفه [٢٥٩] ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة ، وُلدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة [٢٦٠] .

(تنبيه)

هذه الراوية الـسابقة في تزويج الر سول ﷺبخديجة ﵂ ، هي أثبت الروايات وأوفاها وهي صريحة في أن الذي زوج خديجة من الر سول ﷺ هو عمها عمرو بن أسد . وقد أكدَّ ابن سعد هذا الأمر في روايتين رواهما بعد رواية نفيسة بنت أمية ، وهما :

---

(٢٥٦) وهي أخت الصحابي يعلى بن أمية ﵁ .

(٢٥٧) دسيسًا : أي خفية .

(٢٥٨) وهو أبو طالب كما جاء في بعض الروايات .

(٢٥٩) أي لا يضرب أنفه لكونه كريمًا ، لأن غير الكريم إذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب أنفه ليرتدع بخلاف الكريم .

(٢٦٠) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٠٥) ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

الرواية الأولى : عن عروة عن عائشــة ، عن عكرمة عن ابن عباس قالوا : إن عمّها عمرو بن أســد زوّجها رســول الله ﷺ ، وإن أباها مات قبل الفِجَار [٢٦١] .

الرواية الثانية : عن ابن عباس ﵁ قال : زوّج عمرو بن أسد بن عبد العزي بن قصي خديجة بنت خويلد النبيّ ﷺ ، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره ، ولم يلد عمرو بن أسد شيئًا [٢٦٢] .

وأما الروايات التي تقول : إن الذي زوّج خديجةَ للرســول ﷺ هو أبوها خويلد، وذلك بعد أن سُــقى خمرًا وســكر ، وأنه أتم هذا الزواج تحت تأثير الخمر !!

أقول : إن هذه الروايات لا يصح منها شيء كما ذكر علماء الجرح والتعديل ، وها هي الروايات، وبيان ما فيها من ضعف .

الرواية الأولى : رواها الإمام أحمد بن حنبل في «المسند» (١ / ٣١٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢ / ١٤٤) رقم (١٢٨٣٨) من طريق حماد بن سلمة عن عمار ابن أبي عمار عن ابن عباس ــ فيما يحسب حماد ــ أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة ، وكأن أبوها يرغب أن يزوجه [٢٦٣] ، فصنعت طعامًا وشــرابًا ، فدعت أباها ونفرًا من قريش ، فطعموا وشــربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة لأبيها : إن محمد بن عبد الله يخطبني ، فزوّجني إياه ، فزوّجها إياه ، فخلَّقته [٢٦٤] ، وألبسته حُلَّة ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سرى عنه [٢٦٥] سكره نَظَر فإذا هو مخلَّق وعليه حلة ، فقال : ما شأني ، ما هذا ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، قال : أنا أزوج يتيم أبي طالب ؟ لا لعمري، فقالت خديجة : أما تســتحي ، تريد أن تســفِّه نفســك عند قريش ؟ تخبر الناس أنك كنت سكران ، فلم تزل به حتى رضى» .

وقد علَّق الشيخ أحمد شاكر [٢٦٦] ـ ـ رحمه الله ـ ـ على هذه الرواية فقال : إسناد هذه الرواية ضعيف، لشك حماد بن سلمة في وصله ، إذ قال : «عن ابن عباس ــ فيما يحسب حماد» فلم يجزم .

الرواية الثانية : رواها البيهقي «دلائل النبوة» (٢ / ٧١ ــــــ ٧٢) : أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول اللهﷺ خديجة ، وما يكثرون فيه يقول : أنا أعلم الناس بتنروجيه إياها ، إني كنت له تِرْبًا [٢٦٧] ، وكنت له إلفًا وخِدْنا [٢٦٨] ، وإني خرجت مع رســول اللهﷺ ذات يوم ، حتى إذا كنا بالحَزْوَرة [٢٦٩] أجَزْنا على أخت خديجة ، وهي جالســة على أَدَم تبيعها ، فنادتني ، فانصــرفت إليها ، ووقف لي رســول اللهﷺ ، فقالت : أما لصــاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته ، فقال : بلى، لعمري ، فذكرت لها قول رســـول اللهﷺ ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم، قال : فوجدناهم قد ذبحوا بقرة ، وألبسوا أبا خديجة حلّة ، وصُفِّرت لحيته ، وكلمت أخاها ، فكلَّم أباه ، وقد سقى خمرًا ، فذكر له رسول اللهﷺ ومكانته وسأله أن يزوجه ، فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعامًا ، فأكلنا منه ، ونام أبوها ثم استيقظ صــاحيًا ، فقال : ما هذه الحلة ، وهذه النقيعة ، وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت كلمت عمارًا : هذه حلّة كســاها محمد بن عبد الله خَتَنُكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوجته خديجة ، فأنكر أن يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجْرَ ، وخرجت بنو ها شم بر سول اللهﷺ حتى جاءُوه ، فكلموه ، فقال : أين صاحبكم الذين تزعمون أني زوجته ؟ فبرز له رسول اللهﷺ ، فلما نظر إليه قال : إن كنت زوجته فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلت فقد زوجته».

---

(٢٦١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٠٥) .

(٢٦٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ١٠٥) .

(٢٦٣) قوله : «يرغب أن يزوجه» قال السندي : أي عن أن يزوجه ، لا في أن يزوجه كما يفيده النظر فيما بعد .

(٢٦٤) خلقته : أي وضعت عليه الخلوق ، وهو نوع من الطيب .

(٢٦٥) سرى عنه بالبناء للمجهول مع تشديد الراء : أي كشف عنه .

(٢٦٦) في تعليقه على المسند ، الرواية رقم (٢٨٥١) .

(٢٦٧) الترب من ولد معك وهو الصديق من نفس العمر .

(٢٦٨) الخدن : الصاحب .

(٢٦٩) كانت الحزورة ســوق مكة ، ودخلت في المســجد الحرام لمّا زيد ، وباب الحزورة معروف من أبواب المســجد الحرام ، والعامة تقول «باب عزورة» بالعين .

وهذه الرواية إسنادها ضعيف جدًا ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٢١) : «فيه عمر بن أبي بكر الموصلي وهو متروك» .١ هـ .

وقد أشار البيهقي نفسه إلى ضعف هذه الرواية ، فقال عقبها : قال الموصلي : والمجمع[٢٧٠] أن عمها عمرو بن أسد الذي زوجها . ١ هـ .

«وقد ساق ابن سعد في «الطبقات» [٢٧١] رواية البيهقي مختصـرة عن أبي مجلز ، فقال : إن خديجة قالت لأختها انطلقي إلى محمد فاذكريني له ، وإن أختها جاءت فأجابها بما شـاء الله، وأنهم تواطؤوا على أن يتزوجها رسـول الله ﷺ ، وإن أبا خديجة سُـقى من الخمر حتى أخذت فيه ، ثم دعا محمدًا فزوجه ، وألقيت على الشيخ حلة ، فلما صحا قال : ما هذه الحلة ؟ قالوا : كساكها ختنك محمد ﷺ ، فغضب وأخذ السلاح ، وأخذ بنو هاشم السلاح وقالوا : ما كانت لنا فيكم رغبة ، ثم إنهم اصطلحوا بعد ذلك .

قال ابن سعد [٢٧٢] : أخبرنا محمد بن عمر ـــــ الواقدي ـــــ بغير هذا الإسناد أن خديجة سقت أباها الخمر حتى ثمل ، ونحرت بقرة وخلَّقته بخلوق وألبسـته حلة حبرة ، فلما صـحا قال : ما هذا العقير؟ وما هذا العبير ، وما هذا الحبير ؟ قالت : زوَّجتني محمدًا ﷺ ، قال : ما فعلت ، أنا أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل ؟

قال الواقدي : فهذا كله عندنا غلط ووهل (وهم وضعف) والثّبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوَّجها رسول ﷺ .

ونقْدُ الواقدي منصبٌ على جميع الروايات التي أسندت تزويج خديجة من رسول الله ﷺ إلى أبيها خويلد ، وهو نقد تاريخي نسفها نسفًا ولم يقم لها وزنًا ، ولو لم ينهض الواقدي به لنادي بزيفها ما فيها من تدليس وخداع تأباه أخلاق العرب عامة ، وتنأي عنه مكارم محمد ﷺ وتسـاميه عن هذه الأساليب المدلسة التي لم يعرف عنه في حياته أنه سلك قط سبيلها أو حام حولها» [٢٧٣] .

من فضائل خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالله ورسوله من خلق الله جميعًا ، وكانت تقف بجوار رسول الله ﷺ تواسيه وتخفف عنه منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي عليه ﷺ ، ففي حديث بدء الوحي على رسول الله ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها : «فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : «**زملوني ، زملوني** ».. فقال لخديجة : «**لقد خشيت على نفسي** »، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل .. فقالت له : يا بن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي : ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ..» الحديث [٢٧٤] .

ومناقب خديجة رضي الله عنها كثيرة ، ولها خصـائص لم تعرف لامرأة سـواها ، فمن ذلك أن الله عز وجل جعلها خير نسـاء الأرض في عصـرها ، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «**خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**» [٢٧٥] .

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «المراد جميع نساء الأرض أي كل من بين السماء والأرض من النساء ، والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها» .

---

(٢٧٠) أي الذي عليه الإجماع .

(٢٧١) ١٠٦/١ .

(٢٧٢) في «الطبقات» (١ / ١٠٦) .

(٢٧٣) «محمد رسول الله ﷺ ــ منهج رسالة ــ بحث وتحقيق» الشيخ محمد الصادق عرجون (١ / ٢٠٥ ــ ٢٠٦) ط دار القلم ، دمشق .

(٢٧٤) سبق تخريجه .

(٢٧٥) رواه البخاري من «مناقب الأنصار» (٣٨١٥) ، ومسلم في «الفضائل» (٣٨٧٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومن مناقبها ﵂ أن الله تعالى أرسل إليها السلام مع جبريل عليه السلام ، فعن أبي هريرة ﵁ قال : أتى جبريلُ النبيﷺ فقال : «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربك عز وجل ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب ولا صخب فيه ولا نصب» (٢٧٦) .

قال النووي ـــ رحمه الله ـــ «هذه فضائل ظاهرة لخديجة ﵂ ، وقوله (ببيت من قصب) قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف ، كالقصر المنيف .. وأما (الصخب) قال السهيلي : «مناسبة نفي هاتين الصفتين ــ أعني المنازعة والتعب ــ أنهﷺ لمّا دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعًا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ، ولا تعب في ذلك ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها» (٢٧٧)

ومن فضائلها ﵂ ، قول عائشة ﵂ : «ما غرتُ على أحد من نساء النبيﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان النبيﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خدديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول : **إنها كانت وكانت ، وكان لي منها الولد**» (٢٧٨) ، وفي رواية لمسلم قال رسول اللهﷺ : **«إني قد رزقت حبها»** .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله : **(إنها كانت وكانت)** أي كانت فاضلة ، وكانت عاقلة ، ونحو ذلك ، وعند أحمد من حديث عائشة : **«آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»** (٢٧٩) .

ومن فضائلها ﵂ ، قول عائشة ﵂ : «لم يتزوج النبيﷺ على خديجة حتى ماتت»(٢٨٠) .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «فيه دليل على عظم قدرها عنده ، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها ، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين ، لأنه ﷺ عاش بعد ان تزوجها ثمانية وثلاثين عامًا ، انفردت خديجة منه بخمسة وعشرين عامًا ، وهي نحو الثلثين من المجموع ، ومع طول المدة، فصان قلبها فيها من الغيرة ، ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك ، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها ، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فسنت ذلك لكل من آمن من بعدها ، فيكون لها مثل أجرهن ، لما ثبت «إن من سن سنة حسنة» ، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل» (٢٨١) .

وقد توفيت خديجة ﵂ في رمضان سنة عشرة من البعثة ، قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ودفنت في مكان يسمى الحجون ، وهو جبل بأعلى مكة .

سودة بنت زمعة ﵂

هي : أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب .

وأمها هي الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد الأنصارية من بني عدي ابن النجار ، بنت أخي سلمى بنت عمرو بن زيد ، أم عبد المطلب ، فسودة تجتمع مع النبيﷺ في لؤي بن غالب .

وكانت زوجة أولاً عند السكران بن عمرو الأنصاري ، أخي سهيل بن عمرو ، وكان السكران قد أسلم قديمًا مع سودة ، وهاجرا معًا إلى الحبشة في المرة الثانية ، فلما قدم السكران مكة مات بها ، ولم يعقب ، فتزوج النبيﷺ من سودة سنة عشر من النبوة ، وهاجر بها إلى المدينة .

---

(٢٧٦) رواه البخاري «مناقب الأنصار» (٣٨٢٠) باب تزويج النبيﷺ خديجة وفضلها . ومسلم في «الفضائل» (٦١٥٦) باب فضائل خديجة ﵂ .
(٢٧٧) «فتح الباري» (٨ / ٤٤٠٠) ط المكتبة العصرية ، بيروت .
(٢٧٨) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٨١٨) ، ومسلم في «الفضائل» (٦١٦١) .
(٢٧٩) «فتح الباري» (٨ / ٤٣٩٨) .
(٢٨٠) رواه مسلم في «الفضائل» (٤٣٦) .
(٢٨١) «فتح الباري» (٨ / ٤٣٩٨) .

وكانت سودة ﵂ جليلة ، نبيلة ، حتى قالت عائشة ﵂ : «ما رأيت امرأة أحبَّ إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة» (٢٨٢) .

وقول عائشة : «في مسلاخها» كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها .

وقد انفردت سودة ﵂ بالنبيﷺ نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر ، حتى دخل بعائشة ﵂ ، ولمّا كبرت سودة جعلت يومها من رسول اللهﷺ لعائشة ﵂ .

وقد توفيت سودة ﵂ سنة ٢٣هـــ بالمدينة في آخر خلافة عمر بن الخطاب ﵁ ، وروى ابن سعد من طريق الواقدي أنها توفيت في شوال سنة أربع وخمسين للهجرة (٢٨٣)، والقول الأول هو الأرجح ، والله أعلم .

عائشة ﵂

هي : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، – وا سم أبي بكر – عبد الله بن أبي قحافة وا سم أبي قحافة – عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي .

كنيتها : أم عبد الله ، وقد اختار لها رسول اللهﷺ هذه الكنية فقال لها «**تكني بابن أختك أسماء** » ، يعني عبد الله بن الزبير ﵁ .

وأمها هي : أم رومان زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية .

ولدت عائ شة ﵂ في الإ سلام ، وكانت تقول : لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين ، وقد عر ضها جبريل عليه الـ سلام على النبيﷺ قبل أن يتزوجها وقال له : «هذه زوجتك» .

قالت عائشة ﵂ : قال رسول اللهﷺ : «**أريتُك في المنام ثلاث ليال ، جاءني بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير** (٢٨٤) **، فيقول : هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي ، فأقول: «إن يك هذا من عند الله يُمضِه»** (٢٨٥) .

وعنهاﷺ أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبيﷺ فقال : «**هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**» (٢٨٦) .

وعنها ﵂ قالت : لمّا ماتت خديجة ، جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا ر سول الله ، ألا تَزَوَّجُ ؟ قال : «**ومن**» ؟ قالت : إن شئت ثيبًا ، قال : «**من البكر ومن الثيب؟**» قالت : أما البكر فعائشــة ابنة أحبِّ خلق الله إليك ، وأما الثيب فســودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال : «**اذكريهما عليّ**» (٢٨٧) ، قالت : فأتيت أم رومان فقلت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قالتْ : ماذا ؟ ، قالت : رســول اللهﷺ يذكر عائشــة ، قالت : انتظري فإن أبا بكر آتٍ ، فجاء أبو بكر ، فذكرت ذلك له ، فقال : أو تصــلح له وهي ابنة أخيه ؟ فقال رســول اللهﷺ : «**أنا أخوه وهو أخي ، وابنته تصــلح لي** (٢٨٨) » ، فقام أبو بكر ، فقالت لي أم رومان : إن المُطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه (٢٨٩) ، ووالله ما أخلفُ وعدًا قط ، قالت : فأتى أبو بكر المطعم ، فقال : ما تقول في أمر هذه الجارية ؟ قال : فأقبل على امرأته ، فقال : ما تقولين ؟ فأقبلت على أبي بكر ، فقالت : لُعِنا إنْ أنكحنا هذا

---

(٢٨٢) رواه مسلم في «الرضاع» (١٤٦٣) باب جواز هبتها نوبتها لضرتها .
(٢٨٣) «الطبقات الكبرى» (٨ / ٥٣ ، ٥٤) .
(٢٨٤) السرقة : قطعة من حرير .
(٢٨٥) رواه البخاري في «المناقب» (٣٨٩٥) ومسلم في «الفضائل» (٢٤٣٨) .
(٢٨٦) **حسن** : رواه الترمذي في «المناقب» (٣٨٨٠) باب فضل عائشة .
(٢٨٧) تزوج النبيﷺ من سودة وعائشة في وقت واحد ، ثم دخل بسودة ، وبعد ثلاث سنوات دخل بعائشة .
(٢٨٨) كان النبيﷺ قد آخى بينه وبين أبي بكر ﵁ ، أخوة الإســلام ، فظن أبو بكر أن هذه الأخوة مثل أخوة النســب ، فبين له النبيﷺ أن أخوة الإسلام لا تأخذ أحكام أخوة النسب .
(٢٨٩) أي أراد أن يخطب عائشة لابنه .

الفتى إليك تدخله في دينك (٢٩٠) ، فأقبل عليه أبو بكر فقال : ما تقول أنت ؟ قال : إنها لتقولُ ما تسـمع ، فقام أبو بكر وليس في نفسـه من الموعد شيء ، فقال لها ، قولي لرسول اللهﷺ فليأت ، فجاء ، فملكها ..» الحديث (٢٩١) .

وقد أخبرت عائشة رضي الله عنها عن سنها حين عقد عليها النبيﷺ ، وحين دخل بها ، فقالت : «تزوجني رسول اللهﷺ وأنا بنت ست سنين ، وبنى بي (٢٩٢) وأنا بنت تسع سنين» (٢٩٣) .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قولها : «تزوجني وأنا بنت ست سنين» أي عقد عليّ» .

وعنها رضي الله عنها قالت : «تزوجني رسـول اللهﷺ مُتَوَفَّى خديجة ، وأنا ابنة سـت ، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسـع ، جاءني نسـوة وأنا ألعب على أرجوحة وأنا مجمجمة (٢٩٤) ، فهيَّأنني وصنعنني ، ثم أتين بي إليهﷺ» (٢٩٥) .

فضائل عائشة رضي الله عنها

لعائشة رضي الله عنها فضائل ومناقب كثيرة ، فمن فضائلها أن النبيﷺ كان يحبها حبًا شديدًا ، فقد سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟، قال : **«عائشة»** قال : من الرجال : قال **«أبوها»** (٢٩٦) .

ومن مناقبها أن الوحي لم ينزل على النبيﷺ في لحاف امرأة من نسائه غيرها .

قالت رضي الله عنها : كان الناس يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة ، قالت : فاجتمعن صواحبي إلى أم سلمة ، فقلن لها : إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشـة ، فقولي لرسـول اللهﷺ يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان ، فذكرتْ أم سلمة له ذلك ، فسـكت فلم يرد عليها ، فعادت الثانية فلم يرد عليها ، فلما كانت الثالثة قال : **«يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»** (٢٩٧) .

قال الذهبي ــ رحمه الله ــ : «وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها ، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها» (٢٩٨) ومن فضائلها قول النبي ﷺ : **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** (٢٩٩) .

وعنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **«يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام»** قالت : فقلت : وعليه السلام ورحمه الله . قالت : وهو يرى مالا أرى (٣٠٠) وعنها رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : **«إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليَّ غضبي»** قالت : فقلت : ومن أين تعرف ذلك ؟ قال : **«أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبي قلت : لا ورب إبراهيم»** قالت : قلت :أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك» (٣٠١) .

---

(٢٩٠) أي أنها رفضت أن يتزوج ابنها من عائشة حتى لا يدخل في الإسلام !! .

(٢٩١) **حسن** : رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٢٥) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٩ ــ ١٥٠) وحسنه الحافظ في «فتح» (٧ / ١٧٦) .

(٢٩٢) بنى بي : أي دخل بي ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل بامرأته بنى خيمة جديدة لذلك ، فسمي الدخول بالبناء .

(٢٩٣) رواه البخاري « المناقب» (٣٨٩٤) ، ومسلم في «النكاح» (٣٤١٧) .

(٢٩٤) مجمجمة : أي ذات جمة ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين : جمة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين : وفرة .

(٢٩٥)**صحيح** : رواه أبو داود في «الأدب» (٥٤٣٥) باب الأرجوحة .

(٢٩٦) رواه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٣٨٤) .

(٢٩٧) رواه البخاري في «فضائل النبي ﷺ» (٧/ ٨٤) باب فضل عائشة رضي الله عنها .

(٢٩٨) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ١٤٣) .

(٢٩٩) رواه البخاري (٣٧٧٠) ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣٠٠) رواه البخاري (٣٢١٧) ومسلم في «الفضائل» (٢٤٤٧) .

(٣٠١) رواه البخاري (٥٢٢٨) ومسلم في «الفضائل» (٢٤٣٩) .

وعنها ﵂ أنها كانت تلعب بالبنات عند رسـول الله ﷺ قالت : وكانت تأتيني صـواحبي فكن ينقمعن (٣٠٢) من رسـول الله ﷺ ، قالت : فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إلىَّ(٣٠٣) فيلعبن معي (٣٠٤) .

واستدل بهذا الحديث على جواز لعب الأطفال بالألعاب التي على هيئة الصور ، وأن هذا الجواز مستثنى من عموم النهي عن اتخاذ الصور .

وعنها ﵂ قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهواتها ستر (٣٠٥) ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب ، فقال : **«ما هذا يا عائشة ؟»** قالت : بناتي ، ورأي بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع ، فقال **«ما هذا الذي أرى وسطهن؟»** قالت : فرسي ، قال : **«وما هذا الذي عليه؟»** قالت : جناحان، قال : **«فرس له جناحان»** قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ، قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه» (٣٠٦) .

وعنها ﵂ قالت : لقد رأيت ر سول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي ، والحبـ شة يلعبون بالحراب في المـ سجد ، وإنه ليـ سترني بردائه لكي أنظر إلي لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدْر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو (٣٠٧) .

ومن أفضل مناقب عائشة ﵂ ، أن الله تعالى قد برأها من فوق سبع سماوات في قصة الإفك والبهتان (٣٠٨) ، وأنزل في برائتها عشر آيات تتلى في كتابه من قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور : ١١ ـــ ٢٠]

قال ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ : «هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين ﵂ حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ أي جماعة منكم ، يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا فيه وجوزه آخرون منهم وبقى الأمر كذلك قريبًا من شهر حتى نزل القرآن» (٣٠٩).

توفيت عائشة ﵂ سنة سبع وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين للهجرة ، ودفنت بالبقيع ليلاً ، وصلى عليها أبو هريرة ﵁ ، وكان خليفة مروان بن الحكم على المدينة .

وقد مات عنها النبي ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة ، وقد بقيت معه تسع سنين وبضعة أشهر.

حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵂

هي : أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن قرط ابن كعب القرشي.

أمها : زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي .

---

(٣٠٢) ينقمعن : أي يتغيبن حياء من النبي ﷺ وهيبة له .
(٣٠٣) يسر بهن إلى : أي يرسلهن إلى ليلعبن معي .
(٣٠٤) رواه البخاري في «الأديب» (١٠ / ٤٣٧) باب الانبساط إلى الناس . ومسلم في «الفضائل» (٢٤٤٠) باب فضل عائشة ﵂ .
(٣٠٥) السهوات : هي الفتحات التي تكون في الجدار .
(٣٠٦) **صحيح** : رواه أبو داود في «الأدب» (٤٩٣٢) باب في اللعب بالبنات . والنسائي في «عشرة النساء» (١ / ٧٥) .
(٣٠٧) رواه البخاري في «المساجد» (١ / ٤٥٧) باب أصحاب الحراب في المسجد . ومسلم (٨٩٢) .
(٣٠٨) كان حديث الإفك في غزوة المر يسيع ، سنة خمس من الهجرة ، وكان عمر عائشة ﵂ يومئذ أثنتى عشرة سنة .
(٣٠٩) تفسير ابن كثير (٦ / ١٢) ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

كانت حفصة ﵂ قبل زواجها من النبي ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، هاجر إلى أرض الحبشة ، وعاد إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا ، وأصيب في غزوة أحد فمات ﵁ ، وبعد انقضاء عدة حفصة من خنيس تزوجها النبي ﷺ في سنة ثلاث من الهجرة .

«وروى أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين ، فعلى هذا يكون دخول النبي ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة» (٣١٠) ، وقد تزوجا النبي ﷺ بعد أن عرضها عمر ﵁ على عثمان بن عفان وأبي بكر ﵄، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر ﵄ يحدِّث «أن عمر بن الخطاب حين تأيمت (٣١١) حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ـــ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوفي بالمدينة ـــ فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في أمري ، فلبثت ليالي ، ثم لقيني فقال : قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا ، وكنت أوجَدَ عليه مني على عثمان ، فلبثت ليالي ، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ، قال عمر : قلت نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها» (٣١٢) .

قال الذهبي : توفيت حفصة سنة إحدى وأربعين عام الجماعة ، وقيل : سنة خمسٍ وأربعين بالمدينة ، و صلى عليها والى المدينة مروان» (٣١٣) ، ودفنت ﵂ في البقيع .

زينب بنت خزيمة ﵂

هي : أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بنت الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن القيسية الهلالية .

أمها : هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة بن جرش . وزينت هي أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها وكانت زينب ﵂ عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ثم طلقها الطفيل ، فتزوجها بعده أخوه عبيدة بن الحارث، وكان قد أسلم في مكة ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، وكان من أوائل شهدائها (٣١٤) .

تزوجها النبي ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة ، وكانت ﵂ تلقب في الجاهلية بأم المساكين لكثرة إحسانها وطيبتها .

توفيت ﵂ سنة أربع للهجرة ، فلم تمكث عند النبيﷺ سوى شهرين أو أكثر ، ودفنت بالبقيع ، فكانت بعد خديجة ﵂ الوحيدة من زوجات النبيﷺ التي توفيت قبله .

أم سلمة ﵂

هي : هند بنت أبي أمية (٣١٥) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية ، وهي بنت عم خالد بن الوليد ﵁ ، وبنت عم أبي جهل بن هشام . وهي أخت عمار بن ياسر لأمه .

---

(٣١٠) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٢٢٧) .

(٣١١) تأيمت : أي مات عنها زوجها .

(٣١٢) رواه البخاري في «النكاح» (٥١٢٢) باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير .

(٣١٣) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٢٢٩) .

(٣١٤) وقال الزهري : إنها كانت عند عبد الله بن جحش الأسدي المستشهد يوم أحد .

(٣١٥) أبو أمية : اسمه حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وكان يعرف بزاد الراكب ، وهو من أجواد قريش المشهورين بالكرم .

أمها : هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن عبد المطلب ،وكانت أم سلمة قبل النبيﷺ عند أخيه من الرضاعة : أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وولدت له : عمر ، و سلمة ، وزينب ، وجميعهم من الصحابة . وتوفى أبو سلمة سنة أربع للهجرة ، وتزوجها النبي اللهﷺ بعد انقضاء عدتها ، ولم تكن أتمت الثلاثين من العمر ، والذي زوجها لرسول اللهﷺ هو ابنها عمر ، فعن أم سلمة ﵂، أنها لمّا انقضت عدتها ، خطبها أبو بكر فردته ، ثم عمر ، فردته ، فبعث إليها رسول اللهﷺ ، فقالت : مرحبًا ، ثم ارسلت لرسول اللهﷺ تقول له إني غيري ، وأني مُصْبِية [٣١٦] ، وليس أحدٌ من أوليائي شاهدًا ، فبعث إليها رسول الله ﷺ: «**أما قولك: إني مصبية ، فإن الله سيكفيك صِبْيانَكِ ، وأما قولُك : إني غَيْرَي ، فسأدعو الله أن يُذْهب غيرتك ، وأما الأولياء ، فليس أحد منهم إلا سيرضى بي**» ، قالت : يا عمر ، قم فزوِّج رسول اللهﷺ» [٣١٧] .

وعن أم سلمة ﵂ قالت : قال رسول اللهﷺ : «**إذا حضرتم المريض ، أو الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» قالت : فلما مات أبو سلمة أتيتُ النبيﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات ، قال : «**قولي : اللهم اغفر لي وله وأَعْقبني منه عقبي حسنة**» قالت : فقلت فأعقبني الله من هو خير لي منه محمدًاﷺ » [٣١٨] .

وكانت أم سلمة ﵂ من أجمل النساء ، فإن بني مخزوم يشتهر نساؤهم بالجمال وحسن التبعل ، حتى كان يقال : المخزوميات رياحين العرب .

توفيت ﵂ سنة تسع وخمسين ، وقيل : سنة ستين للهجرة ، وقد قاربت التسعين من العمر وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين ، ودفنت بالبقيع .

زينب بنت جحش ﵂

هي : أم المؤمنين زينت بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير ابن غنم بن أسد بن خزيمة الأسدية .

أمها : أميمة بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ .

وكانت زينب﵂ قبل زواجها من النبي ﷺ تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

وكان النبي ﷺ قد تبني زيد بن حارثة قبل البعثة على عادة العرب في الجاهلية[٣١٩] ، واستمر هذا التبني إلى أن بعث النبي ﷺ ، وكانت زينت بنت جحش ﵂ قد تقدم لخطبتها عدد من أشراف قريش ، فأرسلت إلى النبي ﷺ لكي يختار لها زوجًا منهم ، فلم يختر لها النبي ﷺ أيًا منهم ، ولكن اختار لها مولاه زيد بن حارثة، وقصة زواج زينت من زيد﵁ رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ / ٥١ ــــ ٥٢) بالسند المتصل ، أن زينت ﵂ قالت : خطبني عدة من قريش فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله ﷺ أستشيرة ، فقال لها رسول الله ﷺ : «**أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ؟**» قالت : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : «زيد بن حارثة» ، قالت : فغضبتْ حمنة غضبًا شديدًا ، فقالت : يا رسول الله أتزوِّجْ ابنة عمتك مولاك ؟ قالت ــ أي زينب ــ وجاءتني فأعلمتني فغضبتُ أشد من غضبها ، فقلت أشد من قولها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[الأحزاب: ٣٦] قالت : فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني أستغفر الله ، وأطيع الله ورسوله ، أفعلُ يا رسول الله ما رأيت ، فزوجني رسول الله ﷺ زيدًا ، فكنت أزرأ عليه، فشكاني إلى رسول الله ﷺ ، فعاتبني رسول الله ﷺ ، ثم عدت فأخذته بلساني[٣٢٠] ، فشكاني إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ**﴾.اهـ

---

(٣١٦) غيري : أي كثيرة الغيرة ، ومصبية : أي ذات صبيان وأولاد صغار .

(٣١٧) **صحيح** : رواه أحمد (٦ / ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٧) والنسائي في «النكاح» (٦ / ٨١ ، ٨٢) باب إنكاح الابن لأمه، وابن سعد في «الطبقات» (٨ / ٩٠) وابن حبان (١٢٨٢) والحاكم (٤ / ١٧) وصححه، ووافقه الذهبي .

(٣١٨) رواه مسلم في «الجنائز» (٩١٩) باب ما يقال عند المريض والميت .

(٣١٩) كان زيد ﵁ قد اختطف من أمة وهو صغير ، وبيع في سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد ﵂ ، وكان زيد صاحب أخلاق حميدة ، فطلب النبي ﷺ من خديجة أن تهبه له ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه .

(٣٢٠) أي قالت كلامًا بلسانها أغضب زيدًا .

وكان العرب في الجاهلية يعطون للابن بالتبني جميع حقوق الابن من النسب في النكاح والميراث والنسب وغيرها ، فأراد الله عز وجل إبطال هذه العادة الجاهلية على يد رسوله ﷺ ، فأوحى إليه أن زيدًا سيطلق زينب ، وأنها بعد طلاقها ستكون من أزواجه ، حتى يعلم الناس أن زواج النبي ﷺ من زينت يهدم عادة التبني ، وما يترتب عليها من أحكام ، ولكن النبي ﷺ أخفى ما أوحاه الله إليه في نفسه ، وخشي أن يظهره للناس لئلا يقولوا إن محمدًا يريد أن يتزوج من حليلة ابنه ، فأنزل الله عز وجل آيات تبين الحكمة من زواج رسول الله ﷺ من زينت ، وهو إبطال عادة التبني ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ(٣٢١) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧ - ٤٠] .

وكان الله عز وجل قبل إنزاله هذه الآيات ــ التي تؤكد عمليًا إبطال عادة التبني ــ قد نهى الناس عن ادعاء الأبناء وتبنيهم ، فقال تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤ - ٥] .

قال القرطبي ــ رحمه الله ــ : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ أجمع أهل التفسير على أن هذا نزل في زيد بن حارثة ، وروى الأئمة أن ابن عمر قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (٣٢٢) .

قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ ﴾ نزلت في زيد بن حارثة على ما تقدم بيانه ، وفي قول ابن عمر : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد ، دليل على أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية والإسلام ، يُتوارث به ويتناصر إلى أن نسخ الله ذلك بقوله :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي أعدل ، فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه ، وأرشـد بقوله إلى أن الأولى والأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه نسبًا ، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولائه ، فإن لم يكن له ولاء معروف قال له : يا أخي يعني في الدين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] (٣٢٣) .

(تنبيه)

اتفق جمهور العلماء والمفسـرين على أن المراد من قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ هو إخفاء النبي ﷺ زواجه من زينب بعد طلاقها من زيد. ولكن وردت روايات في بعض كتب التفسير تقول إن الذي كان يخفيه النبي ﷺ في نفسه هو حبه لزينب ووقوعها في قلبه وهي في عصمة زيد ، وذلك عندما ذهب النبي ﷺ إلى بيت زيد بن حارثة ليسأل عنه ، فرفعت الريحُ الستر ، فرأي زينب في حجرتها وهي في ثياب بيتها !! ، فوقع حبها في قلبه ، فانصرف وهو يقول : «**سبحان مصرف القلوب**» ، وان زينت قد أخبرت زيدًا بما وقع من رسول الله ﷺ ، فأراد زيد أن يطلقها حتى يتزوجها رسـول الله ﷺ ، فقال له الرسـول ﷺ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾، وأقول إن الروايات التي ذكرت هذا الكلام جميعها روايات باطلة ولم يصح منها شيء كما ذكر أهل العلم الثقات (٣٢٤) ، وهاهي بعض أقوالهم :

---

(٣٢١) أي أن الله عز وجل أنعم على زيد بن حارثة بالإسلام وأنعم عليه الرسول ﷺ بالعتق من الرق .

(٣٢٢) رواه البخاري في «التفسير» (٤٧٨٢) ، ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٢٥) .

(٣٢٣) تفسير القرطبي (٨/ ١٢٢ ــ ١٢٣) باختصار ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٣٢٤) وقد توسعت في نقد أسانيد هذه الروايات وبيان بطلانها في كتاب «عظمة الرسول ﷺ والرد على الطاعنين في شخصه الكريم» .

١ – روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب : ٣٧] نزلت في شـأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة [٣٢٥] .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «هكذا اقتصر ــ أي البخاري ــ على هذا القدر من القصة ، وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقًا واضحًا حسنًا ولفظه : «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ ، فزوجها إياه ، ثم أعلم الله نبيه ﷺ أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسـول الله أن يمسـك عليه زوجه ، وأن يتقي الله ، وكان يخشـى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيدًا» ، **ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسـرين لا ينبغي التشـاغل بها ، والذي أوردته هو المعتمد** ، والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه ، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يُدعى ابنًا له ، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم» [٣٢٦] .

٢ ــ **قال القرطبي ــ رحمه الله** ـ : «رُوي عن علي بن الحسين : أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدًا يطلق زينب ، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها ، فلما تشكّى زيد للنبي ﷺ خُلُق زينب ، وأنها لا تطيعه ، وأعلمه أنه يريد طلاقها ، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية : «**اتق الله في قولك ، وأمسـك عليك زوجك**» ، وهو يعلم أنه سـيفارقها ويتزوجها ، وهذا هو الذي أخفى في نفســه ، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها ، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد ، وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم . والمراد بقوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نَهَى عن تزويج نسـاء الأبناء وتزوج هو بزوجة ابنه ، **فأما ما روى أن النبي هَوى زينب امرأة زيد ، وربما أطلق بعض المُجّان لفظ عشق ، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا ، أو مستخف بحرمته** . قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» ، وأسند إلى علي بن الحسين قوله [٣٢٧] : فعليُّ بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ، ودرّاً من الدرر ، أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك ، فكيف قال بعد ذلك لزيد : «أمسك عليك زوجك» وأخذتك خشية الناس أن يقولوا : تزّوج امرأة ابنه ، والله أحق أن تخشاه » [٣٢٨] .

وقال الخازن – رحمه الله –: «فإن قلت : ما ذكروه في تفسـير هذه الآية وسـبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي ﷺ عندما رآها وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج ، وما يليق بمنصبه ﷺ من مدِّ عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا . قلت : هذا إقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله ، وكيف يقال: رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ ، وهو زوَّجها لزيد ، فلا يُشك في تنزيه النبي ﷺ عن أن يأمر زيدًا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذُكر عن جماعة من المفسرين ، وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال : سألني زين العابدين بن علي بن الحسين قال : ما يقول الحسن في قوله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ قلت : يقول : لمّا جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك وقال : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فقال علي بن الحسـين : ليس كذلك ، فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها سـتكون من أزواجه ، وأن زيدًا سـيطلقها ، فلما جاء زيد قال : إني أريد أن أطلقها ، قال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ، فعاتبه الله تعالى وقال : لم قلت أمسـك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها سـتكون من أزواجك . وهذا الأولى والأليق بحال الأنبياء ، وهو مطابق للتلاوة ، لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه نبيه ، ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى : ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها وإرادة طلاقها لكان يظهر ذلك ، لأنه لا يجوز أن

---

(٣٢٥) رواه البخاري في «التفسير» .
(٣٢٦) «فتح الباري» (٨ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) ط الريان ، باختصار يسير .
(٣٢٧) أي قوله الذي سبق ذكره .
(٣٢٨) تفسير القرطبي (٨ / ١٧٥ ــ ١٧٦) باختصار يسير .

يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره ، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته . فإن قلت : فما الفائدة في أمر النبي ﷺ زيدًا بإمساكها ؟ قلت : هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته ، فنهاه النبي ﷺ عن طلاقها ، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به ، فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه ، فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته» [٣٢٩] .

وقال الشنقيطي ــ رحمه الله ــ : «ما يقوله كثير من المفسرين من أن ما أخفاه في نفسه ﷺ وأبداه الله وقوع زينب في قلبه ومحبته لها وهي تحت زيد ، وأنها سمعته قال : « **سبحان مقلب القلوب**» إلى آخره هذه القصة ، كله لا صحة له ، والدليل عليه أن الله لم يُبْدِ من ذلك شيئًا مع أنه صرح بأنه مبدي ما أخفاه رسول الله ﷺ ثم قال : التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه ، وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيدًا يطلق زينب ، وأنه يزوجها إياه ﷺ ، وهي في ذلك الوقت تحت زيد ، فلما شكاها زيد إليه ﷺ قال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ ، فعاتبه الله على قوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ بعد علمه أنها ستصير زوجته هو ﷺ وخشي مقالة الناس أن يقولوا: لو أظهر ما علم من تزويجه إياها أنه يريد تزويج زوجة ابنه في الوقت الذي هي في عصمة زيد .

والدليل على هذا أمران :

الأول : هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وهذا الذي أبداه الله جل وعلا ، وهو زواجه إياها في قوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، ولم يبد جل وعلا شيئًا مما زعموه أنه أحبها ، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى .

الأمر الثاني : أن الله جل وعلا صرَّح بأنه هو الذي زوَّجه إياها ، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هو قطع تحريم أزواج الأدعياء في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ الآية .

فقوله تعالى : ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ تعليل صريح لتزويجه إياها لما ذكرنا ، وكون الله هو الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سببًا في طلاق زيد لها كما زعموا ، ويوضحه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ الآية ، لأنه يدل على أن زيدًا قضى وطره منها ، ولم تبق له بها حاجة فطلَّقها باختياره ، والعلم عند الله تعالى» [٣٣٠] .

وقال الشيخ سعيد حوى ــــ رحمه الله ــــ : «الذي يقال في هذا المقام كلام ساقط لا أصل له ، من مثل أن رسول الله ﷺ أحب زينب ، فأعلمت زينب زوجها ، فطلقها من أجل رسول الله ﷺ ، إن مثل هذا الكلام شبه ما يرويه اليهود عليهم لعنة الله عن رسلهم ، وحاشاهم ، وبهذه المناسبة أقول : إنه حيث توجد روايتان فإن المبشرين والمستشرقين وأذنابهم يختارون الرواية المظلمة مضمونًا ، ولو كانت باطلة سندًا ، ويتركون الرواية ذات المضمون المنير وإن كانت صحيحة سندًا ، وللأسف فقد استطاعوا أن يضللوا بعض الناس من خلال سيطرتهم على مناهج التدريس ، وعلى الإعلام ، ليس فقط في قضايا العصر النبوي ، بل في قضايا التاريخ الإسلامي كله» [٣٣١] .

وأما قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ، فقال الخازن : «لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق ، فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال : «**أنا أخشاكم لله ، وأتقاكم له**» ، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ، ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء» [٣٣٢] .

---

(٣٢٩) تفسير الخازن ، وبهامشه تفسير البغوي (٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) باختصار يسير .
(٣٣٠) «أضواء البيان» (٦ / ٢٤٠ ، ٢٤١) ط دار الفكر ، بيروت .
(٣٣١) «الأساس في التفسير» (٨ / ٤٤٣١) ط دار السلام .
(٣٣٢) تفسير الخازن (٥ / ٢٦٣) .

(تنبيه)

ذكر ابن القيم ــ رحمه الله ــ في كتابه (الجواب الكافي) ما يفيد إقراره لقصة رؤية النبي ﷺ لزينب ووقوعها في قلبه، فقال: «وهذا سيد الأولين والآخرين رسول رب العالمين ﷺ نظر إلى زينب بنت جحش ﵂ فقال: **«سبحان مقلب القلوب»** وكانت تحت زيد بن حارثة مولاه، فلمّا همّ بطلاقها قال له: **«اتق الله وأمسك عليك زوجك»**. اهـ.

وقد رجع ابن القيم عن هذا الكلام في كتابه «زاد المعاد» فقال: «وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله ﷺ حق قدره أنه ابتلى به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: **«سبحان مقلب القلوب»** وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها، حتى أنزل الله عليه: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنّف بعضهم كتابًا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله مالا يحتمله، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ قد تبناه، وكان يدعى زيد بن محمد، وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها، فقال له رسول الله ﷺ: **«أمسك عليك زوجك واتق الله»**، وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلّقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه، لأن زيدًا كان يدعى ابنه، فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له، ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحلّ الله له، وأن الله أحق أن يخشاه، فلا يتحرج مما أحله لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوّجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه من صلبه، ولهذا قال في آية التحريم[٣٣٣]: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٣]، وقال في هذه السورة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال في أولها: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فتأمل هذا الذب عن رسول الله ﷺ ودفع طعن الطاعنين عنه»[٣٣٤].

كيف تزوج الرسول ﷺ من زينب ﵂؟

روى الإمام مسلم **في «صحيحه»** عن أنس بن مالك ﵁ قال: لمَّا انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها عليّ»، قال: فانطلق زيدٌ حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلمّا رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت لزينب: أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن..» الحديث[٣٣٥].

قال النووي ــ رحمه الله ــ: «قوله: قال رسول الله ﷺ لزيد: **«فاذكرها علي»** أي: فاخطبها لي من نفسها، فيه دليل على أنه لا بأس أن يبعث الرجل لخطبة المرأة له من كان زوجها إذا علم أنه لا يكره ذلك كما كان حال زيد مع رسول الله ﷺ.

قوله: «فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي»، معناه أنه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها فعاملها معاملة من تزوجها ﷺ في الإعظام والإجلال والمهابة.

وقوله: «نكصت» أي رجعت، وكان قد جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها على ما كان من عادتهم، وهذا قبل نزول الحجاب، فلما غلب عليه الإجلال تأخر وخطبها، وظهره إليها لئلا يسبقه النظر إليها.

---

(٣٣٣) أي الآية التي ذكرت أصناف النساء التي يحرم على الرجل أن يتزوج منهن، وهي في سورة النساء.

(٣٣٤) «زاد المعاد» (٤ / ٢٦٦، ٢٦٧).

(٣٣٥) رواه مسلم في «النكاح» (١٤٢٨) باب زواج زينب بنت جحش ﵂.

قولها : «ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها» أي موضع صلاتها في بيتها ، وفيه استحباب صلاة الاستخارة لمن همَّ بأمر سواء كان ذلك الأمر ظاهر الخير أم لا ، وهو موافق لحديث جابر في «صحيح البخاري» : «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها يقول : «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة**» ، قوله : «ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن» يعني نزل قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، فدخل عليها بغير إذن لأن الله تعالى زوّجه إياها بهذه الآية» [٣٣٦] .

وكانت زينب ﵂ تفخر بهذا الزواج على أمهات المؤمنين ، وتقول : «زوجكن أهاليكُن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات» [٣٣٧] .

من فضائل زينب بنت جحش ﵂

كانت زينب ﵂ من سادة النساء ، دينًا وورعًا وجودًا ومعروفًا ، وقد شهد لها النبي بذلك ، فعن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : «**أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا**» ، قالت : فكنَّ يتطاولن أيتهن أطولهن يدًا ، وقالت : فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصَدَّق[٣٣٨]

.

قال النووي ــ رحمه الله ــ : معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد طول اليد الحقيقية ، وهي الجارحة ، فكن يذرعن أيديهن بقصبة ، فكانت سودة أطولهن جارحة ، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير ، فماتت زينب أولهن ، فعلوا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود» [٣٣٩] .

وقالت عائشة ﵂ : زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عن رسول الله ﷺ [٣٤٠] ، ولم أر امرأةً قط خيرًا في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصَدَّق به وتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى » [٣٤١] .

وقد توفيت زينب ﵂ سنة عشرين ، في خلافة عمر بن الخطاب ﵁ ، وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة ، فكانت أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده ولحوقًا به .

جويرية بنت الحارث ﵂

هي : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المُصطلقية .

كانت ﵂ من سبايا غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ﵁ ، فكاتبها ثابت بن قيس [٣٤٢] ، فجاءت إلى النبي ﷺ تستعين به على كتابتها ، فأدى عنها رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها .

فعن عائشة ﵂ قالت : لمّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلوةً مُلاَّحةً [٣٤٣] لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أ ستعينك على كتابي ، قال: «**فهل لك خير من ذلك؟**» قالت : وما هو يا ر سول الله ؟ قال : «**أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**» ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال «**قد فعلت**»، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن

---

(٣٣٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٩ / ٢٢٧ ــ ٢٢٨) .
(٣٣٧) رواه البخاري في «التوحيد» (٧٤٢٠) باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ .
(٣٣٨) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٥٢) باب من فضائل زينب أم المؤمنين ﵂ .
(٣٣٩) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ١٠) بتحقيقي ، ط دار الغد الجديد بالمنصورة .
(٣٤٠) تساميني : أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة ، مأخوذ من السمو ، وهو الارتفاع . وقولها : منهن ، أي من أزواج النبي ﷺ .
(٣٤١) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٤٢) باب في فضل عائشة ﵂ .
(٣٤٢) الكتابة : اشتراء الرقيق نفسه من سيده بمال يؤديه أقساطًا .
(٣٤٣) أي شديدة الملاحة ، وهو من أبنية المبالغة .

أبي ضـرار ، فقال الناس : أصـهار رسـول اللهﷺ ، وأرسـلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أُعتق لتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصـطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها (٣٤٤) .

وكانت جويرية ﵂ قبل رسول اللهﷺ تحت ابن عمها مسافع بن صفوان المصطلقى ، وقيل : عبد الله بن جحش الأسدي .

وأخرج مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس ﵄ قال : كانت جويرية اسمها بَرَّة ، فحول رسول اللهﷺ اسمها إلى جويرية (٣٤٥) .

وعن جويرية ﵂ قالت : تزوَّجني رسول اللهﷺ وأنا بنتُ عشرين سنة (٣٤٦) .

توفيت ﵂ سنة خمسين للهجرة ، وقيل : توفيت سنة ست وخمسين ، وكان عمرها يقرب من السبعين سنة ، و صلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة ، ودفنت في البقيع .

أم حبيبة ﵂

اسمها : رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي ، القرشية الأموية .

أمها : صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، عمة عثمان بن عفان ﵁ .

وأم حبيبة من بنات عمِّ الرسـول ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسـبًا إليه منها ، وكانت ﵂ من السـابقين إلى الإسـلام ، وتزوجت عبيد الله بن جحش الأسـدي ، ثم هاجرت معه إلى الحبشـة ، وولدت له ابنتها حبيبة التي اكتنت بها ، ثم ارتد عبيد الله ابن جحش إلى النصـرانية ، وثبتت أم حبيبة على إسلامها ، فتزوجها رسول اللهﷺ وهي بالحبشة ، زوَّجها إياه النجاشي ملك الحبشة ، ففي مسند الإمام أحمد وغيره عن أم حبيبة ﵂ : أنها كانت تحت عبيد الله ، وأن رسول اللهﷺ تزوَّجها بالحبشة ، زوَّجها إياه النجاشي ، ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وجهازُها كله من عند النجاشي (٣٤٧) .

تنبيه

روى مسلم في صحيحه عن عكرمة بن عمار عن أبي زميل عن ابن عباس ﵄ قال : كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبيﷺ : يا نبي الله ثلاث أَعطِنِيهِنَّ ، قال : **«نعم»** ، قال : عندي أحسنُ العرب وأجملُه أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوُجكَها قال : **«نعم»** ، قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك ، قال : **«نعم»** ، قال : وتؤمُرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال : **«نعم»** ، قال أبو زُميل : ولولا أنه طلب ذلك من النبيﷺ من النبيﷺ ما أعطاه ذلك لأنه لم يكن يُسئل شيئًا إلا قال : «نعم» (٣٤٨) .

وهذا الحديث يخالف ما ثبت من أن الذي زوَّج ر سول الله عليه و سلم هو النجا شي بالحبـشة وليس أبا سفيان ، وقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث ، فمنهم من ردّه ، وحمله بعضهم على أن أبا سفيان قد طلب من النبيﷺ تجديد عقد نكاح أم حبيبة تطييبًا لقلبه .

قال النووي ــــ رحمه الله ــــ : «أعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سـنة ثمان من الهجرة ، وهذا مشـهور لا خلاف فيه ، وكان النبيﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل . قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست ، وقيل : سنة سبع . قال القاضي عياض : واختلفوا أين تزوجها ؟ فقيل : بالمدينة بعد قدومها من الحبشة ،

---

(٣٤٤) صحيح : رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢ / ٢٩٤ ــ ٢٩٥) وأحمد (٦ / ٢٧٧) .

(٣٤٥) رواه مسلم في «الآداب» (٢١٤٠) باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما .

(٣٤٦) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٢٦٣) .

(٣٤٧) **صحيح** : رواه أحمد (٦ / ٤٢٧) ، وأبو داود (٢١٠٧) والنسائي (٦ / ١١٩) .

(٣٤٨) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢٥٠١) باب من فضائل أبي سفيان بن حرب ﵁ .

وقال الجمهور : بأرض الحبشــة ، قال : واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك ؟ فقيل : عثمان ، وقيل : خالد بن ســعيد بن العاص بإذنها ، وقيل النجا شي لأنه كان أمير المو ضع و سلطانه . قال القا ضي : والذي في م سلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدًا وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشــهور [٣٤٩] ، ولم يزد القاضــي على هذا . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهم من بعض الرواة ، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر ، وهي بأرض الحبشــة ، وأبوها كافر ، وفي رواية عن ابن حزم أيضًــا أنه قال : موضــوع ، قال : والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل ، وأنكر الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه ، قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان هجومًا على تخطئة الأئمة الكبار ، وإطلاق اللسان فيهم . قال : ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى و ضع الحديث ، وقد وثقه وكيع ويحي بن معين وغيرهما ، وكان مســتجاب الدعوة . قال : وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة ، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبًا لقلبه ، لأنه كان ربما يرى عليها غ ضا ضة من ريا سته ون سبه أن تزوج ابنته بغير ر ضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد ، هذا كلام أبي عمرو رحمه الله ، وليس في الحديث أن النبيﷺ جدد العقد ، ولا قال لأبي سفيان إنه يحتاج إلى تجديده ، فلعلهﷺ أراد بقوله : **«نعم»** أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد ، والله أعلم» [٣٥٠] .

توفيت أم حبيبة ﵂ سنة أربع وأربعين للهجرة ، وقيل سنة اثنين وأربعين ، ودفنت بالمدينة .

صفية بنت حُيَىٍّ ﵂ :

هي : أم المؤمنين صــفية بنت حُيَيٍّ بن أخطب بن ســعية بنت ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب ، من ســبط لاوى بن يعقوب ، ثم من ذرية هارون بن عمران عليه السلام .

كان أبوها حيي بن أخطب من كبار اليهود ، وسيد بني النضير وبني قريظة ، وقتل مع بني قريظة .

وكانت صفية ﵂ قد تزوَّجها قبل إ سلامها سلام بن أبي الحقيق ثم فارقها ، وخلفه عليها كنانة بن أبي الحقيق ، وكانا من شعراء اليهود ، وقتل كنانة يوم خيبر عنها ، ووقعت هي في السبي ، وصارت في سهم دحية الكلبي ، ثم أعطاه النبيﷺ جارية أخرى ، وأخذ صفية لنفسه ثم أعتقها وتزوجها .

عن أنس بن مالك ﵁ ، أن رسول اللهﷺ غزا خيبر ، قال أنس : وأصبناها عنوة ، وجُمع السبي ، فجاءه دحية فقال : يا رسول الله أعطني جارية من السبي ، فقال : **«اذهب فخذ جارية»** فأخذ صفية بنت حيي ، فجاء رجل إلى نبي اللهﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة وبني النضير ما تصلح إلا لك ، قال : «ادعو بها» ، قال : فجاء بها ، فلما نظر إليها النبي قال : **«خذ جارية من السبي غيرها» قال :** وأعتقها وتزوجها [٣٥١] .

فقال ثابت [٣٥٢] لأنس : يا أبا حمزة ما أصدقها ؟ ، قال : نفسها ، أعتقها وتزوجها ، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم ، فأهدتها له [٣٥٣] من الليل ،فأصبح النبيﷺ عروسًا ، فقال : **« من كان عنده شيء فليجيء به»** قال: وبسط نطعًا ، قال : فجعل الرجل يجيئ بالأقط [٣٥٤] ، وجعل الرجل يجيئ بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسًا [٣٥٥] ، فكانت وليمة رسول اللهﷺ [٣٥٦] .

---

(٣٤٩) يشــير إلى قصــة زيارة أبي ســفيان لابنته أم حبيبة في المدينة ، ولما أراد أبو ســفيان أن يجلس على فراش النبيﷺ طوته أم حبيبة حتى لا يجلس عليه ، وقالت له : إنه فراش رسول اللهﷺ ، وأنت امرؤ مشرك .

(٣٥٠) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ٥٤ ، ٥٥) باختصار يسير .

(٣٥١) **قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ** : «لما قيل للنبيﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفا ستها ، فلو خصَّه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم ، فكان في المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاص النبي ﷺ بها فإن في ذلك رضا للجميع» .١هـ «فتح الباري» (٨ / ٤٨١٢) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٣٥٢) هو ثابت البناني الراوي عن أنس ﵁ .

(٣٥٣) أهدتها له : أي زفتها له .

(٣٥٤) الأقط : اللبن المجفف .

(٣٥٥) الحيس : هو الأقط والتمر والسمن يخلط ويعجن ، والمعنى جعلوا ذلك حسيًا ثم أكلوه .

(٣٥٦) رواه مسلم في «النكاح» (١٣٦٥) باب فضيلة اعتاق أمته ثم يتزوجها .

وفي رواية للبخاري : فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين ، أو ما ملكت يمينه ؟ قالوا : إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأها خلفه ومد الحجاب [٣٥٧] .

وكان عمرها حين تزوجها النبيﷺ سبعة عشر عامًا وكانت ﵂ ذات دين وحلم ووقار .

عن أنس بن مالك ﵁ قال : بلغ صفية أن حفصة قالت : بنت يهودي ، فبكت ، فدخل عليها النبيﷺ وهي تبكي ، فقال : **«ما يبكيك؟»** ، فقالت : قالت حفصة: إني بنت يهودي ، فقال النبيﷺ : **«إنك لابنة نبي** [٣٥٨] **، وإن عمك لنبي** [٣٥٩] **، وإنك لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك؟»** ثم قال : **«اتقي الله يا حفصة»** [٣٦٠] .

وقال ابن عبد البر –رحمه الله–: روِّينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب فقالت : إن صفية تحب السبت ، وتصل اليهود ، فبعث عمر يسألها ، فقالت : أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ، وأما اليهود ، فإن لي فيهم رحمًا ، فأنا أصلها ، ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان ، قالت : فاذهبي فأنت حرة [٣٦١] .

توفيت صفية ﵂ سنة خمسين للهجرة ، ودفنت بالبقيع .

ميمونة بنت الحارث ﵂ :

هي : أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجر بن الهُزم بن رُويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة .

وهي أخت أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب ، فهي خالة عبد الله بن عباس ﵁ وهي أخت لبابة الصغرى بنت الحارث زوجة الوليد بن المغيرة ، فهي خالة خالد بن الوليد ﵁ .

قال عبد الله بن عباس ﵁ : كان اسم خالتي ميمونة : برة ، فسماها رسول اللهﷺ ميمونة [٣٦٢] .

وكانت ﵂ قد تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام ، ففارقها ، ثم تزوجها أبو رُهم بن عبد العزى ، فمات عنها ، فتزوجها النبيﷺ بعد فراغه من عمرة القضاء [٣٦٣] سنة سبع في ذي القعدة ، وبني بها بِسَرِف [٣٦٤] ، وكانت ﵂ قد جعلت أمرها — لمّا خطبها النبيﷺ إلى زوج أختها العباس بن عبد المطلب ﵁ ، فزوَّجها رسول اللهﷺ ، وهي آخر امرأة تزوج بها رسول اللهﷺ .

وكانت ﵂ امرأة تقية وصالة لرحمها .

قال يزيد بن الأصم — وهو ابن أخت ميمونة ﵂ — تلقيتُ عائشة ، وهي مقبلة من مكة ، وأنا وابنُ أختها ولدٌ لطلحة ، وقد كُنَّا وقعنا في حائط بالمدينة [٣٦٥] فأصبنا منه ، فبلغها ذلك ، فأقبلت على ابن أختها تلوُمه ، ثم وعظتني موعظة بليغة ، ثم قالت : أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت نبيِّه ، ذهبتْ والله ميمونة ، ورمى بحبلك على غاربك ، أما إنها كانت من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم [٣٦٦]

---

(٣٥٧) رواه البخاري في «المغازي» (٤٢١٣) باب غزوة خيبر .

(٣٥٨) يقصد هارون عليه السلام لأن صفية من ذريته .

(٣٥٩) يقصد موسى أخا هارون عليه السلام .

(٣٦٠) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ١٣٥ ، ١٣٦) والترمذي (٣٨٩٤) .

(٣٦١) «الاستيعاب» (١٣ / ٦٥) نقلاً عن «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٢٣٢ — ٢٣٣) .

(٣٦٢) **صحيح** : رواه الحاكم (٤ / ٣٠) .

(٣٦٣) سميت هذه العمرة بهذا الاسم لأن النبيﷺ قاضي فيها قريشًا .

(٣٦٤) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٣٦٥) الحائط : البستان .

(٣٦٦) حسن : رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨ / ١٣٨) والحاكم (٤ / ٣٢) .

وعن يزيد بن الأصم ﷺ ، أن قرابة لميمونة دخل عليها ، فوجدت منه ريح شراب ، فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك ، لا تدخل عليَّ أبدًا [٣٦٧] .

توفيت ميمونة ﷺ سنة إحدى وخمسين للهجرة ، ودفنت بسرف .

قال يزيد بن الأصم ﷺ : دفنَّا ميمونة بسرف في الظُّلَّة التي بني بها فيها رسول الله ﷺ ، ونزلت في قبرها أنا وابن عباس [٣٦٨] .

وهؤلاء زوجات النبي ﷺ اللواتي تزوجهن ودخل بهن ، إحدى عشرة امرأة ، ولا خلاف أنه ﷺ تُوفى عن تسع ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة ، وصفية بنت حيي ، وسودة بنت زمعة ، وجويرية بنت الحارث ، وأم حبيبة ، وميمونة.

■ الرد على من طعن في الرسول ﷺ بسبب تعدد زوجاته !! ■

طعن بعض المستشرقين في الرسول ﷺ ، بسبب تعدد زوجاته ، واتهموه بأنه شهواني ، ويبحث عن الملذات !!

والرد على هذه الفرية يكون من خلال النقاط التالية :

أولاً : من المعروف عن النبي ﷺ قبل بعثته ، أنه كان حسن السيرة ــ وقد شهد له أعداؤه بذلك ــ وقد ظل ﷺ حتى الخامسة والعشرين من عمره دون زواج ، ولم يُعرف عنه أي إنحراف إلى سلوك غير قويم ، وقد اعترف بذلك المستشرق «موير» ، فقال : إن جميع المراجع متفقة على أن النبي ﷺ في شبابه كان مطبوعًا بالهدوء والدعة والابتعاد عن المعاصي التي كانت قريش تغترف منها .

ثانيًا: عندما رغب النبي ﷺ في الزواج وهو في عنفوان شبابه في سن الخامسة ، والعشرين ، لم يبحث عن البكر التي تكون أحظى للقبول ، وأولى للباحثين عن مجرد المتعة . وإنما تزوج خديجة ﷺ وكانت تكبره بحوالي خمسة عشر عامًا ، وكانت قد تزوجت قبله مرتين . وقد عاش معها ﷺ ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، وكان عمره ﷺ عند موتها قد جاوز الخمسين ، وهي السن التي تنطفئ فيها ــ غالبًا ــ جذوة الشهوة الجنسية إلى الأنثى .

فهل من المعقول أن يكون النبي ﷺ وهو في سن الشباب والفتوة مستقيمًا ، ولا يعرف بالشهوانية ، ثم عندما يتخطى الخمسين من عمره ينقلب فجأة إلى رجل شهواني ؟ !!

ثالثًا : الثابت من سيرته ﷺ أنه لم يكن من بين زوجاته عذراء إلا عائشة ﷺ ، فهل هذا سلوك رجل يبحث عن الشهوة والمتعة الجنسية ؟!!

رابعًا : إن المتأمل في أحوال زوجات النبي ﷺ يدرك أن زواج النبي ﷺ منهن جميعًا كان لأهداف نبيلة إنسانية أو تشريعية ، ولم يكن من بينها هدف الشهوة أو الملذات الجنسية على الإطلاق .

فبعد وفاة خديجة ﷺ ــ وكان ﷺ تخطى الخمسين من عمره ـــ تزوج سودت بنت زمعة ، وهي أرملة أحد صحابته ، ولم يعرف عنها أنها كانت ذات جمال أو ثروة أو مكانة ، ولكنه ﷺ تزوجها لأنها بعد أن توفى عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية أصبحت فريدة وحيدة لا معيل لها ولا معين ، ولو عادت إلى أهلها ـــ بعد وفاة زوجها ـــ لأكرهوها على الشرك ، أو عذبوها عذابًا شديدًا ، فاختار النبي ﷺ كفالتها وضمها إليه وهي أرملة مسنة بلغت من العمر الخامسة والخمسين ، وهذا منتهى الكرم والإحسان من رسول الله ﷺ إليها .

وأما عائشة ﷺ ، فقد كان أبوها (أبو بكر الصديق ﷺ) من أحب أصحاب النبي ﷺ إليه ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وكان يصِّدقُه في كل أمر يأتي به ، مما يدل على كمال إيمانه كما أنه طالما أنفق أمواله في سبيل نصرة دين الله عز وجل ، وليس بغريب أن يتزوج الرسول ﷺ بابنته مكافأة له على صنيعه ليكسب هو وابنته شرف مصاهرته ﷺ ، كما كان لزواجها منه فوائد عظيمة من أجلّها الناحية العلمية ، فقد كانت عائشة ﷺ من فقهاء الصحابة ، وممن روى كثيرًا من أحاديث النبي ﷺ .

---

(٣٦٧) حسن : رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨ : ١٣٩) .

(٣٦٨) صحيح : رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨ / ١٣٩ ــ ١٤٠) والحاكم (٤ / ٣١) وصححه ، ووافقه الذهبي .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسولﷺ بها، وهو يكبرها بأكثر من أربعين عامًا ليس بدعًا ولا غريبًا لأن هذا الأمر كان مألوفًا في مجتمعهم .

فقد تزوج عبد المطلب جد الرسولﷺ من هالة بنت عم آمنة بنت وهب ، التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله ــ والد الرسولﷺ .

وتزوج عمر بن الخطاب ﷺ أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو أكبر سنًا من أبيها .

وعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة «حفصة» وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسولﷺ وبين عائشة ﷺ .

لكن بعض المستشرقين ـــ الذين امتلأت قلوبهم حقدًا على رسول اللهﷺ ـــ قد جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسولﷺ وتشهيرًا به بأنه رجل شهواني ، إذ كيف وهو في هذه السن يتزوج من فتاة صغيرة ؟! ، وقد تجاهل الحاقدون ــ عن عمد ــ ما كان واقعًا في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات ، من غير نكير !!

وأما زواجهﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، فقد كان تطييبًا لخاطر عمر ﷺ ، لأنه كان متألمًا لترمل ابنته وهي في سن الشباب ، حتى أنه عرضها على أبي بكر وعثمانﷺ حتى يطمئن عليها وهي في كنف زوج ، ولما رأى الرسولﷺ الحيرة في قلب عمر على ابنته تزوجها تسكينًا لنفسه وتقديرًا له ، فما أكرم سياستهﷺ ، وما أعظم وفاءه لأصحابه .

وأما أم سلمة ﷺ ، فقد كانت هي وزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ــ وهو ابن عمة رسول اللهﷺ وأخوه من الرضاعة ــ من السابقين إلى الإسلام ، وقد هاجرت أم سلمة مع زوجها إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وقد توفى زوجها بعد غزوة أحد ، ولما رغب النبيﷺ في زواجها ذهب إليها وخطبها لنفسه فاعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام ، وذات غَيْرة ، فأجابها النبيﷺ بأنه أكبر منها سنًا ، وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى ، وبأن الأيتام إلى الله ورسوله ، وتزوجهاﷺ . حتى يرعاها ، ويكفل أيتامها .

وأما زواجهﷺ من زينب بنت جحش ﷺ ، فقد كان هذا الزواج من أجل إبطال عادة التبني التي كانت منتشرة في الجاهلية ، وصدر الإسلام ، ولم يكن لرسول اللهﷺ اختيار في هذا الزواج .

وأما زواجهﷺ من جويرية بنت الحارث ﷺ ، فقد كان من أجل تحقيق أهداف نبيلة ، لأنها لما وقعت في الأسر ، وأدى النبيﷺ عنها كتابتها وتزوجها ، قال أصحاب الرسولﷺ : أصهار رسول اللهﷺ تحت أيدينا ؟ فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم ، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو من خلق النبيﷺ وأصحابه أقبلوا على الإسلام طائعين ، وتحولوا من أعداء للإسلام إلى جند من جنوده ، وحملة رسالته .

وأما زواجهﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان ﷺ ، فإن أبا سفيان كان في ذلك الوقت حامل لواء الشرك ، وألد الأعداء لرسول اللهﷺ ، وقد أسلمت ابنته في مكة ، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، وبعد تنصر زوجها وارتداه عن الإسلام أصبحت وحيدة فريدة ، فكتب الرسولﷺ إلى النجاشي أن يزوجه إياها ، ودخل عليها بالمدينة ، ولا ريب أن هذا الزواج فيه مواساة منه عليه الصلاة والسلام لهذه المرأة التي رُزِئَتْ في زوجها ، ولا تستطيع العودة إلى أبيها حتى لا يكرهها على الكفر ، فكان زواجه منهاﷺ تقديرًا لها وكفالتها وجبر خاطرها بعد مصابها بتنصر زوجها ، وعداوة أبيها .

وزيادة على ذلك ، فإن هذا الزواج كان سببًا في استمالة أبيها إلى الدخول في الإسلام .

وأما زواجهﷺ من صفية بنت حيي ﷺ ، فقد كانت صفية من يهود بني النضير ، وأسرت بعد مقتل زوجها في غزوة خيبر ، فأخذها دحية الكلبي في سهمه ، فقال أهل الرأي للرسولﷺ : إنها سيدة قومها ولا تصلح إلا لك ، فاستحسن النبيﷺ رأيهم ، ورقَّ لحالها ، فوهبها حريتها وتزوجها ، فدل هذا الصنيع من النبيﷺ على سمو ونبل أخلاقه ، فهو يعفو عند المقدرة ، وينزل الناس منازلهم ، ولو كانوا على غير دينه .

وأما ميمونة بنت الحارث ﷺ ، فقد كانت مجاهدة ، شجاعة تقف في صفوف المجاهدين ، تسعف الجرحى ، وتداوي المرضى ، وقد أصيبت بسهم من سهام الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين في غزوة تبوك ، فتزوج بها الرسولﷺ تقديرًا منه لها ، واعترافًا بفضلها .

ومما سبق يتبين أن النبيﷺ لم يكن بالرجل الشهواني الباحث عن الملذات كما قال بعض المستشرقين الذين امتلأت قلوبهم حقدًا على رسول اللهﷺ ، وقد كان فريق من المستشرقين تجردوا من العصبية والهوى والحقد الدفين ، فقالوا الحق ، وجهروا به ، ومن هؤلاء المؤرخ الإنجليزي «آن بيزيت» ، والذي قال في كتابه «حياة وتعاليم محمد» :

«من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علّم الناس إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء .. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفيًا لها طيلة ٢٦ عامًا ثم عندما بلغ الخمسين من عمره -- السن التي تخبو فيها شهوات الجسد -- تزوج لإشباع رغباته وشهواته ؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأ شخاص، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أ شياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس ، فإنني أ شعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم . فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سببًا إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه ، أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية» [٣٦٩] .



(٣٦٩) «الإسلام في عيون المنصفين» (١ / ١٢٢) .

أولاد الرسولﷺ

لا خلاف بين أهل العلم أن أولاد النبيﷺ جميعًا من ذكر وأنثى كانوا من خديجة ﵂، ما عدا إبراهيم فإنه من مارية بنت شمعون القبطية المصرية التي أهداها له المقوقس عظيم القبط ، وكان قد أهدى معها أختها سـيرين ، وهي التي وهبها رسـول اللهﷺ لحسـان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن .

أولاً : أولاد الرسولﷺ من الذكور

١ ـ **القاسم :** وبه كان يكنيﷺ ، وهو أكبر ولده ، وقد وُلِدَ بمكة قبل النبوة ، ومات صغيرًا .

٢ ـــ **عبد الله :** قال ابن القيم : «وهل وُلِدَ بعد النبوة أو قبلها ؟ فيه اختلاف ، وصحيح بعضهم أنه وُلِدَ بعد النبوة ، وهل هو الطيب والطاهر ، أو هما غيرُه ؟ على قولين ، والصحيح أنهما لقبان له، والله أعلم»(٣٧٠) . وقد مات عبد الله صغيرًا .

٣ـــ **إبراهيم :** وقد ولد بالمدينة من سُرِّيته «مارية القبطية» سنة ثمان من الهجرة ، ومات في السنة العاشرة من الهجرة « قل موت أبيهﷺ بثلاثة أشهر ، يوم كسوف الشمس (٣٧١)» وهو ابن ثمانية عشر شهرًا . والله أعلم .

ثانيًا : أولاد الرسولﷺ من الإناث

١ ـــ **زينب** : وهي أكبر بناتهﷺ وقد تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس ، بن عبد مناف ، وكانت خديجة أم المؤمنين خالة أبي العاص ، ولم يكن لزينب زوج غير أبي العاص ، فولدت له عليًا ـــ ومات مراهقًا ـــ وأمامة وكان النبي ﷺ يحملها في الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها .

وقد تزوجها على بن أبي طالب ﵁ بعد وفاة فاطمة ﵂ فلم تلد له ، ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، «وله رؤية ، فجاءها منه أولاد . وقال الزبير بن بكار : انقرض عقب زينب» (٣٧٢) ، وقيل : لم تلد له . والله أعلم

وقد توفيت زينب ﵂ سنة ثمان من الهجرة .وتوفي زوجها أبو العاص في خلافة عمر بن الخطاب ﵁ .

٢ ـ ـ **رقية** : وكان قد تزوجها أولاً ابن عمها عتبة بن أبي لهب ، كما تزوج أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب ، ثم طلقاهما قبل الدخول بهما بغضة في رسول اللهﷺ حين أنزل الله تعالى قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسـد : ١ ، ٥] فتزوج عثمان بن عفان ﵁ رقية ، وهاجرت معه إلى الحبشـة ، ثم رجعا إلى مكة ، ثم هاجرا إلى المدينة ، وولدت له ابنه عبد الله ، فمات صغيرًا وله أربع سنين ، وقيل : ست سنين ، وقد ماتت رقية ﵂ بعد يوم بدر بثلاثة أيام ، والله أعلم .

٣ ـــ **أم كلثوم** : تزوجها عثمان بن عفان ﵁ بعد وفاة أختها رقية ﵂ ، ولهذا كان يسمى عثمان ﵁ بذي النورين ، وقد توفيت أم كلثوم ﵂ سنة تسع من الهجرة وهي اصغر بنات الرسول ﷺ .

٤ ـ ـ **فاطمة** : تزوجها ابن عمها على بن أبي طالب ﵁ ، فولدت له الحسن ـ ـ وهو أكبر أولادها ـ ـ والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم وابنا مات صغيرًا ا سمه المحسن، وقد انقطع نسب النبيﷺ إلا من قِبَل فاطمة وقد تزوج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بزينب بنت على ، فولدت له على بن عبد الله ، وله عقب ، وتزوج عمر بن الخطاب ﵁ ، في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ﵂ ، فولدت له زيد ابن عمر بن الخطاب ﵁ .

---

(٣٧٠) «زاد المعاد» (١ / ٦٥) .
(٣٧١) « جوامع السيرة » لابن حزم (ص٤٤).
(٣٧٢) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ١٢٢) .

قال ابن كثير : ولمّا قتل عمر بن الخطاب تزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر فمات عنها ، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فتزوجها أخوهما عبد الله بن جعفر فماتت عنده . وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت علي ، وماتت عنده أيضًا .

وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على أشهر الأقوال . وهذا الثابت عن عائشة ﵂ في الصحيح (٣٧٣) .

وقال ابن القيم: وكل أولاده توفي قبله إلا فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر (٣٧٤) .

وقال الذهبي : توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها ، وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة ، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح (٣٧٥) .



(٣٧٣) «البداية والنهاية» (٣ / ٣٣٢) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٣٧٤) «زاد المعاد» (١ / ٦٥) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٣٧٥) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ١٢١) .

حسن معاملة النبيﷺ لزوجاته

كان النبي ﷺ هو النموذج الأمثل في حسن معاملة زوجاته ، امتثالاً منه لقول الله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ١٩] ، وقد أخبر النبيﷺ عن حسن معاملته لزوجاته ، فقال : «**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**» [٣٧٦] وسوف أذكر نماذج قليلة من حسن عشرتهﷺ لزوجاته ، حتى نتعرف على جانب من جوانب عظمتهﷺ .

* عن عائشة ﵂ قالت : أتيت النبيﷺ بخريزة [٣٧٧] قد طبختها له ، فقلت لسودة ﵂ ، والنبيﷺ بيني وبينها : كلي ، فأبت ، فقلت : لتأكلين أو لألطخن وجهك ، فأبت ، فوضعت يدي في الخريزة ، فطليت وجهها ، فضحك النبيﷺ ، فوضع بيده لها ، وقال لها : «لطخي وجهها» فضحك النبي لها ، فمرّ عمر ﵁ فقال : يا عبد الله ، يا عبد الله ، فظن أنه سيدخل ، فقال : «**قوما فاغسلا وجوهكما**» قالت عائشة : فما زلتُ أهاب عمر لهيبة رسول اللهﷺ » [٣٧٨] .

وعنها ﵂ قالت : كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرق والحراب [٣٧٩] ، فقال النبيﷺ : «**تشتهين تنظرين؟**» فقلت : نعم ، فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول : «**دونكم يا بني أرفدة**[٣٨٠]»حتى إذا مللت قال: «**حسبك؟**» قلت: نعم ، قال: «**فاذهبي**»[٣٨١].

قال ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ : «وفي رواية النسائي .. عنها» دخل الحبشة يلعبون فقال لي النبيﷺ : «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت : نعم إسناده صحيح ، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا» [٣٨٢] .

وعنها رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبيﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : «**تقدموا**» فتقدموا ثم قال لي : «**تعالى حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت ، وخرجت مع رسول اللهﷺ في بعض أسفاره ، فقال للناس : «**تقدموا**» فتقدموا ثم قال لي «**تعالى حتى أسابقك** ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك ويقلو : «**هذه بتلك**» [٣٨٣] .

وعنها ﵁ قالت : قال لي رسول اللهﷺ : «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى**» فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ قال : «**إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت عليّ غضبى قلت : لا ورب إبراهيم**» قالت : قلت : أجل يا رسول الله والله ما أهجر إلا اسمك» [٣٨٤] .

وعن جابر عبد الله ﵁ قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللهﷺ فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم

---

(٣٧٦) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٨٩٥) والدارمي (٢ / ١٥٩) وابن حبان (٤١٧٧) .

(٣٧٧) الخريزة : لحم يقطع صغارًا ، ويُصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذُر عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيه لحم فهي العصيدة ، وقيل ، هي حساء من دقيق ودسم ، وقيل : إذا كان من دقيق فهي حريرة ، وإن كان من نخالة فهي خزيزة . انظر «النهاية» و «اللسان» و «تاج العروس» .

(٣٧٨) **حسن** : رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧ / ٤٥٠ / ٤٤٧٦) .

(٣٧٩) الحراب : جمع حربة . والدرق : جمع درقة وهي الترس .

(٣٨٠) بنو أرفدة : قيل هو لقب للحبشة ، وقيل هو اسم جنس لهم ، وقيل اسم جدهم الأكبر وقيل يا بني الإماء .

(٣٨١) رواه البخاري في «العيدين» (٩٥٠) باب الحراب والدرق يوم العيد .

(٣٨٢) «فتح الباري» (٣ / ١٣٤٦) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٣٨٣) **صحيح** : رواه أحمد (٦ / ١٦٤) وأبو داود (٢٥٧٨) .

(٣٨٤) رواه البخاري في «النكاح» (٥٢٢٨) باب غيرة النساء ووجدهن . ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٣٩) باب في فضل عائشة ﵂ .

قال أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبيﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا قال : فقال: لأقولن شيئًا أُضحك النبيﷺ [٣٨٥] فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها [٣٨٦] ، فضحك رسول اللهﷺ وقال : **«هن حولي كما ترى يسألنني النفقة»** ، فقام أبو بكر

إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول : تسألن رسول اللهﷺ ما ليس عنده ، فقلن والله لا نسأل رسول اللهﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده ..» [٣٨٧] .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمرًا حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم قال : فبينما أنا في أمر أأتمره إذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا وكذا فقلت لها : ومالك أنت ولما هاهنا وما تكلفك في أمر أريد فقالت لي : عجبًا لك يا بن الخطاب ما تريد أن تُراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول اللهﷺ حتى يظل يومه غضبان . قال عمر : فآخذ ردائي ثم أخرج مكاني حتى أدخل على حفصة فقلت لها : يا بنية، إنك لتراجعين رسول اللهﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة : والله إنا لنراجعنه» [٣٨٨] .

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال : استأذن أبو بكر على النبيﷺ ، فسمع صوت عائشة عاليًا على رسول اللهﷺ ، فلما دخل تناولها ليلطمها ، وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ، فجعل النبيﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضبًا ، فقال رسول اللهﷺ حين خرج أبوبكر: **«كيف رأيتيني أنقذتك من الرجل ؟»** فمكث أبو بكر أيامًا ثم استأذن على رسول اللهﷺ ، فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما ، فقال رسول اللهﷺ : **«قد فعلنا ، قد فعلنا»** [٣٨٩] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : كان للنبيﷺ حادٍ يحدو بنسائه ، يقال له أنجشة ، فحدا فأعنقت الإبل ، فقال رسول اللهﷺ : **«ويحك يا أنجشة ، ارفق بالقوارير»** [٣٩٠] .

قال ابن بطال ــ رحمه الله ــ : «القوارير ، كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع ، فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط ، وإذا مشيت رويدًا أمن على النساء السقوط ، قال : وهذا من الاستعارة البديعة ، لأن القوارير أسرع شيء تكسيرًا ، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير مالم تفده الحقيقة لو قال : ارفق بالنساء» [٣٩١] .

---

(٣٨٥) **قال النووي ــ رحمه الله ــ** : «فيه استحباب مثل هذا ، وأن الإنسان إذا رأى صاحبه مهمومًا حزينًا يستحب له أن يحدث بما يضحكه أو يشغله ويطيب نفسه» .

(٣٨٦) أي طعنها في عنقها .

(٣٨٧) رواه مسلم في «الطلاق» (١٤٧٨) باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بنية .

(٣٨٨) رواه البخاري في «النكاح» (٥١٩١) باب موعظة الرجل ابنته . ومسلم في «الطلاق» (١٤٧٩) باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن .

(٣٨٩) **حسن** : رواه أبو داود (٤٩٩٩) .

(٣٩٠) رواه البخاري في «الأدب» (٦١٤٩) باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٢٣) باب في رحمة النبيﷺ للنساء ، وأمر السواق مطايا هن بالرفق بهن .

(٣٩١) «فتح الباري» (١٠ / ٥٦١) ط الريان .

زهد الرسول ﷺ في الدنيا

كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأشـدهم إطراحًا لها ، وقد عاش حياته كلها يؤثر آخرته على دنياه ، حتى إن بعض الصـحابة كانوا يبكون عندما يرون النبي ﷺ على هذا الحال .

فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : دخلت على ر سول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه ، فنظرت ببصري في خزانة ر سول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظا [٣٩٢] في ناحية الغرفة وإذا أفيق [٣٩٣] معلق ، قال : فابتدرتْ عيناي ، قال : « **ما يبكيك يا بن الخطاب** » ، قلت :يا نبي الله مالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك . فقال : «**يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**» [٣٩٤] .

وفي رواية قال : ا ستأذنت على ر سول الله ﷺ فدخلت عليه في م شربة [٣٩٥] وإنه لم ضطجع على خ صفة [٣٩٦] ، وإن بع ضه لعلى التراب ، وتحت و سادة محشوة ليفًا[٣٩٧] وإن فوق رأسه لإهابًا عطنًا [٣٩٨] ، وفي ناحية المشربة قرظ ، فسلمت عليه فجلست فقلت : أنت نبي الله و صفوته ، وكسرى وقيصـر على سـرر الذهب وفرش الديباج والحرير ، فقال : «**أولئك عجِّلت لهم طيباتهم وهي وشـيكة الانقطاع** [٣٩٩] ، **وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا**» [٤٠٠] .

وعن عائشة ﷺ قالت : دخلتْ عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية فبعثتْ إليَّ بفراش حشوه الصوف ، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال : «**ما هذا يا عائشـة**» قالت : يا رسـول الله فلانة الأنصـارية دخلتْ فرأت فراشـك ، فذهبت فبعثت إليَّ بهذا ، فقال ﷺ : «**ردّيه يا عائشـة فو الله لو شـئت لأجري الله معي جبال الذهب والفضة**» [٤٠١] .

■ طعام الرسول ﷺ ■

من مظاهر زهد الرسول ﷺ في الدنيا التقلل من الطعام والشراب والرضا باليسير منهما .

فعن النعمان بن بشير ﷺ قال : ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل [٤٠٢] ما يملأ بطنه [٤٠٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : كان يمُّر بآل ر سول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار، لا لخبز ولا لطبيخ ، قالوا : بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان : التمر والماء ، وكان لهم جيران من الأنصار لهم منائح [٤٠٤] يرسلون إليهم شيئًا من اللبن [٤٠٥] .

***

---

(٣٩٢) القرظ : نبات يستعمل في دباغ الجلود .
(٣٩٣) الأفيق : هو الجلد الذي لم يتم دباغه .
(٣٩٤) رواه مسلم في «الطلاق» (١٤٧٩) باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن .
(٣٩٥) مشربة : أي غرفة .
(٣٩٦) الخصفة : الثوب الغليظ جدًا .
(٣٩٧) ليفًا : أي قشر النخل وما شاكله .
(٣٩٨) من عطن الجلد إذا تمزق شعره وأنتن في الدباغ .
(٣٩٩) وشيكة : أي سريعة .
(٤٠٠) **صحيح** : رواه الحاكم .
(٤٠١) **صحيح** : رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٣٤٥) .
(٤٠٢) الدقل : التمر الرديء .
(٤٠٣) رواه مسلم في «الزهد» (٧٣١٦) باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .
(٤٠٤) منائح : جمع منيحة . وأصلها شاة أو بقرة أو ناقة تجعل لبنها لغيرك بنتفع به ثم ترد إليك .
(٤٠٥) **حسن :** رواه أحمد والبزار .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة ك أنها كانت تقول : والله يا بن أختي إنْ كنّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ . قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه (٤٠٦) .

وعن أنس بن مالك ﵁ قال : إن فاطمة ﵂ ناولت النبي ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال لها : **«هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام»** (٤٠٧) .

وعنه ﵁ قال : لم يأكل النبي ﷺ على خوان (٤٠٨) ولم يأكل خبزًا مرققًا حتى مات (٤٠٩) .

وعن سهل بن سعد ﵁ قال : ما رَأي رسوله الله ﷺ النقي (٤١٠) من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ، فقيل : هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ منخل (٤١١) ؟ قال : ما رَأي ر سول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبـضه الله . فقيل : كيف كنتم تأكلون الـ شعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه (٤١٢) » (٤١٣) .



(٤٠٦) متفق عليه .
(٤٠٧) **صحيح** : رواه أحمد (٣ / ٢١٣) .
(٤٠٨) الخوان : المنضدة التي يؤكل عليها الطعام .
(٤٠٩) رواه البخاري .
(٤١٠) النقي : الخبز الحواري الذي نخل مرة بعد مرة .
(٤١١) المنخل : الغربال الدقيق .
(٤١٢) ثريناه : بللناه بالماء .
(٤١٣) رواه البخاري .

صفات الرسول ﷺ الخِلْقية

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خِلقةً ، وقد نقل لنا صحابته الكرام صفات خلقته ﷺ في أحاديث كثيرة ، فمن ذلك :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجْهًا وأحسنهم خلْقًا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير» (٤١٤)

قال ابن حجر ــــــ رحمه الله ــــــ : «المراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع ا ضطراب القامة .. ووقع في حديث أبي هريرة عند الذهلي في «الزهريات» بإسناد حسن «كان ربعة وهو إلى الطول أقرب» (٤١٥) .

وعنه رضي الله عنه قال :« كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا (٤١٦) بعيد ما بين المنكبين عظيم الجُمَّة إلى شحمة أذنيه» (٤١٧)

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «قوله : (عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه) وفي رواية : (ما رأيت من ذي لمة أحسن منه) ، وفي رواية : (كان يضرب شعره إلى منكبيه) ، وفي رواية : (إلى أنصاف أذنيه) ، وفي رواية : (بين أذنيه وعاتقه) . قال أهل اللغة : الجمة أكثر من الوفرة ، فالجمة الشعر الذي نزل إلى المنكبين ، والوفرة ما نزل إلى شحمة الأذنين ، واللمة التي ألمت بالمنكبين . قال القاضي : والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يضرب منكبيه . قال : وقيل : بل ذلك لاختلاف الأوقات ، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب ، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين ، فكان يقصر ويطول بحسب ذلك . والعاتق ما بين المنكب والعنق ، وأما شحمة الأذن فهو اللين منها في أسفلها وهو معلق القرط منها» (٤١٨) .

وكان النبي ﷺ يسدل شعره ويفرقه .

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يسدلُون أ شعارهم وكان المشركون يفرقون رؤو سهم وكان ر سول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسَدَل رسول الله ﷺ ناصيته ثم فَرَق بَعْدُ (٤١٩) .

قال : النووي ـــ رحمه الله ـــ : «قال القاضي : سدل الشعر إرساله . قال : والمراد به هنا عند العلماء إرساله على الجبين واتخاذه كالقصة ، يقال : سدل شعره وثوبه إذا أر سله ولم يضم جوانبه ، وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض ، قال العلماء : والفرق سنة لأنه الذي رجع إليه النبي ﷺ ...

قال النووي : « والحاصل أن الصحيح المختار جواز السدل والفرق ، وأن الفرق أفضل ، والله أعلم» (٤٢٠) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان ر سول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالق صير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط» (٤٢١) .

---

(٤١٤) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٤٩) باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم في «الفضائل» (٢٣٣٧) باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا .

(٤١٥) «فتح الباري» (٧ / ٤١٤٥) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٤١٦) مربوعًا : أي ليس بالطويل ولا بالقصير .

(٤١٧) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٥١) باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم في «الفضائل» (٢٧٧٣) باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا .

(٤١٨) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٢ ، ٨٣) بتحقيقي .

(٤١٩) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٥٨) باب صفة النبي ﷺ ومسلم في «الفضائل» (٢٣٣٦) باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه.

(٤٢٠) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨١) .

(٤٢١) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٤٧) باب صفة النبي ﷺ . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٤٧) باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه .

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «قوله ولا الأبيض الأمهق ولا بالآدم» الأمهق : بالميم هو شديد البياض كلون الجص ، وهو كريه المنظر ، وربما توهمه الناظر أبرص . والآدم : الأسـمر ، معناه ليس بأسـمر ، ولا بأبيض كريه البياض ، بل أبيض بياضًـا نيرًا ، كما قال في الحديث : «إنه كان أزهر اللون» (٤٢٢)

وقال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله أزهر اللون» : أي أبيض مشرب بحمرة ، وقد وقع ذلك صريحًا في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم ، وعند سعيد بن منصور والطيالسي والترمذي والحاكم من حديث على قال : «كان النبيﷺ أبيض مشربًا بياضه بحمرة» (٤٢٣) .

وقوله : (ليس بالجعد القطط ولا بالسبط)

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «الجعودة في الشعر ألا يتكسر ولا يسترسل ، والسبوطة ضده، فكأنه أراد أنه وسط بينهما . ووقع في حديث على عند الترمذي وابن أبي خيثمة «ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعدًا رجلاً» وقوله : رجل بكسر الجيم ــ ومنهم من يسكنها ــ أي متسرح» (٤٢٤) .

وعن الجريري عن أبي الطفيل ﷺ قال : «رأيت رسـول اللهﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري (٤٢٥) ، قال : فقلت له فكيف رأيته ؟ قال : كان أبيض مليحًا مُقَصَّدًا» (٤٢٦)

قال النووي ــ رحمه الله ــ : «قوله : (كان أبيض مليحًا مقصدًا) هو بفتح الصاد المشددة ، وهو الذي ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير» (٤٢٧) .

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : كان رسول اللهﷺ ضخم الرأس ، عظيم العينين، أهدب الأشفار (٤٢٨) ، مشرب العينين بحمرة ، كث اللحية (٤٢٩) ، أزهر اللون ، شثن الكفين والقدمين (٤٣٠) ، إذا مشى كأنما يمشي في صعد ، وإذا التفت التفت جميعًا» (٤٣١) .

وعنه ﷺ أنه سئل عن صفة النبيﷺ فقال : «كان لا قصيرًا ولا طويلاً ، حسن الشعر ، رجله، مشربًا وجهه حمرة ، ضخم الكراديس (٤٣٢) ، شثن الكعبين والقدمين ، عظيم الرأس ، طويل المسـرُبة (٤٣٣) ، لم أر قبله ولا بعده مثله ، إذا مشـى تكفأ كأنما ينزل من صبب (٤٣٤) » (٤٣٥) .

---

(٤٢٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٩١) .
(٤٢٣) «فتح الباري» (٧ / ٤١٤٥) .
(٤٢٤) المصدر السابق (٧ / ٤١٤٦) .
(٤٢٥) لأنه لم يبق أحد من صحابة الرسولﷺ على الحياة في هذا الوقت غير أبي الطفيل ، لأنه آخرهم موتًا .
(٤٢٦) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٤٠) باب كان النبيﷺ أبيض مليح الوجه .
(٤٢٧) شرح النووي على مسلم (١٥ / ٨٤ ، ٨٥) .
(٤٢٨) الأشفار : جمع شفر ، والشفر : أصل منبت الشعر في طرف الجفن .
(٤٢٩) كث اللحية : أي كثير شعر اللحية .
(٤٣٠) شثن : غليظ اللحم .
(٤٣١) **صحيح** : رواه أحمد (١ / ١٠١) .
(٤٣٢) الكراديس : رؤوس العظام ، والكراديس : كل عظيم تكردس اللحم عليه واجتمع بعضه إلى بعض .
(٤٣٣) المسربة : ما دق من شعر الصدر .
(٤٣٤) الصبب : الموضع المنخدر .
(٤٣٥) **حسن** : رواه أحمد (١ / ٨٩ ، ١٠١) وأبو يعلى (٣٧٠) .

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : «كان رسول الله ﷺ أشكل العينين [٤٣٦] ، منهوس العقب [٤٣٧] ، ضليع الفم [٤٣٨] » [٤٣٩] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسول الله أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تَكَفَّأَ ولا مسست ديباجةً ولا حريرة [٤٤٠] ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكةً ولا غبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ [٤٤١]

قال النووي ـ رحمه الله ـ : «قوله (كأن عرقه اللؤلؤ) أي في الصفاء والبياض ..

قوله : (إذا مشى تكفأ) .. قال شمر : أي مال يمينًا و شمالاً كما تكفأ السفينة . قال الأزهري: هذا خطأ لأن هذا صفة المختال ، وإنما معناه أن يميل إلى سمته وقصد مشيه كما قال في الرواية الأخرى : (كأنما ينحط في صبب) . قال القاضي : لا بُعد فيما قاله شمر إذا كان خلقةً وجبلةً ، والمذموم منه ما كان مستعملاً مقصودا» [٤٤٢] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا [٤٤٣] ، فتعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت [٤٤٤] العرق فيها فاستيقظ النبي ﷺ فقال : **«يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟»** قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب» [٤٤٥] .

وعن أبي جحيفة ﷺ قال : «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة .. وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم ، قال : فأخذت بيده فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك» [٤٤٦] .

---

(٤٣٦) الشكلة : حمرة في بياض العين ، وهي تدل على القوة والشجاعة .
(٤٣٧) منهوس العقب : أي قليل لحم العقب ، وهذا أنسب وأحسن في حق الرجال .
(٤٣٨) ضليع الفم : أي عظيم الفم ، والعرب تُمدح بذلك .
(٤٣٩) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٣٩) باب في صفة فم النبي وعينيه .
(٤٤٠) الديباج : نوع من الحرير ، وهو من باب عطف الخاص على العام .
(٤٤١) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٣٠) باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه .
(٤٤٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٧٨) .
(٤٤٣) قال عندنا : أي نام للقيلولة .
(٤٤٤) تسلت العرق : أي تمسحه وتتبعه بالمسح .
(٤٤٥) رواه مسلم في «فضائل» (٢٣٣١) باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .
(٤٤٦) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٥٣) باب صفة النبي ﷺ .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «قوله : (فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك) وقع مثله في حديث جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه عند الطبراني بإسناد قوي ، وفي حديث جابر بن سمرة عند مسلم في أثناء الحديث قال : «فمسح صدري فوجدت ليده بردًا ــ أو ريحًا ــ كأنما أخرجها من جونة عطار» ... وروى أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس «كان رسول اللهﷺ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك ، فيقال مرَّ رسول الله» [٤٤٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : «قبض رسول اللهﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء» [٤٤٨] .

وعن حريز بن عثمان أنه سأل عبد الله بن بسر صاحب النبيﷺ قال : أرأيت النبيﷺ كان شيخًا ؟ قال : كان في عنفقته [٤٤٩]شعرات بيض [٤٥٠] .

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «اقتضى حديث عبد الله بن بسر أن شيبه كان لا يزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة جمع القلة ، لكن خصّ ذلك بعنفقته ، فيحمل الزائد على ذلك في صدغيه»[٤٥١] .



(٤٤٧) «فتح الباري» (٧/ ٤١٥١) .

(٤٤٨) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٤٧) باب صفة النبيﷺ . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٤٧) باب في صفة النبيﷺ ومبعثه وسنه .

(٤٤٩) العنفقة : الشعيرات التي تكون بين الشفة السفلى والذقن .

(٤٥٠) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٤٦) باب صفة النبيﷺ .

(٤٥١) «فتح الباري» (٧/ ٤١٤٧) .

صفة خاتم النبوة

خاتم النبوة هو الذي كان بين كتفي النبيﷺ ، وكان من علامات نبوته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها .

وقد وردت عدة أحاديث في بيان صفته ، فمن ذلك :

عن جابر بن سمرة ﷺ قال : «كان رسول اللهﷺ قد شمط مُقَدَّم رأسُه ولحيته [٤٥٢] وكان إذا ادهن لم يتبين وإذا شعث رأسُه تبين ، وكان كثير شعر اللحية فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديرًا ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده» [٤٥٣]وفي رواية قال : «رأيت خاتمًا في ظهر رسول اللهﷺ كأنه بيضة حمام» [٤٥٤] .

وعن الـسائب بن زيد ﷺ قال : «ذهبت بي خالتي إلى ر سول اللهﷺ فقالت : يا ر سول الله إن ابن أختي وَجِع ، فمسح رأ سي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زِرِّ الحَجَلة» [٤٥٥].

وعن عبد الله بن سرجس ﷺ قال : رأيت النبيﷺ وأكلت معه ... قال : ثم درتُ خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمْعًا عليه خِيلانٌ كأمثاله الثآليل» [٤٥٦].

قال **النووي ــــ رحمه الله ــــ** : «قوله (ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده) ، وفي رواية : (بين كتفيه مثل زر الحجلة) ، وفي رواية : (فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعًا عليه خيلان كأمثال الثآليل) .

أما بيضة الحمام ، فهو بيضتها المعروفة ، وأما زر الحجلة .. المراد بالحجلة واحدة الحجال ، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور .. وجاء في «صحيح البخاري» : «كانت بضعة ناشزة» أي مرتفعة على جسده ، وأما ناغض كتفه .. قال الجمهور : النغض والناغض أعلى الكتف ، وقيل : هو العظم الرقيق الذي أعلى طرفه ، وقيل : ما يظهر منه عند التحرك .

وأما قوله (جمعًا) .. معناه كجمع الكف ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها .

وأما (الخيلان) .. جمع خال ، وهو الشامة في الجسد ، والله أعلم قال القاضي : هذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة .. وأما رواية (جمع الكف وناشز) فظاهرها المخالفة ، فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ، ويكون معناه على هيئة جمع الكف ، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة» [٤٥٧]

وقال القرطبي ــ رحمه الله ــ : «اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفة الأيسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد ، والله أعلم» [٤٥٨] .



---

(٤٥٢) أي صار سواد شعره مخالطًا لبياضه . قال النووي : اتفق العلماء على أن المراد بالشمط هنا ابتداء الشيب . ١ هـ من شرحه على مسلم (١٥ / ٨٦) .

(٤٥٣) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٤٤) شيبهﷺ .

(٤٥٤) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٤٤) باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسدهﷺ .

(٤٥٥) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٤١) باب خاتم النبوة . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٤٥) باب اثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ .

(٤٥٦) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٤٦) باب إثبات خاتم النبوة وصفته .

(٤٥٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٨ ــ ٩٠) .

(٤٥٨) «فتح الباري» (٧ / ٤١٣٨) .

أخلاق الرسولﷺ

لقد بلغ الرسولﷺ الغاية في محاسن الأخلاق ، حتى أثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وقالﷺ عن نفسه : «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» (٤٥٩) .

وقالت عائشة رضي الله عنها لسعد بن هشام لمّا سألها عن خلق رسول اللهﷺ : «ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق نبي اللهﷺ كان القرآن» (٤٦٠) .

قال النووي ـــ رحمه الله ـــ : «قولها : فإن خلق نبي الله كان القرآن» معناه العمل به ، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته» .

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ : «معنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيةً له وخلقًا تطّبعه وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فَعَلَه ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة ، والصفح والحلم ، وكل خلق جميل» (٤٦١) .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «خدمتُ رسول اللهﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفٍ قط، ولا قال لي لشيء لِمَ فعلت كذا ، وهلاَّ فعلتْ كذا» (٤٦٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ من أحسن الناس خلقًا فأرسلني يومًا لحاجة فقلت والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي اللهﷺ ، فخرجت حتى أَمُرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول اللهﷺ قد قَبَضَ بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : «**يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟**» قال : قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله» (٤٦٣) .

فتأمل كيف تلطف الرسولﷺ مع خادمه أنس فلم يعنفه ولم يوبخه ، بل ناداه بقوله «**يا أنيس**» تصغير أنس ، وذلك حتى ينزع الخوف والرهبة منه ، و هذا يدل على كمال خلقهﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه .

قالت عائشة رضي الله عنها : «ما ضرب رسول اللهﷺ بيده شيئًا قط لا عبدًا ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل» (٤٦٤) .

و سئلت رضي الله عنها عن خلق رسول اللهﷺ فقالت : «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا(٤٦٥) في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» (٤٦٦) .

---

(٤٥٩) **صحيح** : رواه أحمد (٢ / ٣٨١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) والبزار (٢٧٤٠ ـــ كشف الأستار) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٣) والحاكم (٢ / ٦١٣) والبيهقي في «السنن» (١٠ / ١٩١ ــ ١٩٢) وفي «شعب الإيمان» (٧٩٧٨) .

(٤٦٠) رواه مسلم في «صلاة المسافرين وقصرها» (٧٤٦) .

(٤٦١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٠٢) .

(٤٦٢) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٠٩) .

(٤٦٣) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣١٠) باب كان رسول اللهﷺ أحسن الناس خلقًا .

(٤٦٤) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٢٧) باب مباعدتهﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله .

(٤٦٥) السخاب : شديد الصياح .

(٤٦٦) **صحيح** : رواه الترمذي (٢٠١٦) وقال : حسن صحيح .

وقال أنس بن مالك ﷺ : «لم يكن رسول الله ﷺ سبابًا ولا لعانًا ولا فاحشًا ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : «**ما له ترب جبينه**» [٤٦٧] .

وقوله ﷺ «**ترب جبينه**» أي خرَّ على وجهه فيصيب التراب جبينه . وقال بعض أهل العلم : إنها كلمة تجري على ألسنة العرب ولا يراد حقيقتها .

وقال ﷺ : «خدمت النبي ﷺ عشـر سـنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضـيعته فلامني ، وإن لامني أحدٌ من أهله إلا قال : «**دعوه فلو قُدِّر أن يكون لكان**» [٤٦٨].



(٤٦٧) رواه البخاري في «الأدب» (٦٠٣١) باب لم يكن النبي فاحشًا ولا متفحشًا .

(٤٦٨) **حسن** : رواه أحمد (٣/ ٢٣١) .

شفقة الرسول ﷺ ورحمته

لقد أرسـل الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ ليكون رحمة للناس عامة والمؤمنين خاصـة ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «هذا عام للبر والفاجر ، فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة» (٤٦٩)

وأما الرحمة الخاصـة بالمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «قوله تعالى ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾ ، أي يعز عليه مشقتكم، والعنت : المشقة ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾الرؤوف :المبالغ في الرأفة والشفقة ، وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ ، فإنه قال : ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ١٤٣] (٤٧٠).

وقد ضـرب النبي ﷺ مثلاً لشـفقته بأمته فقال : «**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء**(٤٧١)**، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصَّبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثلُ من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق** » (٤٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «**مثلي كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها ، قال : فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار ، هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها** » (٤٧٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [إبراهيم:٣٦] وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨] ، فرفع يديه وقال : «**اللهم أمتي أمتي** وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » (٤٧٤).

---

(٤٦٩) «زاد المسير» لابن الجوزي (٥ / ٣٩٨) ط المكتب الإسلامي .

(٤٧٠) تفسير القرطبي (٨/ ٣٠٢) باختصار ، ط الريان.

(٤٧١) **قال النووي – رحمه الله –** : «قوله ﷺ : «وإني أنا النذير العريان» قال العلماء أصـله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشـار به إليهم إذا كان بعيدًا ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم ، وهو طليعتهم ورقيبهم . قالوا : وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأ شنع منظرًا ، فهو أبلغ في ا ستحثاثهم في التأهب للعدو . وقيل معناه : أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي ، فأنا أنذركم عريانًا .

(٤٧٢) رواه البخاري (٤٦٨٢ و ٧٢٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤٧٣) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٢٨٤) ، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

(٤٧٤) رواه مسلم في «الإيمان» (٢٠٢) ، باب : دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم .

وهذه نماذج يسيرة من شفقة النبيﷺ ورحمته .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول اللهﷺ ، قال : كان إبراهيم مُسْترضعًا له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت ... وكان ظئره قَيْنًا(٤٧٥) ، فيأخذه فيقبله ثم يرجع قال عمرو (٤٧٦) : فلما توفى إبراهيم قال رسول اللهﷺ : **«إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي وإن له لظئرين يكمِّلان رضاعه في الجنة»** (٤٧٧) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : **«وُلِدَ لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»** ، ثم دفعه إلى أم سيف امرأةِ قَيْن (٤٧٨) يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتَّبعتُه فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخانًا ، فأسرعت المشي بين يدي رسول اللهﷺ فقلت : يا أبا سيف أمْسِكْ جاء رسول اللهﷺ ، فأمسك فدعا النبيﷺ بالصبي فضمَّه إليه وقال ما شاء الله أن يقول .

فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول اللهﷺ فدمعت عينا رسول اللهﷺ ، فقال : **«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلى ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»** (٤٧٩) .

وعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول : «من سبق إليّ فله كذا وكذا» قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبلهم ويلتزمهم» (٤٨٠) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ يصلي جاء الحسن والحسين أو أحدهما رضي الله عنهما فركب على ظهره ، فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما ، قال : **«نعم المطية مطيتكما»** (٤٨١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنّا مع رسول اللهﷺ في سفر فدعينا إلى طعام ، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان ، فأسرع النبيﷺ أمام القوم ، ثم بسط يده ، فجعل الحسين يفرُّ ههنا وههنا ، فيضاحكه رسول اللهﷺ ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه ، والأخرى بين رأسه وأذنيه ، ثم أعتنقه وقبّله ثم قال : **«حسين مني وأنا منه ، أحب الله من أحبه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»** (٤٨٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن الأقرع بن حابس أبصر النبيﷺ يقبل الحسن ، فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحدًا منهم ، فقال رسول اللهﷺ : **«إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»** (٤٨٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي اللهﷺ قال : **«إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»** (٤٨٤) .

---

(٤٧٥) الظئر : المرضع ، ويطلق على زوج المرضع أيضًا مجازًا . والقين : الحداد .
(٤٧٦) عمرو : هو عمرو بن سعيد راوي الحديث عن أنس رضي الله عنه .
(٤٧٧) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣١٦) باب رحمتهﷺ الصبيان والعيال .
(٤٧٨) امرأة قين : أي زوجة حداد .
(٤٧٩) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) .
(٤٨٠) **حسن** : رواه أحمد (١ / ٢١٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩ / ١٨٨) .
(٤٨١) **حسن** : رواه الطبراني في «المعجم الأوسط » .
(٤٨٢) صحيح : رواه أحمد (٤ / ١٧٢) والترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجه (١٤٤) وابن أبي شيبة (١٢ / ١٠٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٢٢) وابن حبان (٢٢٤٠) والحاكم (٣ / ١٧٧) وانظر «الصحيحة» (١٢٢٧) .
(٤٨٣) رواه البخاري (٥٥٩٧) ، ومسلم (٢٣١٨) .
(٤٨٤) رواه البخاري في «الأذان» (٧٠٩) .

ومن شفقته ﷺ بأمته أنه كان يخشى أن تكثر عليهم الفرائض، كما حدث منه ﷺ في صلاة التراويح، قالت عائشة رضي الله عنها: خرج رسول الله ﷺ من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثُرَ أهل المسجد في الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عَجَزَ المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فطفق رجال منهم يقولون: الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد، فقال: **«أما بعد، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شأنكم الليلة ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزون عنها»** (٤٨٥).

ومن شفقته ﷺ بأمته أنه لمّا كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: «إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال، وسلَّم عليه، وقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين- أي الجبلين -، فقال له رسول الله ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»** (٤٨٦).

■ حياء الرسول ﷺ ■

كان النبي ﷺ أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاءً، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها (٤٨٧)، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه» (٤٨٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟، ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا (٤٨٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتْ امرأة النبيَّ ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ قال: فذكرتْ أنه علَّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فَتَطَهَّرُ بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: **«تطهري بها سبحان الله»** واستتر، وأشار لنا سفيان بن عيينة ـ أحد رواة الحديث ـ بيده على وجهه، قال: قالت عائشة: واجتذبتُها إليَّ وعرفت ما أراد النبي ﷺ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم» (٤٩٠).



(٤٨٥) رواه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١).

(٤٨٦) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٤٨٧) العذراء: هي البكر لم يمسها رجل. والخدر: ستر يجعل للبكر في ناحية البيت.

(٤٨٨) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٦٢) ومسلم في «الفضائل» (٢٣٢٠).

(٤٨٩) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٨٨).

(٤٩٠) رواه البخاري (٣١٤) ومسلم في «الحيض» (٣٣٢).

تواضع الرسولﷺ

عن أبي هريرة ﷺ قال : جلس جبريل عليه السلام إلى النبيﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل ، هذا ملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة ، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك ، أفملكًا نبيًا أجعلك أو عبدًا رسولاً ؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد ، قال : **«بل عبدًا رسولًا»** (٤٩١) .

وعنه رضي الله ، أن رسول اللهﷺ لم يكن أحدٌ يأخذ بيده فينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ، ولم يكن تُرى ركبتيه أو ركبته خارجًا عن ركبة جليسه ، ولم يكن أحد يصافحه إلا أقبل عليه بوجهه ، ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه (٤٩٢) .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن امرأة قالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال **«يا أم فلان انظري أي السكك (٤٩٣) شئت حتى أقضي لك حاجتك»** ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها (٤٩٤) .

وعن أبي غالب قال : قلت لأبي أمامة ﷺ : حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول اللهﷺ . قال : كان حديث رسول اللهﷺ القرآن ، يكثر الذكر ، ويقصر الخطبة ، ويطيل الصلاة ، ولا يأنف ، ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته» (٤٩٥) .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : « كان النبيﷺ يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعقل الشاة ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير » (٤٩٦) .

وعن أنس بن مالك ﷺ : «أنه مشى إلى النبي بخبز شعير وإهالة سَنِخَة (٤٩٧) ، ولقد رهن النبيﷺ درعًا له بالمدينة عند يهودي ، وأخذ منه شعيرًا لأهله ، ولقد سمعته يقول : ما أمسي عند آل محمدﷺ صاع بر ولا صاع حب ، وإن عنده لتسع نسوة» (٤٩٨) .

وعن جرير عبد الله ﷺ قال : «أتى النبي برجل ترتعد فرائصه ، قال ، فقال له : هوِّن عليك فإنما أن ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد(٤٩٩) في هذه البطحاء»(٥٠٠) .

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه «كان يمشي مع رسول اللهﷺ فمرَّ بصبيان فسلَّم عليهم» (٥٠١) .

وعنه ﷺ قال : «كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول اللهﷺ فتنطلق به في حاجتها» (٥٠٢)

---

(٤٩١) **صحيح** : رواه أحمد (٢ / ٢٣١) وابن حبان (٢١٣٧ ــ موارد) .

(٤٩٢) **حسن** : رواه البزار (٢٤٧٣ ــ كشف الأستار) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦٨٨) ط الحرمين . وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ١٥) : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وإسناد الطبراني حسن .

(٤٩٣) السكك : جمع سكة ، وهي الطرق المصطفة من النخل .

(٤٩٤) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٢٦) باب قرب النبيﷺ من الناس وتبركهم به .

(٤٩٥) حسن : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٠٢) وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٠) .

(٤٩٦) حسن : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٩٤) وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٠) .

(٤٩٧) قال ابن حجر : الإهالة ما أذيب من الشحم والإلية ، وقيل : هو كل دسم جامد ، وقيل : ما يؤتدم به من الأدهان . وقوله : سنخة ، أي : المتغيرة الريح .

(٤٩٨) رواه البخاري في «الصوم» (٢٠٦٩) .

(٤٩٩) القدير : اللحم المملوح المجفف في الشمس .

(٥٠٠) **صحيح** : رواه الحاكم (٢ / ٤٦٦) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٥٠١) رواه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم في «الفضائل» (٢١٦٨) .

(٥٠٢) **صحيح** : رواه أحمد (٢ / ٩٨) والبخاري (٦٠٧٢) تعليقًا .

وعن أبي هريرة ، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا : «كان النبيﷺ يجلس بين ظهراني أ صحابه ، فيجيء الغريب ولا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكانًا من طين ، فكان يجلس عليه ونجلس بجانبه» (٥٠٣)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « كان رسول اللهﷺ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأتي مراعاة الضيف» (٥٠٤) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : «كنت رَدِف النبيﷺ على حمار يقال له عفير (٥٠٥) ، فقال : «يا معاذ : هل تدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ..» الحديث (٥٠٦) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبيﷺ – أي راكبًا خلفه – فقال لي : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظ ..** » الحديث (٥٠٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن شخص أحب إليهم ــ أي الصحابة ــ من رسول اللهﷺ . قال : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون كراهته لذلك (٥٠٨) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلتْ ما كان رسول اللهﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : كان بشرًا من البشر ، يَفلي ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه (٥٠٩) .

وعن عروة قال : سأل رجل عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول اللهﷺ يعمل في بيته شيئًا ؟ قالت : نعم كان رسول اللهﷺ يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته (٥١٠) .

ولمّا فتح النبيﷺ مكة ، ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله حتى كاد يمس قادمته تواضعًا لله عز وجل .



---

(٥٠٣) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٦٩٨) وأبو الشيخ في «أخلاق النبيﷺ» (ص١٤١) .

(٥٠٤) **صحيح** : رواه أبو الشيخ في «الأخلاق النبيﷺ» (ص١٢٩) والحاكم (١ / ٦١) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٥٠٥) قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ : عفير : مصغر مأخوذ من العفر ، وهو لون التراب ، كأنه سمي بذلك للونه ، والعفرة حمرة يخالطها بياض .

(٥٠٦) رواه البخاري في «الجهاد والسير» (٢٨٥٦) باب : اسم الفرس والحمار .

(٥٠٧) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (٢٥١٦).

(٥٠٨) **صحيح** : رواه أحمد (٣ / ١٣٢) والبخاري في «الأديب المفرد» (٩٤٦) والترمذي (٢٧٥٥) وفي «الشمائل» (٣٢٠) وأبو الشيخ في «أخلاق النبيﷺ» (ص٦٣) .

(٥٠٩) **صحيح** : رواه أحمد (٦ / ٢٥٦) .

(٥١٠) **صحيح** : رواه أحمد (٦ / ١٦٧) وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٩٢) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (١٤٨٢) وابن حبان (٦٤٤٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١ / ٣٢٨) والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٧٥) .

مزاح الرسولﷺ

عن أبي هريرة ﷺ قال : قالوا ــ أي الصحابة ــ : يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : **«نعم غير أني لا أقول إلا حقًا»** (٥١١) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول اللهﷺ أحسن الناس خلقًا ، وكان لي أخٌ يقال له: أبو عمير.. فكان رسول اللهﷺ إذا جاء فرآه قال: **«يا أبا عمير ما فعل النغير»**(٥١٢) .

والنغير : تصغير نغر ، وهو طائر صغير يشبه العصفور أحمر المنقار .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رجلاً أتى النبيﷺ فاستحمله (٥١٣) ، فقال رسول اللهﷺ : **«إنا حاملوك على ولد ناقة»** فقال : يا رسول الله : ما أصنع بولد ناقة ؟ ، فقال رسول اللهﷺ : **«وهل تلد الإبل إلا النّوق؟»** (٥١٤) .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا ، وكان يُهْدي إلى النبيﷺ هدية من البادية ، فيجهِّزُهُ النبيﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبيﷺ : «**إن زاهرًا باديتُنا ونحن حا ضروه (٥١٥)** » ، وكان رسـول اللهﷺ يحبُّه ، وكان رجلاً دميمًا (٥١٦) ، فأتاه النبيﷺ يومًا وهو يبيع متاعه ، واحتضنه من خلفه وهو لا يبصره . فقال : مَنْ هذا أَرْسلني ، فالتفت ، فعرف النبيﷺ ، فجعل لا يألو (٥١٧) ما ألصق ظهره بصدر النبيﷺ حين عرفه ، فجعل النبيﷺ يقول :

«من يشتري هذا العبد؟» ، فقال الرجل : يا رسول الله إذًا والله تجدوني كاسِدًا (٥١٨) ، فقال النبيﷺ : «**لكِنْ عند الله لستَ بكاسِدٍ**» أو قال : **«أنت عند الله غالٍ»** (٥١٩) .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن النبيﷺ ، كان يمازحه ويقول له : **«ياذا الأذنين»** (٥٢٠) .

وهذا من حسن أخلاقهﷺ ، فقد داعب أنسًا ، ولم ينطق إلا بالصدق .



---

(٥١١) **صــحيح** : رواه أحمد (٢ / ٣٤٠ ، ٣٦٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥) والترمذي (١٩٩٠) وفي «الشـمائل» (٢٢٩) وأبو الشـيخ في «أخلاق النبيﷺ» (ص٣٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧ / ١٦٢ ، ٣١٠) .

(٥١٢) رواه البخاري في «الأدب» (٦١٢٩) ومسلم في «الآداب» (٢١٥٠) .

(٥١٣) استحمله : أي سأله أن يجعله على دابة .

(٥١٤) **صحيح** : رواه أحمد (٣ / ٢٦٧) وأبو داود (٤٩٩٨) والترمذي (١٩٩١) وفي «الـشمائل» (٢٣٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٨) وأبو يعلى (٣٧٧٦) وأبو الشيخ في الأخلاق النبيﷺ» (ص٨٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٨) والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٠٥) .

(٥١٥) باديتنا : أي يستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته وقوله : حاضروه : أي حاضرو المدينة له .

(٥١٦) دميمًا : أي غير حسن الصورة ، مع كونه مليح السيرة .

(٥١٧) لا يألو : أي لا يقصر .

(٥١٨) كاسد : أي رخيص لا يرغب فيه أحد .

(٥١٩) **صــحيح** : رواه أحمد (٣ / ١٦١) والترمذي في «الشـمائل» (٢٣١) وعبد الرزاق في «المصـنف» (١٩٦٨٨) وأبو يعلى (٣٤٦٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (٥ / ٢٧٤ / ٥٣١٠) وابن حبان (٢٢٧٦ ــ موارد) والبزار (٢٧٣٥ ــ كشف) والبيهفي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٢٤٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٦٠) .

(٥٢٠) **صــحيح** : رواه أحمد (٣ / ١٢٧ ، ٢٦٠) وأبو داود (٥٠٠٢) والترمذي (١٩٩٢) وفي «الشــمائل» (٢٢٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٦٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٢٤٨) .

حلم الرسولﷺ

كان النبيﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لمّا كان يوم حنين آثر رسول الله ناسًا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها وما أريد فيها وجه الله ، قال : فقلت : والله لأخبرن رسولَ اللهﷺ ، قال : فأتيته فأخبرته بما قال . قال : فتغير وجهه ، ثم قال : **«فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟»** ، قال : ثم قال : **«يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»** (٥٢١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول اللهﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا ، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل . قال رسول اللهﷺ : **«ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل»** فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه . قال رسول اللهﷺ : **«دَعْهُ فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**(٥٢٢) يمرقون (٥٢٣) من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمية» (٥٢٤) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لمّا توفي عبد الله بن أبيّ (٥٢٥) دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولتُ حتى قمتُ في صدره ، فقلتُ : يا رسول الله ، أعلى عدو الله (٥٢٦) عبد الله بن أبي ، القائل يوم كذا : كذا وكذا (٥٢٧) يعدد أيامه ، قال : ورسول الله ﷺ يتبسم ، حتى إذا أكثرتُ عليه قال : **«أخّر عني يا ابن الخطاب ، إني خيرت فاخترت ، قيل لي : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾** (٥٢٨) **، لو أعلم أني لو زدت على السبعين غُفر له لزدتُ»** ، قال : ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه ، قال : فعجبت من جرأتي على رسول الله ، والله ورسوله أعلم ، قال : فو الله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآية ، فما صلى رسول الله ﷺ بعد على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل(٥٢٩).

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سَحَرَ النبيِّ ﷺ رجل من اليهود ، قال : فاشتكى لذلك أيامًا . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فقال : إن رجلًا من اليهود سحرك ، عقد لك عُقَدًا في بئر كذا وكذا ، فأرسِلْ إليها من يجيء بها ، فبعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه ، فاستخرجها ، فجاء بها ، فحلَّها . قال : فقام رسولُ الله ﷺ كأنما نشط من عقال ، فما ذكر لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات(٥٣٠).

---

(٥٢١) رواه البخاري في «المغازي» (٤٣٣٦) باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . ومسلم في «الزكاة» (١٠٦٢) .

(٥٢٢) تراقيهم : جمع ترقوة ، وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر .

(٥٢٣) يمرقون : أي يخرجون .

(٥٢٤) رواه البخاري في «المناقب» (٣٦١٠) ومسلم في «الزكاة» (١٠٦٤) .

(٥٢٥) هو : عبد الله بن أبي ابن سلول كبير المنافقين ، وكان من أكثر الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ .

(٥٢٦) أي : أعلى عدو الله تصلي ؟ وقد صلى النبي ﷺ لأن ابن أبي كان يظهر الإسلام للناس .

(٥٢٧) يعني قول عبد الله بن أبي كما في سورة المنافقون : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ ويقصد بالأعز نفسه ، ويقصد بالأذل رسول الله ﷺ .

(٥٢٨) وتمام الآية : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

(٥٢٩) رواه البخاري في التفسير (٤٦٧١) .

(٥٣٠) **صحيح** : رواه أحمد (٤/ ٣٦٧) والنسائي (٧/ ١١٢، ١١٣) وابن أبي شيبة (٨/ ٢٩ ، ٣٠) والطبراني في « المعجم الكبير » (٥٠١٦) وعبد بن حميد في « المنتخب من المسند » (٢٧١) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار » (٥٩٣٥) .

وعن أنس بن مالك ﷺ، أنه امرأة يهودية أتت رسولَ الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك ، فقال ﷺ : « **ما كان الله ليسلطك عليّ** » ، قالوا : ألا تقتلها ؟ ، قال : « **لا** » (٥٣١).

وعن جعدة بن خالد بن الصمة الخشني ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، رأى رجلًا سمينًا ، فجعل النبي ﷺ يومئ إلى بطنه بيده ويقول : « **لو كان هذا في غير هذا لكان خيرًا لك** » ، قال :وأتى النبي ﷺ برجل ، فقيل له : هذا أراد أن يقتلك ، فقال النبي ﷺ : « **لم ترع ، ولو أردتَ ذلك لم يسـلطك الله عليّ** » (٥٣٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غِرَّة النبي ﷺ وأصحابه (٥٣٣) ، فأخذهم سِلْمًا فا ستحياهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح : ٢٤] (٥٣٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه (٥٣٥) بردائه جبذة شديدة نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّرَتْ بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك فالتفت رسولُ الله ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء (٥٣٦).

وعن أبى موسى الأشعري ﷺ قال : كنت عند النبي ﷺ وهو نازلٌ بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله ﷺ رجلٌ أعرابي ، فقال : ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أبشر** » ، فقال له الأعرابي : أكثرت عليَّ من أبشر ، فأقبل رسول الله ﷺ على أبى موسى وبلال كهيئة الغضبان ، فقال : « **إن هذا قد رد البشري فاقبلا أنتما** » فقالا : قبلنا يا رسول الله ، ثم دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال : « **اشربا منه وأفرغا** ، فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادتْهُما أم سلمة من وراء الستر أفضلا لأمكما مما في إنائكما فأفضلا لها منه طائفة(٥٣٧).

وجاء زيد بن سعنة (٥٣٨) قبل إسلامه إلى رسول الله ﷺ يتقاضاه دينًا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر ، وشدد له في القول ، والنبي ﷺ يتبسم ، فقال رسول الله ﷺ: « **أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي** » ، ثم قال : « **لقد بقى من أجله ثلاث** » ، وأمر عمر يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعًا لما روّعه ، فكان سبب إسلامه ، وذلك أنه كان يقول : « ما بقى من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلمًا ، فاختبرته بهذا فوجدته كما وُصف » (٥٣٩).

وقال النبي ﷺ لأبى سفيان بن حرب ، وقد سيق إليه ، بعد أن جلب إليه الأحزاب ، وقتل عمه ، وأصحابه ، ومثَّل بهم ، فعفا عنه ، ولاطفه في القول ، وقال له : « **ألم يَئِنْ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟** » فقال أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك » (٥٤٠).

---

(٥٣١) رواه البخاري (٢٦١٧) .

(٥٣٢) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٤٧١) .

(٥٣٣) أي : يريدون قتل النبي ﷺ وأصحابه .

(٥٣٤) رواه مسلم في « الجهاد » (١٨٠٨) باب قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية [الفتح : ٢٤] .

(٥٣٥) جبذه بمعنى جذبه .

(٥٣٦) رواه البخاري (٣١٤٩) ومسلم في « الزكاة » (١٠٥٧) باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة .

(٥٣٧) رواه البخاري (٤٣٢٨) ومسلم في « الفضائل » (٢٤٩٧) باب من فضائل أبى موسى وأبى عامر الأشعريين ﷺ .

(٥٣٨) كان من أحبار اليهود ، وأكثرهم مالًا وعلمًا ، ثم أسلم ، وشهد المشاهد ، وتوفي مرجعه ﷺ من تبوك .

(٥٣٩) جزء من حديث طويل رواه ابن حبان والطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام ﷺ ، وصححه السيوطي .

(٥٤٠) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس ﷺ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خُيِّرَ ر سول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم ر سول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل (٥٤١).

وعنها رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل (٥٤٢).



(٥٤١) رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٥٤٢) رواه مسلم في « الفضائل » (٢٣٢٨) باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته .

جوده وكرمه ﷺ

عن عبد الله بن عباس ﵄ قال : كان ر سول الله ﷺ أجودَ الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ، وإن جبريل ﵇ كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة (٥٤٣).

قال ابن كثير – ﵀ – : وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة في تشبيهه الكرم بالريح المرسلة في عمومها وتواترها وعدم انقطاعها (٥٤٤).

وعن جابر بن عبد الله ﵄ قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا (٥٤٥).

وعن أنس بن مالك ﵁ قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه قال : فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة (٥٤٦) أي الفقر .

قال ابن كثير – ﵀ –: « وكيف لا يكون كذلك ، وهو رسول الله ﷺ ، والمجبول على أكمل الصفات ، الواثق بما في يدي الله عز وجل ، الذي أنزل الله عليه في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] ، وهو ﵇ القائل لمؤذنه بلال ، وهو الصادق المصدوق في الوعد والمقال : **« أنفق بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالًا »** (٥٤٧) ، وهو القائل ﵇ : **« ما من يوم تصبح العباد فيه إلا وملكان يقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا »** (٥٤٨) ، وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : **« يقول الله عز وجل : ابن آدم أنفق أنفق عليك »** (٥٤٩) ، فكيف لا يكون أكرم الناس ، وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله ، الواثق برزق الله ونصره ، المستعين بربه في جميع أمره » (٥٥٠).



(٥٤٣) رواه البخاري (٦) ومسلم في « الفضائل » (٢٣٠٨) باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة .

(٥٤٤) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٣٠) .

(٥٤٥) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١) .

(٥٤٦) رواه مسلم في « الفضائل » (٢٣١٢) باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه .

(٥٤٧) **حسن** : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٢٤ ، ١٠٢٥) وفي « المعجم الأوسط » (٢٥٧٢) عن أبي هريرة ﵁ . ورواه الطبراني في « الكبير » (١٠٢٠) عن بلال ﵁ .

(٥٤٨) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم في « الزكاة » (١٠١٠) . عن أبي هريرة ﵁ .

(٥٤٩) رواه مسلم في « الزكاة » (٩٩٣) باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف . عن أبي هريرة ﵁ .

(٥٥٠) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٣٢) باختصار يسير .

صبر الرسول ﷺ

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك (٥٥١) ، عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة ، فقال : ما أشد حمَّاك يا رسول الله ، قال : **« إنا كذلك يُشدد علينا البلاء ، ويضاعف لنا الأجر »** ، ثم قال : يا رسول الله : من أشد الناس بلاء ؟ قال : **« الأنبياء »** ، قال : ثم من ؟ قال : **« العلماء »** ، قال : ثم من ؟ ، قال : **« الصالحون ، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلّا العباءة يلبسها ، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالصبر »** (٥٥٢).

وعن أبى حذيفة بن عبيدة رضي الله عنه ، عن عمته فاطمة رضي الله عنها قالت : أتينا رسول الله ﷺ في نساء نعوده ، وقد حُمّ (٥٥٣) ، فأمر بسقاء فعُلّق على شجرة ، ثم اضطجع تحته ، فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى ، فقلت : يا رسول الله ، لو دعوت الله أن يكشف عنك ، فقال : **« إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »** (٥٥٤).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : كنّا عند النبي ﷺ ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيًا لها في الموت ، فقال للرسول ـ أي الذي يخبره ـ : **« ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب »** ، فعاد الرسول ، فقال : إنها قد أقسمت لتأتينها ، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال وانطلقت معهم ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقعقع (٥٥٥) كأنها في شن (٥٥٦) ، ففاضت عيناه ـ أي دمعت عينا رسول الله ﷺ ـ فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : **« هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »** (٥٥٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت إبراهيم ـ ابن النبي ﷺ ـ وهو يكيد بنفسه يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ :

« تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنّا بك لمحزونون » (٥٥٨).



(٥٥١) موعوك : أي محموم ، أصابته حمى .
(٥٥٢) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٩٤) وابن ماجه (٤٠٢٤) .
(٥٥٣) قد حمّ : أي أصيب بالحمى .
(٥٥٤) **صحيح** : رواه أحمد (٦/ ٣٦٩) والحاكم (٤/ ٤٠٤) وانظر « السلسلة الصحيحة » (١١٦٥) .
(٥٥٥) تقعقع : أي تضطرب وتتحرك .
(٥٥٦) شن : قربة خَلِقة .
(٥٥٧) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٢٦٨ ، ٥/ ٢٠٤) وهو في الصحيحين بنحوه .
(٥٥٨) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم في « الفضائل » (٢٣١٥) باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

شكر الرسول ﷺ

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : خرج رسـول الله ﷺ فتوجه نحو مشـربته [٥٥٩]، فدخل فاسـتقبل القبلة ، فخر سـاجدًا فأطال السـجود حتى ظننت أن الله قبض نفسه فيها ، فدنوتُ منه فرفع رأسه قال : « من هذا ؟ » قلت : عبد الرحمن ، قال : « ما شأنك ؟ » قلت : يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قد قبضك فيها، قال : « **إن جبريل أتاني فبشرني ، فقال : إن الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلَّم عليك سلمت عليه ، فسجدتُ لله شكرًا** » [٥٦٠].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه – أي تنتفخ – فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **أفلا عبدًا شكورًا** » [٥٦١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ : « **كان يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم أعني ولا تعن عليّ ، وانصرني ولا تنصر عليّ ، وامكر لي ولا تمكر بي، واهدني ويسـر لي الهدى وانصـرني على من بغى عليّ ، رب اجعلني لك شـاكرًا ، لك ذاكرًا ، لك راهبًا ، لك مطاوعًا ، لك مخبتًا ، لك أواهًا منيبًا، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي ، واهد قلبي ، وسدد لساني ، واسلل سخيمة صدري** » [٥٦٢]

■ ورع الرسول ﷺ ■

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل ، فأكلها ، فلم ينم تلك الليلة ، فقال بعض نسائه : يا رسول الله ، أرقت الليلة ، قال : « **إني وجدتُ تحت جنبي تمرة فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة، فخشيت أن تكون منه** » [٥٦٣].

قال ابن كثير – رحمه الله –: والذي نعتقد أن هذه التمرة لم تكن من تمر الصدقة لعصمته عليه السلام ، ولكن من كمال ورعه عليه السلام أرق تلك الليلة [٥٦٤].



---

(٥٥٩) أي : حجرته .

(٥٦٠) **حســن** : رواه أحمد (١/ ١٩١) وعبد بن حميد في « المنتخب من المســند » (١٥٧) والحاكم (١/ ٥٥٠) والبيهقي في « السـنن الكبري » (٢/ ٣٧١) .

(٥٦١) رواه البخاري في « التهجد » (١١٣٠) ومسلم في « صفة القيامة » (٢٨١٩) ، وأحمد (١/ ٢٥٥) .

(٥٦٢) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٢٢٧) والترمذي (٣٥٥١) وابن حبان (٢/ ١٥٠) وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٥٦٣) **حسن** : رواه أحمد (٢/ ١٨٣ ، ١٩٢٥) وابن سعد في « الطبقات » (١/ ٢/ ١٠٧) .

(٥٦٤) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٤٨) .

شجاعة الرسول ﷺ

عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسـول الله ﷺ أحسـن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشـجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قِبَلِ الصوت فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة عُرْيٍ في عنقه السيف ، وهو يقول : **« لم تراعوا ، لم تراعوا »** (٥٦٥) ، قال : وجدناه بحرًا (٥٦٦) ، أو إنه لبحر » (٥٦٧).

وعن أبى إسـحاق قال : جاء رجلٌ إلى البراء فقال : أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟ فقال : أشـهد على نبي الله ﷺ ما ولَّى ، ولكنه انطلق أخِفَّاءُ (٥٦٨) من الناس وحُسَّرٌ (٥٦٩) إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم بر شقٍ من نبل كأنها رِجْلٌ من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول :

أنـا الـنـبـي لا كـذب ... أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب

اللهّم نزِّل نصرك » .

قال البراء : كنَّا والله إذا احمَّر البأس (٥٧٠) نتقي به ، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به ، يعني النبي ﷺ (٥٧١).

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي ، فلمَّا التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفُّها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **« أي عباس ناد أصحاب السمرة »** (٥٧٢).

فقال عباس ــ وكان رجلًا صَيِّتًا ــ : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَةُ البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيك يا لبيك قال : فاقتتلوا والكفار ... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ: **« هذا حين حمى الوطيس »** (٥٧٣) ، قال : ثم أخذ رسـول الله ﷺ حصـيات فرمى بها وجوه الكفار ، ثم قال : **« انهزموا ورب محمد »** قال : فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهم كليلًا (٥٧٤) وأمرهم مدبرا (٥٧٥).



---

(٥٦٥) لم تراعوا : أي لم يحدث شيء يفزعكم إن شاء الله .

(٥٦٦) وجدناه بحرًا : أي وجدنا الفرس واسع الخطا سريع العدو .

(٥٦٧) رواه البخاري (٢٩٠٨) ومسلم في « الفضائل » (٢٣٠٧) باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدُّمه للحرب .

(٥٦٨) أخفاء : جمع خفيف ، وهم المسارعون المستعجلون .

(٥٦٩) الحاسر : من لا درع له .

(٥٧٠) احمرار البأس كناية عن شدة الحرب ، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة ، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر .

(٥٧١) رواه مسلم في « الجهاد والسير » (١٧٧٦) باب في غزوة حنين .

(٥٧٢) السمرة : هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان . ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .

(٥٧٣) قوله : « هذا حين حمى الوطيس » : الوطيس : هو شبه التنور يسجر فيه ، ويضرب مثلًا لشدة الحرب التي يشبه حرّها حره .

(٥٧٤) أي : ما زلت أرى قوتهم ضعيفة .

(٥٧٥) رواه مسلم في « الجهاد والسير » (١٧٧٥) باب في غزوة حنين .

بكاء الرسول ﷺ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اقرأ عليّ** » ـ القرآن ـ فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « **إني أحب أن أسمعه من غيري** » ، قال: فقرأتُ سورة النساء حتى إذا بلغت : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء : ٤١] قال : « **حسبك** » (٥٧٦) ، فالتفتُّ ، فإذا عيناه تذرفان (٥٧٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد رأيته ـــ يعني إبراهيم ابن النبي ﷺ ـــ وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال : « **تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنَّا بك لمحزونون** » (٥٧٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ ابنة له تقضي (٥٧٩) ، فاحتضنها ، فوضعها بين يديه ، فماتت وهي بين يديه ، وصاحت أم أيمن ، فقال ﷺ : « **أتبكين عند رسول الله ﷺ ؟** » ، فقالت : ألست أراك تبكي ؟ قال : « **إني لست أبكي ، إنما هي رحمة ، إن المؤمن بكل خير على كل حال ، إن نفسه تُنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل** » (٥٨٠).

والبكاء الذي أنكره الرسول ﷺ على أم أيمن هو الذي يصاحبه عويل أو ما شابه ذلك ، وليس مطلق البكاء . والله أعلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : انكسفت الشمس يومًا على عهد رسول الله ﷺ ، فقام يصلي حتى لم يكد يركع ، ثم ركع ، فلم يكد يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد ، فلم يكد أن يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد ، فلم يكد أن يرفع رأسه ، فجعل ينفخ ويبكي ويقول: « **رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ؟ رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ، ونحن نستغفرك ؟** » ، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس ، فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله** » (٥٨١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ (٥٨٢) ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، فرأيت عينيه تدمعان ... » الحديث (٥٨٣).

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز(٥٨٤) كأزيز المرجل (٥٨٥) من البكاء (٥٨٦).

---

(٥٧٦) أي : أمسك عن القراءة .

(٥٧٧) رواه البخاري في « التفسير » (٤٥٨٢) وفي « فضائل القرآن » (٥٠٥٠) ومسلم في « صلاة المسافرين» (٨٠٠) .

(٥٧٨) رواه البخاري في « الجنائز » (١٣٠٣) ومسلم في « الفضائل » (٢٣١٥) باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال .

(٥٧٩) أي : تشرف على الموت .

(٥٨٠) **حسن** : رواه أحمد (١/ ٢٦٨، ٢٧٣ ، ٢٧٩) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣/ ٣٩٤) وعبد بن حميد في « المنتخب من المسند » (٥٩٣) والبزار (٨٠٨ ـ كشف الأستار) .

(٥٨١) **صحيح** : رواه أحمد (٢/ ١٥٩ ، ١٨٨) وأبو داود (١١٩٤) والنسائي (٣/ ١٣٧) والترمذي في «الشمائل » (٣٠٩) . وقال الشيخ الألباني في « صحيح سنن أبي داود » : لكن بذكر الركوع مرتين كما في الصحيحين .

(٥٨٢) هذه الابنة هي : أم كلثوم زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٥٨٣) رواه البخاري في « الجنائز » (١٣٤٢) .

(٥٨٤) أزيز : خنين من الخوف وهو صوت البكاء ، وقيل : هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء .

(٥٨٥) المرجل : هو الإناء الذي يغلي فيه الماء .

(٥٨٦) **صحيح** : رواه أحمد (٤/ ٢٥ ، ٢٦) وأبو داود (٩٠٤) والنسائي (٣/ ١٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] ، فرفع يديه وقال : **« اللهم أمتي أمتي وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسلْهُ ما يبكيك ،** فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ، قال : فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » (٥٨٧) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : وكان بكاؤه تارة رحمة للميت ، وتارة خوفًا على أمته وشفقة عليها ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن ، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية ، ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له ، وبكى لمَّا شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، وبكى لمّا مات عثمان بن مظعون (٥٨٨) ، وبكى لما كسفت الشمس ، و صلى صلاة الكسوف ، وجعل يبكي في صلاته وينفخ ويقول: **« رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك »** ، وبكى لمَّا جلس على قبر إحدى بناته ، وكان يبكي أحيانًا في صلاة الليل » (٥٨٩) .

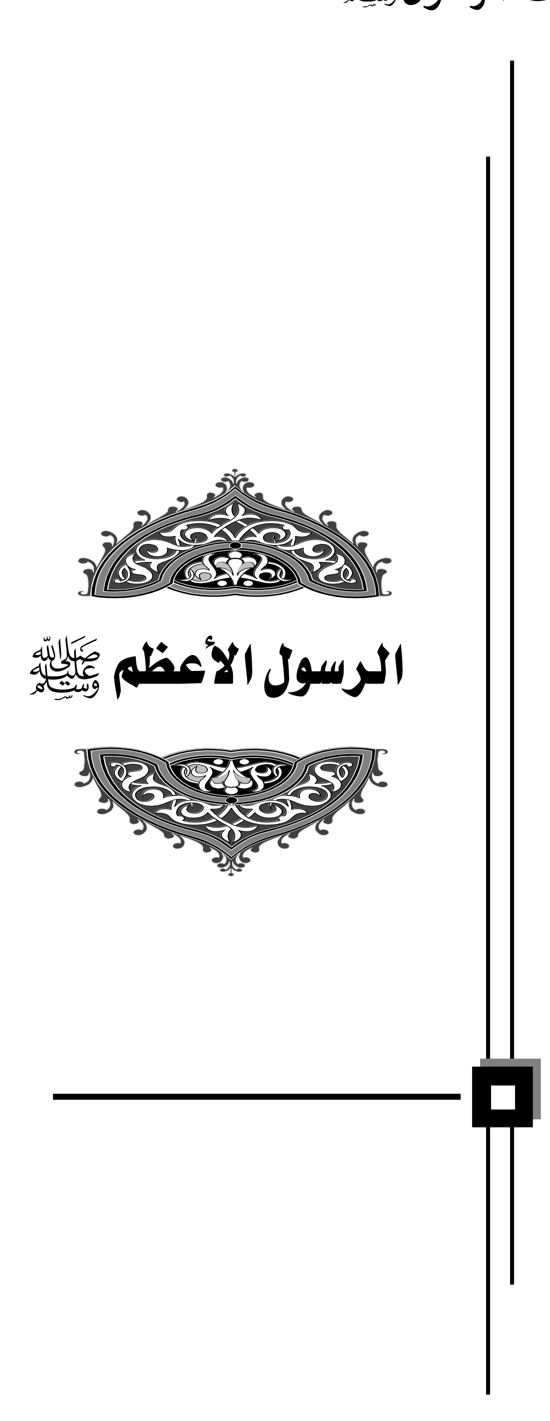


(٥٨٧) رواه مسلم في « الإيمان » (٢٠٢) باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم .

(٥٨٨) عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكي » رواه أبو داود (٣١٦٣) وابن ماجه (١٤٥٦) وفي سنده عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف كما في « التقريب » (١/ ٣٨٤) .

(٥٨٩) « زاد المعاد » (١/ ١٣٢) بتحقيقي . ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

الفصل الرابع
معجزات الرسول ﷺ



المعجزة : هي الأمر الخارق للعادة ، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها [٥٩٠].

وقد أيّد الله عز وجل رسوله ﷺ بالمعجزات الدالة على صدقه ، وهي كثيرة العدد ، فقد ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنها تزيد على ألف ومائتي معجزة .

ومعجزاته ﷺ منها المعجزات الحسية ، مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه ، وسلام الجمادات عليه ، وغير ذلك .

ومنها المعجزات المعنوية ، وهي معجزة القرآن الكريم .

وسوف أذكر بعض هذه المعجزات ، حتى نتعرف على جانب آخر من جوانب عظمته ﷺ .

أولاً : المعجزات المعنوية

القرآن الكريم

القرآن الكريم هو معجزة نبينا ﷺ الخالدة إلى يوم القيامة ، فإن معجزة كل نبي قد انقر ضت بانقرا ضه ، كما في قول النبي ﷺ : **« ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما الذي كان أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »** [٥٩١].

قال ابن كثير – رحمه الله –: «معنى هذا أن الأنبياء عليهم السلام كل منهم قد أوتي من الحجج والدلائل على صدقة وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم ، أو جحدوا فاستحقوا العقوبة .

وقوله ﷺ : **« وإنما كان الذي أوتيت »** ، هو القرآن الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده ، فإن البراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ، ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يـ سمعه الـ سامع من فيِّ ر سول الله ﷺ ، فحجة الله قائمة به في حياته عليه السلام وبعد وفاته ، ولهذا قال : **«فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »** ، أي لاستمرار ما آتاني الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تَبعًا» [٥٩٢].

والقرآن الكريم معجز من وجوه كثيرة ، ومن العسير على أي إنسان أن يحصر هذه الوجوه ولذا وجدنا أهل العلم يختلفون في عدها ، فبينما يحصرها القاضي عياض رحمه الله [٥٩٣] في أربعة وجوه ، نجد الإمام القرطبي رحمه الله يوصلها إلى عشرة أوجه كما في مقدمة تفسيره .

وكلما ازداد العلماء تدبرًا في آيات القرآن الكريم ، فإنهم يستخرجون وجوهًا لإعجازه لم تكن معروفة من قبل ، مثل الإعجاز العلمي ، وغير ذلك من وجوه الإعجاز .

بعض وجوه إعجاز القرآن

أولًا : بلاغته وعجز البشر عن معارضته .

قال ابن كثير – رحمه الله –: « القرآن العظيم ، هو أعظم المعجزات ، وأبهر الآيات ، وأبين الحجج الواضحات ، لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافر دواعي أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا ، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله ، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبدًا ، قال

---

(٥٩٠) انظر مقدمة تفسير القرطبي (١/ ٥٦) .

(٥٩١) رواه البخاري في « فضائل القرآن » (٤٩٨١) باب كيف تنزل الوحي . ومسلم في « الإيمان » (١٥٢) باب وجوب الإيمان بر سالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٩٢) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٥٨) باختصار يسير .

(٥٩٣) في كتابه « الشفا» .

الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، وهذه الآية مكية ، وقال في سورة الطور وهي مكية : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٣ ، ٣٤] أي إن كنتم صادقين في أنه قاله – أي الرسول ﷺ – من عنده فهو بشر مثلكم فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم مثله .

وقال تعالى في سورة البقرة ـ وهي مدنية ـ معيدًا للتحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣، ٢٤] [٥٩٤]. وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣، ١٤] . وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ [٥٩٥] وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ٣٧ -٣٩] .

فبيَّن تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن بل عن عشر سور مثله ، بل عن سورة منه ، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا كما قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة:٢٤] أي فإن لم تفعلوا في الماضي ، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل ، وهذا تحدٍ ثان ، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال ولا في المآل ، ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ، ولا الإتيان بمثله ، ولو كان من متقوِّل من عند نفسه لخاف أن يُعارَض فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له ، ومعلوم لكل ذي لب أن محمدًا ﷺ من أعقل خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر ، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته .

وهكذا وقع ، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتي بنظيره ، ولا نظير سورة منه ، وهذا لا سبيل إليه أبدًا ، فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فأنىَّ يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق ؟! وقول كفار قريش الذي حكاه تعالى عنهم في قوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] كذب منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم يعلمون كذب أنفسهم »[٥٩٦].

ولهذا لمّا ادعى مسيلمة الكذاب النبوة وأراد معارضة القرآن الكريم ، فضح نفسه لأنه جاء بكلام جعله أضحوكة للناس ، حتى من لم يسلم منهم ، وأصبح لا يذكر اسمه إلا مقترنًا بالكذاب .

قال ابن كثير – ؒ – : « روينا عن عمرو بن العاص ، أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ ففكر ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل عليّ مثلها ، فقال : وما هو ؟ ، فقال : يا وبر يا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حقر فقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم إني لأعلم أنك تكذب »[٥٩٧].

---

(٥٩٤) علَّق الرافعي في « إعجاز القرآن » (ص١٩٢ ـــ هامش) على هذه الآية فقال : « تأمل نظم الآية تجد عجبًا ، فقد بالغ في اهتياجهم واستفزازهم ليثبت أن القدرة فيهم على المعارضة كقدرة الميت على أعمال الحياة ، لن تكون ولن تقع ، فقال لهم : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ ، أي هذا منكم فوق القدرة وفوق الحيلة وفوق الاستعانة وفوق الزمن ، ثم جعلهم وقودًا ، ثم قرنهم إلى الحجارة ، ثم سماهم كافرين ، فلو أن فيهم قوة بعد ذلك لانفجرت ، ولكن الرماد غير النار » .

(٥٩٥) **قال ابن كثير** : « قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ، يعم كل سورة في القرآن ، طويلة كانت أو قصيرة ، لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم ، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها ، وهذا لا أعلم فيه نزاعًا بين الناس سلفًا وخلفًا » . أ هـ . التفسير (١/ ٦٢) .

(٥٩٦) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٥٤، ٤٥٥) باختصار يسير .

(٥٩٧) تفسير ابن كثير (١/ ٦٢) .

تنبيه

زعم بعض المتكلمين أن عجز البشـر عن معارضـة القرآن ، راجعٌ إلى أن الله تعالى قد صـرف هممهم عن معارضـته [598] وقالوا : إن المنع والصـرفة هو المعجزة دون ذوات القرآن !!! وهذا القول من أفسد الأقوال ، لأن القول بالصرفة يخرج القرآن عن أن يكون معجزًا في ذاته ، والقائلون بالصرفة قد بنوا قولهم هذا على اعتقادهم بخلق القرآن ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق !

قال ابن كثير – ﷺ –: « أما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته ، مع إمكان ذلك ، أوهو سلب قدرتهم على ذلك ، فقولٌ باطل ، وهو مفرعٌ على اعتقادهم أن القرآن مخلوق ، خلقه الله في بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق ، وقولهم هذا كفر وباطل ، وليس مطابقًا لما في نفس الأمر ، بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شـاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علوًا كبيرًا ، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن الإتيان بمثله ، ولو تعاضدوا وتناصروا وتظاهروا على ذلك » [599].

الوجه الثاني : إخبار القرآن عن الغيبيات .

وردت آيات في القرآن الكريم تخبر عن أمور غيبية خارجة عن نطاق البشر ،

وهذه الأخبار منها ما يتعلق بما مضى مثل ما يتعلق بأحوال القرون السالفة ، والأمم البائدة ، كقصة آدم ﷺ ، وابتداء خلقه ، وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة ، وكقصص الأنبياء مع أقوامهم ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين ، ويأجوج ومأجوج ، وغير ذلك من القصص ، والتي يوجد تصديقها في كتب أهل الكتاب .

قال ابن كثير – ﷺ –: « في القرآن العظيم الإخبار عمَّا مضى على الوجه الحق وبرهانه ما في كتب أهل الكتاب من ذلك شاهدًا ، مع كونه نزل على رجل أميٍّ لا يعرف الكتابة ، ولم يعان يومًا من الدهر شيئًا من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يفجأ الناس إلا بوحي إليه عمّا كان من الأخبار النافعة التي ينبغي أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وما كان منهم من أمورهم معهم ، وكيف نجّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثلها أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، ففي مكان تقص القصة موجزة في غاية البيان والفصاحة ، وتارة تبسط ، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق حتى كأن التالي أو السامع مشاهد لما كان ، حاضر له ، معاين للخبر بنفسه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] ، وقال تعالى في سورة يوسف : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٢ ، ١٠٣] إلى أن قال في آخرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ١٣٣] [600].

---

(٥٩٨) وقد حكى القرطبي هذا القول عن النظام ، وهو من رؤوس المعتزلة .

(٥٩٩) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٥٨) .

(٦٠٠) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

وأما القسم الثاني من هذه الأخبار ، فهو يتعلق بما سيقع في المستقبل .

قال ابن كثير – رحمه الله -: « في هذا القرآن أخبار عمّا وقع في المستقبل طبق ما وقع سواء بسواء ، كقوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل : ٢٠] وهذه السـورة من أوائل ما نزل بمكة وكذلك قوله تعالى في سورة اقتربت ، وهي مكية بلا خلاف : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ ، ٤٦] وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك »[٦٠١].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] .

وسبب نزول هذه الآية أن النبيﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة واعتمر هو وأصحابه ، فأخبر النبيﷺ أصحابه بذلك وهو بالمدينة ، فخرجوا قاصدين العمرة، وعندما نزلوا بالحديبية عقد النبيﷺ مع المشركين صلحًا وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع النبيﷺ وأصحابه ، ثم يأتون العام المقبل لأداء العمرة ، فقال عمر بن الخطاب لرسول اللهﷺ : يا رسول الله أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ فقال له رسول اللهﷺ : « **بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟**» قال : لا ، قال النبيﷺ : «**إنك آتيه ومطوف به** » .

وبالفعل تحقق ما أخبر به النبيﷺ في العام الثاني حيث خرج هو وأصحابه إلى مكة وأدوا مناسك العمرة.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] ، وحصل ما أخبر به سبحانه ، حيث مكن لصحابة النبي ﷺوأتباعهم واستخلفهم في الأرض وملَّكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ١-٥] ، وقد تضمنت هذه الآيات غيوبًا ثلاثة :

أ ـ الإخبار بنصر الروم بعد الهزيمة ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ، وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

ب ـ أن النصر سيتم في بضع سنين [٦٠٢]، وهذا التحديد أيضًا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

جـــــ وثالث هذه الغيوب تضمنه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فأخبر تعالى بأنهم سيفرحون في ذلك الوقت ، وهذا من الغيب ، لأنه خبر عن بقاء المؤمنين إلى ذلك الوقت مع قلتهم وضعفهم وطمع أعدائهم بهم ، إذ إن هذه الآيات نزلت في مكة وقبل الهجرة ، ثم إن ظفر المسلمين ببدر وقع في الوقت الذي ظفر فيه الروم على الفرس ، وعندها فرح المؤمنون بنصر الله .

ومن ذلك ذلك أيضًا إخباره سبحانه بأن أبا لهب وامرأته في النار في قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [سورة المسد]، وكانا آنذاك حيين ، وبالفعل ماتا على الكفر ، ولم يؤمنا ولو نفاقًا .

---

(٦٠١) المصدر السابق (٣/ ٤٥٧) باختصار يسير .

(٦٠٢) البضع : فوق الثلاث ودون العشر .

ومن ذلك أيضًـا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، فحفظ سـبحانه كتابه بلفظه وحرفه ، إذ أنه منذ عهد النبي ﷺ إلى اليوم على حاله لم يخرم منه حرف ، ولم تسقط منه كلمة ، ولو وقع ذلك في نسخة لعرف ذلك صبيان الكتاب قبل القرَّاء والعلماء !!

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة : ٦٧]، وقد عصم الله نبيه على كثرة من أراد ضره وقصد قتله .

فهذه بعض المغيبات التي ذكرها الله في كتابه ، وكانت غيبًا حين الإخبار بها ، ثم حصلت كما أخبر سبحانه وتعالى ، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، كما أنه برهان واضح على نبوة محمد ﷺ .

***

ثانيًا : معجزات الرسول ﷺ الحسية

معجزات النبي ﷺ الحسية كثيرة ، ومتنوعة ، وسأقتصر على ذكر بعضها .

■ معجزة شق صدره ﷺ ■

لقد هيأ الله تعالى نبيه ﷺ لحمل أعباء الرسالة ، منذ طفولته ، وكانت هذه التهيأة بمعجزة خارقة عن المعهود ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه [٦٠٣] ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست [٦٠٤] من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى ظئره [٦٠٥] ، فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المِخْيَطَ في صدره [٦٠٦] .

والمخيط : يعني الإبرة ، وهذا دليل على أن شق صدره ﷺ كان حقيقيًا .

وقد شق جبريل صدر النبي ﷺ مرة أخرى ، في ليلة الإسراء والمعراج ، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر يُحدِّث أن رسول الله ﷺ قال : **«فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ، فَفَرَجَ صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه، ثم أخ بيدي فعرج بي إلى السماء ... »** الحديث [٦٠٧].

قال ابن حجر – رحمه الله – : « استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به ، وثبت شق الصدر أيضًا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في « الدلائل » ، ولكل منهما حكمة : فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس « فأخرج علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك » ، وكان هذا في زمن الطفولية ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شق الصدر عند البعثة زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحي إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ، وجميع ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك » [٦٠٨].

■ معجزة انشقاق القمر ■

هذه المعجزة ذكرها الله عز وجل في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر : ١-٣] .

وسبب هذه المعجزة أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يريهم آية تدل على صدق ونبوته ، فأراهم النبي ﷺ انشقاق القمر في السماء .

قال ابن كثير – رحمه الله –: « اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة » [٦٠٩].

---

(٦٠٣) صرعه : أي طرحه أرضًا .

(٦٠٤) الطست : بفتح الطاء ، وإسكان السين : إناء معروف ، وهو ما يسميه العامة بالطشت .

(٦٠٥) ظئره : أي مرضعته .

(٦٠٦) رواه مسلم في « الإيمان » (٢٦١) باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٦٠٧) رواه البخاري في « الصلاة » (٣٤٩) ، ومسلم في « الإيمان » (٢٦٣) .

(٦٠٨) « فتح الباري » (٧/ ٢٤٤، ٢٤٥) باختصار يسير ط / الريان .

(٦٠٩) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٦٣) .

ومن هذه الأحاديث ما ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ ، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر (٦١٠)، وفي رواية للبخاري : فأراهم القمر شقتين حتى رأو حراء ـ أي جبل حراء ـ بينهما .

وعن ابن مسـعود ﷺ قال : بينما نحن مع رسـول الله ﷺ بمني إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسـول الله ﷺ : « **اشهدوا** » (٦١١).

وعن ابن مسعود ﷺ قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقال كفار أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السُفَّار (٦١٢) فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صـــدق ، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو ســـحر ســـحركم به ، قال : وقدموا من كل وجه فقالوا : رأينا (٦١٣).

قال الخطابي –ﷺ –: « انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجًا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر .

وقد أنكر ذلك بعضـــهم فقال : لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس لأنه أمر صـــدر عن حس ومشـــاهدة ، فالناس فيه شـــركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب ونقل كل ما لم يعهد ، فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التسيير والتنجيم ، إذ لا يجوز إطبقاهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره .

والجواب عن ذلك أن هذه القصـة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها ، لأنه شـيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلًا ، لأن القمر لا سـلطان له بالنهار ، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس نيامًا ومستكنين بالأبنية ، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولًا بما يلهيه من سمر وغيره ، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه ، وقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وإنما رآه من تصدي لرؤيته ممن اقترح وقوعه » (٦١٤).

وقال **القاضي عياض**– ﷺ –: « انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ ، وقد رواه عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها .

قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه .

ولا إنكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق لله تعالى ، يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره .

وأما قول بعض الملاحدة : لو وقع هذا لنقل متواترًا واشـــترك أهل الأرض كلهم في معرفته ، ولم يختص بها أهل مكة ، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ، ومعظم الناس نيام غافلون ، والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم ، فقلّ من يتفكر في السماء ، وينظر إليها إلا الشاذ النادر ، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب ، والأنوار الطوالع ، والشهب العظام ، وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ، ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه ، وكان هذا الانشـــقاق آية حصـــلت في الليل لقوم ســـألوها واقترحوا رؤيتها ، فلم ينتبه غيرهم لها » (٦١٥).

---

(٦١٠) رواه البخاري (٣٦٣٧) ومسلم (٢٨٠٢) .
(٦١١) رواه البخاري (٣٦٣٦) ومسلم (٢٨٠٠) .
(٦١٢) السفار : أي المسافرون .
(٦١٣) **صـــحيح** : رواه الطيالســـي في مســـنده (٢٩٦) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢١١ ، ٢١٢) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) .
وروى البخاري بعضه معلقًا كما في « فتح الباري » (٧/ ٢٢١) ط / الريان .
(٦١٤) نقلًا عن « فتح الباري » (٧/ ٢٢٤ ، ٢٢٥) ط/ الريان .
(٦١٥) نقلًا عن « شرح النووي على صحيح مسلم » (٨/ ١٩٨ ، ١٩٩) ط/ دار الغد العربي .

وقال ابن كثير – رحمه الله -: « وما يذكره بعض القصـــاص من أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه ، ونحو هذا الكلام فليس له أصـــل يعتمد عليه ، والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين و سارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء ، والأخرى من الناحية الأخرى ، و صار الجبل بينهما ، وكلتا الفرقتين في السماء وأهل مكة ينظرون إلى ذلك ، وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم ، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

فإن قيل: فلِمَ لم يُعْرَفْ هذا في جميع أقطار الأرض؟ فالجواب: ومن ينفي ذلك؟ ، ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله ، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث ، تداعت آراؤهم الفاســدة على كتمانه وتناسـيه ، على أنه قد ذكر غير واحد من المســافرين أنهم شــاهدوا هيكلًا بالهند مكتوبًا عليه أنه بني في الليلة التي انشــق القمر فيها . ثم لمَّا كان انشــقاق القمر ليلًا قد يخفي أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشــاهدته في تلك الســاعة ، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم ، ولنوم كثير منهم ، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس ، وغير ذلك من الأمور . والله أعلم » (٦١٦).

وقال الأ ستاذ محمد أحمد جاد المولى – رحمه الله -: « الآية صريحة في وقوع الا نشقاق للتعبير بلفظ الما ضي ، ولقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر:٢] ، أي دائم باق غير ذاهب ، وفي هذا إشارة إلى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها إثر بعض ، ولولا هذا لم يتأت ما قالوه ، فإن الانشقاق لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها .

ثم قال : القول بأن الانشــقاق لا يكون إلا في يوم القيامة خاصــة باطل بداهة ، لأن الكفار لا يقولون في هذا اليوم: إنه ســحر مســتمر لظهور أمر القيامة في هذا اليوم على كل أحد .

ثم قال– رحمه الله : يقول المخالفون : لو وقع الانشــقاق لم يخف على أهل الأرض كلهم، ولنقله مؤرخو العالم ، وهو قول باطل تاريخيًا ، وإليك البرهان :

١ ـ إن حادث طوفان نوح عليه السلام حادث عظيم فني فيه كل ذي حياة من الإنسان والبهائم والحشرات والطيور ما عدا أهل السفينة كما هو مصرح به في الكتب السماوية ، ومع هذا فإن مؤرخي المشركين من الهند ينكرون حصوله إنكارًا قاطعًا .

وقال ابن خلدون في المجلد الثاني من تاريخه : « اعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان ، وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط » .

وقال المقريزي في كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » : الفرس و سائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند والصين وأ صناف الأمم الشــرقية ينكرون الطوفان ، وأقرَّ به بعض الفرس لكنهم قالوا : لم يكن الطوفان إلا بالشــام والمغرب ، ولم يعم العمران كله فلم يبلغ ممالك الشرق .

٢ ـــ إن حادثة وقف الشمس ليوشع عليه السلام (٦١٧) حادثة مستفيضة ، ومع ذلك فلا ذكر لها في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ولا الفرس ، وهاتان الحادثتان مسلم بهما عند أهل الكتاب .

٣ ـــ لم يكن حادث انشقاق القمر متوقع الحصول لأهل العلم لينظروه في وقته ويروه كما يرى المسلمون هلال رمضان ، لذلك لم يره إلا الذين كانوا طلبوه للمعجزة ، ومن وقع نظرهم في هذا الوقت على السواء كما جاء في المقالة الحادية عشرة من تاريخ مز شتة أن أهل ملبار بالهند رأوه أيضًا وأسلم وإلى تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأثر .

---

(٦١٦) « البداية والنهاية » (٣/ ٤٦٦) .

(٦١٧) هو : يوشــع بن نون عليه السلام ، أحد أنبياء بني إســرائيل ، وهو الفتي الذي رحل مع موســى عليه السلام لملاقاة الخضــر عليه السلام . وكان يوشــع عليه السلام قد حاصــر بيت المقدس ، ووافق ذلك في آخر يوم جمعة قبيل الغروب ، وكانوا لا يقاتلون يوم الســبت ، فدعا الله أن يحبس الشــمس ويمسـكها عن الغروب حتى يفتحوا بيت المقدس ، فاستجاب الله لدعائه .

ويؤيد ذلك ما نقله الحافظ المزي عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديمًا وقد كتب عليه بني ليلة انشقاق القمر .

٤ ــــ أما كون المؤرخين لم يتضافروا على إيرادها فسببه أن المنكرين إذا علموا أن أمر كذا أو كذا معجزة وكرامة للشخص الذي يناصبونه العداء تصدوا لإخفائها وبذل الجهد في محو آثارها .

ثم قال ﷺ : أما وقد بان من طريق النص القرآني المبين ، والسنة الصحيحة المتواترة أن القمر انشق في حياة محمد ﷺ ، فجدير بأهل الإنصاف أن يعدلوا عن القول بأن انشقاق القمر مزعوم ، وعندي أن تكذيب معجزة انشقاق القمر بعد إقامة الأدلة المتقدمة الذكر محض مصارحة لله بالعدوان ، وخروج على كتابه وسنة رسوله ﷺ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] ، ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] »[٦١٨] .

■ معجزة بكاء جذع النخلة بين يدي النبي ﷺ ■

عن جابر ﷺ قال : « كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنعوا له المنبر فكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار [٦١٩]حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت » [٦٢٠] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : « كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يسند ظهره إليها ، فلما كثر الناس قال : **« ابنوا لي منبرًا »** فبنوا له منبرًا له عتبتان ، فلما قام على المنبر ليخطب حنَّت [٦٢١] الخشبة إلى رسول الله ﷺ حنين الولد ، فما زالت تحن حتى نزل إليها رسول الله فاحتضنها فسكنت »[٦٢٢] .

وعن أنس ﷺ ، « أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس ، فجاءه رومي فقال : ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم ؟ فصنع له منبرًا له درجتان ، ويقعد على الثالثة ، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ من المنبر ، فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ، ثم قال : **« أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ ، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن »** [٦٢٣] .

قال ابن حجر – ﷺ –: « في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق لها إدراكًا كالحيوان ، بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لمن يحمل : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ [الإسراء : ٤٤] على ظاهره » [٦٢٤] .

وكان الحسن البصري– ﷺ – إذا حدَّث بهذا الحديث يبكي ثم يقول : يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

وقال عمرو بن سواد : قال الشافعي ﷺ : « ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا ﷺ ، قلت : أعطى عيسى ﷺ إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمدًا ﷺ حنين الجذع الذي كان يخطب إلى جانبه حتى هيئ له المنبر ، فلما هيئ له المنبر حن الجذع حتى سُمِعَ صوته ، فهذا أكبر من ذلك »[٦٢٥] .

---

(٦١٨) « انشقاق القمر معجزة لسيد البشر » (ص١١-١٩) باختصار .

(٦١٩) العشار : جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر .

(٦٢٠) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٨٥) باب علامات النبوة في الإسلام .

(٦٢١) **حنت** : أي سمع لها أنين كأنين الطفل .

(٦٢٢) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٢٢٦) والترمذي (٢٦٣١) وابن حزيمة (١٧٧٦) .

(٦٢٣) **حسن** : رواه الدارمي (١/ ١٩) وابن خزيمة (١٧٧٧) .

(٦٢٤) « فتح الباري » (٦/ ٣٩٨) .

(٦٢٥) « آداب الشافعي ومناقبه » لابن أبي حاتم (ص٨٣) و « الاعتقاد » للبيهقي (ص٢٧١) .

■ إحياء الله بعض المشركين لنبيه ﷺ حتى يسمعهم توبيخه ■

عن أبي طلحة ﷺ ، أن النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش ، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى [٦٢٦] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « **يا فلان ابن فلان ، ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ؟** » ، ثم قال : فقال عمر : يا رسول الله : ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : « **والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** » قال قتادة [٦٢٧] : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا » [٦٢٨].

قال القرطبي– ﷺ –: « قال ابن عطية قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن ردَّ الله إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله ، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقى من الكفرة ، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين » [٦٢٩].

وقال الألوسي– ﷺ –: « الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ وبإسماع الله تعالى إياهم خرقًا للعادة ، ومعجزة للنبي ﷺ » [٦٣٠].

■ معجزة انقياد الشجر للرسول ﷺ ■

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح [٦٣١] فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « **انقادي عليَّ بإذن الله** » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده [٦٣٢] حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : «**انقادي عليَّ بإذن الله** » ، فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما يعني جمعهما ، فقال : « **التئما عليَّ بإذن الله** » فالتأمتا . قال جابر : فخرجت أُحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة [٦٣٣] فإذا برسول الله ﷺ مقبلًا ، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفةً فقال برأسه هكذا ـــ وأشار أبو إسماعيل أحد رواة الحديث برأسه يمينًا وشمالًا ـــ ثم أقبل [٦٣٤].

---

(٦٢٦) قال ابن حجر ﷺ : « قوله (على شفة الركى » أي طرف البئر .. والركى بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره ، البئر قبل أن تطوى ، والاطواء جمع طوى ، وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار ».

(٦٢٧) قال ابن حجر ﷺ : « قوله (قال قتادة) هو موصول بالإسناد المذكور .

(٦٢٨) رواه البخاري في « المغازي » (٣٩٧٦) باب قتل أبى جهل .

(٦٢٩) تفسير القرطبي (٧/ ٤٩٤٨) ط/ الريان . باختصار يسير

(٦٣٠) « روح المعاني » (٦/ ٤٥٥) .

(٦٣١) أفيح : أي واسعًا .

(٦٣٢) قال النووي : هو الذي يجعل في أنفه خشاش بكسر الخاء ، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعبًا ، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد ، وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئًا ، ولهذا قال الذي يصانع قائده .

(٦٣٣) اللفتة : النظرة إلى جانب .

(٦٣٤) رواه مسلم في « الزهد والرقائق » (٣٠١٠) باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبى اليسر .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء جبريل إلى رسـول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضـب بالدماء من ضـربة بعض أهل مكة ، قال : فقال له : مالك؟ فقال : **« فعل بي هؤلاء وفعلوا »** قال : فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : فقال : **« نعم »** . قال : فنظر إلى شـجرة من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها . قال : فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال : مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : **« حسبي »** [٦٣٥].

قوله : « أتحب أن أريك آية . قال السـندي : تدل على ما لَكَ عند الله من الكرامة والشـرف الذي تنسـى في جنبه ما يلحق بك من التعب في تبليغ الرسالة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال : يا رسـول الله أرني الخاتم الذي بين كتفيك فإني من أطب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : **«ألا أريك آية؟»** قال : بلى ، قال : فنظر إلى نخلة فقال : **« ادع ذلك العذق »** فدعاه فجاء ينقز [٦٣٦] بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : **« ارجع »** فرجع إلى مكانه ، فقال العامري : يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلًا أسحر من هذا [٦٣٧].

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال : **« إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟ »** فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال : **« ارجع »** فعاد ، فأسلم الأعرابي [٦٣٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنّا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : **« أين تريد ؟ »** قال : إلى أهلي ، قال : **«هل لك إلى خير؟»** قال: وما هو؟، قال : **« تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله »** قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال ﷺ : **« هذه السمرة »** [٦٣٩]، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تخد الأرض خدًا حتى كانت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن يتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك [٦٤٠].

■ معجزة شكوى البعير وسجوده للرسول ﷺ ■

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه [٦٤١]، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : **« قوموا »** ، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار : يا رسول الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِبْ [٦٤٢] وإنا نخاف عليك صولته ، فقال ﷺ : **« ليس عليَّ منه بأس »** فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدًا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ

---

(٦٣٥) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ١١٣) وابن ماجه (٤٠٢٨) والضياء في « المختارة » (٢٢٢٦) وابن أبى شيبة في « المصنف » (١١/ ٤٧٨ ، ٤٧٩) والدارمي (٢٣) وأبو يعلي (٣٦٨٥ ، ٣٦٨٦) والفاكهي في « أخبار مكة » (٢٤٣٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ١٥٤) .

(٦٣٦) ينقذ : أي يقفز ويثب .

(٦٣٧) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٢٢٣) والدارمي (٢٤) والبيهقي في « دلائل النبوة » (١٥١٦-١٦ ، ١٦) .

(٦٣٨) **صحيح** : رواه الترمذي في « المناقب » (٣٦٢٨) وابن سـعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١٨٢) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣/ ٣) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٦٢٢) والحاكم (٢/ ٦٢٠) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ١٥) وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٦٣٩) السمرة : الشجرة .

(٦٤٠) **حسن** : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٥٨٢) وأبو يعلي (٥٦٦٢) والبزار (٢٤١١ ـــ كشف الأستار) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ١٤ ، ١٥) .

(٦٤١) يسنون عليه : أي يسقون عليه .

(٦٤٢) أي أنه صار مثل الكَلْب المصاب بداء الكَلِبْ وهو السعار .

بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن أحق أن نسجد لك ، فقال ﷺ : **« لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنفجر بالقيح ، والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه »** (٦٤٣).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : أقبلنا مع رسـول الله ﷺ من سـفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شدَّ عليه ، قال : فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه ، قال : فقال رسـول الله ﷺ : **« هاتوا خطامًا »** فخطمه ودفعه إلى صـاحبه ، قال : ثم التفت إلى الناس فقال رسـول الله ﷺ : **« إنه ليس شـيء بين السـماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس »** (٦٤٤).

وعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليَّ حديثًا لا أخبر به أحدًا أبدًا ، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل (٦٤٥) ، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصـار ، فإذا جمل قد أتاه، فلما رأى رسـول الله ﷺ حنَّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه (٦٤٦) فسكن ، فقال ﷺ : « من صاحب الجمل » فجاء فتى من الأنصار قال : هو لي يا رسول الله ، فقال : «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك إنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه (٦٤٧)» (٦٤٨).

■ شهادة الذئب للرسول ﷺ بالرسالة ■

عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال : « عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا سـاقه الله إليَّ، فقال الراعي : يا عجبي ذئب على ذنبه يكلمني كلام الإنس !! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك : محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي : الصـلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي : **«أخبرهم»** فأخبرهم ، فقال رسـول الله ﷺ : **« صـدق ، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه (٦٤٩) وشراك نعله (٦٥٠) ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده »** (٦٥١).

■ أدب الوحش مع رسول الله ﷺ ■

عن عائشة ﷺ قالت : « كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب وا شتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم (٦٥٢) ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه » (٦٥٣).

---

(٦٤٣) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ١٥٨ ، ١٥٩) والضياء في « المختارة » (١٨٩٥) والبزار (٢٤٥٤ـــ كشف الأستار) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٨٧) .

(٦٤٤) **حسن** : رواه أحمد (٣/ ٣١٠) وابن أبى شيبة في « المصنف » (١١/ ٤٧٣) والدارمى (١٨) وعبد بن حميد في « المنتخب من المسند » (١١٢٢) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٧٩) .

(٦٤٥) الهدف : كل ما كان له شخص مرتفع من بناء وغيره . وحائش النخل : أي النخل الملتف المجتمع كأنه لالتفافه يحوش بعضه إلى بعض .

(٦٤٦) سراته : أي ظهره وأعلاه . وذفراه : أي مؤخر رأسه .

(٦٤٧) تدئبه : أي تتعبه .

(٦٤٨) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٢٠٤) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٢٦ ، ٢٧) .

(٦٤٩) عذبة سوطه : أي علاّقة سوطه .

(٦٥٠) شراك نعله : أي سيور نعله .

(٦٥١) **صـحيح** : رواه أحمد (٣/ ٨٣ ، ٨٤) والبزار (٢٤٣١- كشـف الأسـتار) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٧٠) وابن حبان (٦٤٩٤- إحسـان) والحاكم (٤/ ٤٦٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤١-٤٢) .

(٦٥٢) أي لم يتحرك ، كأنه من نبات الرمرام الأغبر .

(٦٥٣) **صحيح** : رواه أحمد (٦/ ١١٢، ١١٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٩) وأبو يعلي (٤٤٤١ ، ٤٤٦٠) والبزار (٢٤٥٠- كشف الأستار) والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٩١) ط / الحرمين .

■ تكثير الطعام ببركة الرسول ﷺ ■

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لمَّا حُفِرَ الخندق رأيت رسـول الله ﷺ خمصًـا [٦٥٤] ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت لها : هل عندك شـيء فإني رأيت رسول الله ﷺ خمصًا شديدًا ، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير ، ولنا بُهَيْمةٌ داجنٌ [٦٥٥] ، قال فذبحتُها وطَحَنتْ ففرغت إلى فراغي فقطَّعْتُها في بُرمتها ، ثم وَلَّيتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه ، قال : فجئته فساورته [٦٥٦] فقلت : يا رسول الله ، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا فنعال أنت في نفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ وقال : « **يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم سُورًا فحيَّ هلا بكم** » [٦٥٧] وقال رسـول الله ﷺ : « **لا تُنْزلنَّ بُرْمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء** » فجئت وجاء رسـول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ لي ، فأخرجتْ له عجينتنا فبصـق فيها وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصـق فيها وبارك ، ثم قال : « **ادعي خابزةً فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها** » [٦٥٨] وهم ألفٌ فأُقْسِمُ بالله لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا [٦٥٩] ، وإن برمتنا لتغط [٦٦٠] كما هي ، وإن عجينتنا لتخبز كما هو [٦٦١].

قال النووي – رحمه الله –: « وقد تضمن هذا الحديث علمين من أعلام النبوة .

أحدهما : تكثير الطعام القليل .

الثاني : علمه ﷺ بأن هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفي ألفًا وزيادة ، فدعا له ألفًا قبل أن يصل إليه ، وقد عَلِمَ أنه صاع شعير وبهيمة ، والله أعلم » [٦٦٢].

وعن عائشـة رضي الله عنها قالت : لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي من شـيء يأكله ذو كبد إلا شـطر شـعير في رفٍ لي ، فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلته [٦٦٣] ففنى [٦٦٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ يستطعمه [٦٦٥] ، فأطعمه شطر وسق شعير [٦٦٦] ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « **لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم** » [٦٦٧].

---

(٦٥٤) أي : جوعان .

(٦٥٥) بهيمة : تصغير بهيمة .

(٦٥٦) أي : حدثته في السر .

(٦٥٧) قال النووي : السور هو الطعام الذي يُدعى إليه ، وقيل: الطعام مطلقًا ، وهي لفظة فارسية ، وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله ﷺ تكلم بألفاظ غير عربية ، فيدل على جوازه . وأما (حي هلا) فمعناه عليك بكذا أو ادع بكذا ، قال أبو عبيدة وغيره ، وقيل معناه : أعجل به ، وقال الهروي : معناه : هات وعجل به .

(٦٥٨) قال النووي : قوله (اقدحي من برمتكم) أي اغرفي ، والقدح المغرفة .

(٦٥٩) قال النووي : أي شبعوا وانصرفوا .

(٦٦٠) تغط : أي تغلي يسمع غطيطها .

(٦٦١) رواه البخاري في « الجهاد » (٣٠٧٠) باب من تكلم بالفارسـية والرطانة . ومسـلم في « الأطعمة » (٥٢١٧) باب جواز اسـتتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك .

(٦٦٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٦٠٢) ط / دار الغد العربي .

(٦٦٣) أي أنها وضعته في المكيال لكي تقدره .

(٦٦٤) رواه البخاري في « الرقاق » (٦٤٥١) باب فضل الفقر .

(٦٦٥) أي يطلب منه طعامًا .

(٦٦٦) الوسق : ستون صاعًا ، والصاع أربعة أمداد .

(٦٦٧) رواه مسلم في « الفضائل » (٥٨٣٦) باب معجزات النبي ﷺ .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال أبو طلحة لأم سليم : قد سمعت صوت ر سول الله ﷺ ضعيفًا ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصًا من شعير ، ثم أخذت خمارًا لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسَّتْه تحت ثوبي وردَّتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ [٦٦٨]، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : **« أرسلك أبو طلحة ؟ »** قال : فقلت : نعم ، فقال : **« أَلِطَعَام ؟ »** فقلت : نعم ، فقال رسـول الله ﷺ لمن معه : « قوموا »قال : فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سـليم قد جاء رسـول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسـوله أعلم . قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ : **« هَلُمِّي ما عندك يا أم سليم »** فأتت بذلك الخبز ، فأمَرَ به رسول الله ﷺ ففُتَّ وَعَصَرَتْ عليه أم سليم عكة لها فأدمَتْه [٦٦٩] ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : **« ائذن لعشرة »** [٦٧٠] فأذن لهم فأكلوا حتى شـبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : **« ائذن لعشـرة »** فأذن لهم كلهم حتى شـبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشـرة » حتى أكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلًا أو ثمانون [٦٧١].

وعن عبد الله بن عباس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ لمَّا نزل مر الظهران [٦٧٢] حين صالح قريشًا ، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشًا تقول : إنما يبايع أصحاب محمد ضعفًا وهزلًا ، فقال أصحاب النبي ﷺ : يا نبي الله لو نحرنا من ظهرنا [٦٧٣] فأكلنا من لحومها وشحومها وحسونا من المرق ، أصـبحنا غدًا إذا غدونا عليهم وبنا جمام [٦٧٤] ، قال : **« لا ولكن ايتوني بما فضـل من أزوادكم »** ، فبسـطوا أنطاعًا [٦٧٥] ثم صـبوا عليها ما فضـل من أزوادهم ، فدعا لهم النبي ﷺ بالبركة ، فأكلوا حتى تضلعوا شبعًا ، ثم كفؤوا ما فضل من أزوادهم في جربهم ، ثم غدوا على القوم ، فقال لهم النبي ﷺ : **« لا يرين القوم فيكم غميزة »** [٦٧٦] ، فاضطجع النبي ﷺ وأصحابه ، فرملوا [٦٧٧] ثلاثة أطواف ، ومشوا أربعًا ، والمشركون في الحجر [٦٧٨] ، وعند دار الندوة ، وكان أصحاب أصحاب النبي ﷺ إذا تغيبوا منهم بين الركنين اليماني والأسود مشوا ، ثم يطلعون عليهم ، فتقول قريش : **والله لكأنهم الغزلان** [٦٧٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : لمَّا كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، قالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نوا ضحنا [٦٨٠] فأكلنا وادَّهَنَّا ، فقال رسول الله ﷺ : **«افعلوا »** قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله إنْ فعلت قلَّ الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : **« نعم »** قال : فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال: **« خذوا في أوعيتكم »** قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : **« أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة »** [٦٨١].

---

(٦٦٨) القائل : ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ هو أنس بن مالك ﷺ .

(٦٦٩) قال النووي : العكة : بضم المهملة وتشديد الكاف : إناء من جلد مستدير يجعل منه السمن غالبًا والعسل ، وقد جاء في رواية قال أبو طلحة : قد كان في العكة سمن ، ومعنى فأدمته : أي جعلت فيه إدامًا .

(٦٧٠) قال النووي : وإنما أذن لعشرة ليكون أرفق بهم ، فإن القصعة التي فَتَّ فيها تلك الأقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم ، والله أعلم .

(٦٧١) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧٨) باب علامات النبوة في الإسلام . ومسلم في « الأطعمة » (٥٢١٨) باب جواز استتباعه إلى دار من يثق برضاه بذلك .

(٦٧٢) مر الظهران : موضع بالقرب من مكة .

(٦٧٣) الظهر : الإبل .

(٦٧٤) جمام : أي راحة وشبع وري .

(٦٧٥) الأنطاع : جمع نطع ، وهو بساط من جلد يجعل كالمائدة .

(٦٧٦) الغميزة : العيب .

(٦٧٧) الرمل : هو المشي السريع مع تقارب الخطا .

(٦٧٨) أي حجر إسماعيل عليه السلام .

(٦٧٩) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٣٠٥) وابن حبان (٣٨١٢ ، ٦٥٣١- إحسان) .

(٦٨٠) النواضح : الإبل .

(٦٨١) رواه مسلم في « الإيمان » (٢٧) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا .

وعن سمرة بن جندب ﵁ قال : كنا مع رسول الله ﷺ نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل ، يقوم عشرة ويقعد عشرة ، قلنا : فما كانت تُمد ؟ قال : من أي شيء تعجب ، ما كانت تمد إلا من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء (٦٨٢)

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر ﵁ قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ﷺ : **« هل مع أحد منكم طعام ؟ »** فإذا مع رجل صــاع من طعام أو نحوه ، فعجن ، ثم جاء رجل مشــعان (٦٨٣) طويل بغنم يســوقها ، فقال النبي ﷺ : **« أبيع أم عطية ، أو قال : أم هبة؟ »** ، فقال : لا بل بيع ، فاشترى منه شاة فصُنِعَتْ ، وأمر رسول الله ﷺ بسواد البطن (٦٨٤) أن يُشوي ، قال : وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حَزَّ له رسول الله ﷺ حُزَّةً حُزَّةً من سواد بطنها إن كان شاهدًا أعطاه وإن كان غائبًا خَبَأَ له . قال : وجعل قصعتين ، فأكلنا منهما أجمعون و شبعنا وفَضَلَ في القصعتين فحملته على البعير (٦٨٥).

قال النووي– ﵀ -: « في هذا الحديث معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ .

إحداهما : تكثير سواد البطن حتى وسع هذا العدد .

والأخرى : تكثير الصاع ، ولحم الشاة حتى أشبعهم أجمعين ، وفضلت منه فضلة حملوها لعدم حاجة أحد إليها » (٦٨٦).

وعن عامر قال : حدثني جابر ﵁ ، أن أباه توفي وعليه دين ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أبي ترك عليه دينًا ، وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين (٦٨٧) ما عليه ، فانطلقْ معي لكيلا يفحش عليَّ الغرماء ، فمشى حول بيدر (٦٨٨) من بيادر التمر فدعا ، ثم آخر (٦٨٩) ثم جلس عليه فقال : **« انزعوه »** فأوفاهم الذي لهم وبقى مثل ما أعطاهم (٦٩٠) .

قال ابن كثير– ﵀-: «هذا الحديث قد روى من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة ، وحاصلها أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه له ومشيه في حائطه وجلوســه على تمره وفىَّ الله دين أبيه ، وكان قد قتل بأحد ، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده ، ومع هذا فضــل له من التمر أكثر فوق ما كان يؤمله ويرجوه »(٦٩١).

وعن جابر ﵁ ، أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها ســمنًا ، فيأتيها بنوها فيســألون الأدم (٦٩٢) وليس عندهم شــيء ، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنًا ، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبي ﷺ قال : **«عصرتيها ؟»** قالت : نعم ، قال ﷺ : **«لو تركتيها ما زال قائمًا»** (٦٩٣).

---

(٦٨٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٦٢٥) والدارمى (٥٦) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٥٠) والحاكم (٢/ ٦١٨) و صححه ووافقه الذهبي . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٦٨٣) مشعان : أي منتفش الشعر ومتفرقه .

(٦٨٤) سواد البطن : يعني الكبد .

(٦٨٥) رواه البخاري في « البيوع » (٢٢١٦) باب الشــراء والبيع مع المشــركين وأهل الحرب . ومســلم في «الأطعمة » (٥٢٦٦) باب إكرام الضــيف وفضل إيثاره .

(٦٨٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٦٣٨) ط / دار الغد العربي .

(٦٨٧) أي في مدة سنين .

(٦٨٨) البيدر : أرض فضاء يوضع فيه التمر ، وهو كالجرن للحب .

(٦٨٩) أي : مشى حول بيدر آخر فدعا .

(٦٩٠) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٨٠) باب علامات النبوة في الإسلام .

(٦٩١) « البداية والنهاية » (٣/ ٥٠٧) بتحقيقي .

(٦٩٢) الأدم : هو ما يجعل مع الخبز فيطيبه ، وهو ما نسميه بالغموس .

(٦٩٣) رواه مسلم في « الفضائل » (٥٨٣٥) باب معجزات النبي ﷺ .

■ تكثير الماء واللبن ببركة الرسول ﷺ ■

عن سـالم بن أبى الجعد ، أن جابر ﷺ قال : « عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ﷺ بين يديه ركوة [٦٩٤] فتوضـأ ، فجهش الناس نحوه [٦٩٥] ، فقال : **« ما لكم ؟ »** قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنَّا مائة ألف لكفانا ، كنا خمسة عشرة مائة » [٦٩٦].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال : « كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر ، فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت ركائبنا [٦٩٧].

وفي رواية عن البراء: أنهم كانوا ألفًا وأربعمائة أو أكثر [٦٩٨] وقد جمع الحافظ ابن حجر –رحمه الله– بين اختلاف العدد في هذه الروايات فقال : الجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، فمن قال ألفًا وخمســمائة جبر الكســر ، ومن قال ألفًا وأربعمائة ألغاه ، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء ألفًا وأربعمائة أو أكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووي [٦٩٩] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم [٧٠٠].

وفي رواية سئل أنس كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء الثلاثمائة [٧٠١].

قال النووي– رحمه الله –: « قوله : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه) في كيفية هذا النبع قولان ، حكاهما القاضي وغيره .

أحدهما : ونقله القاضــي عن المزني وأكثر العلماء في معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصــابعه ﷺ ، وينبع من ذاتها ، قالوا : وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر ، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية : فرأيت الماء ينبع من أصابعه .

والثاني : يحتمل أن الله كثَّر الماء في ذاته ، فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة ، وآية باهرة » [٧٠٢].

وعن عمران بن حصين ﷺ ، أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير فأدلجوا ليلتهم[٧٠٣]، حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا [٧٠٤] فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر ـ وكان لا يوقَظُ رسولُ الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ ـ فاستيقظ عمر ، فقعد أبو بكر عند

---

(٦٩٤) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .
(٦٩٥) أي : أسرعوا لأخذ الماء .
(٦٩٦) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧٦) باب علامات النبوة في الإسلام .
(٦٩٧) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧٧) باب علامات النبوة في الإسلام .
(٦٩٨) رواه البخاري في « المغازي » (٤١٥١) باب غزوة الحديبية .
(٦٩٩) « فتح الباري » (٨/ ٤٧٧٥) ط/ المكتبة العصرية ، بيروت .
(٧٠٠) رواه البخاري في « الطهارة » (١٦٩) باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة . ومسلم في « الفضائل» (٥٨٣٢) باب في معجزات النبي ﷺ .
(٧٠١) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧٢) باب علامات النبوة في الإسلام ومسلم في « الفضائل » (٥٨٣٣) باب في معجزات النبي ﷺ .
(٧٠٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٢٣٩، ٢٤٠) .
(٧٠٣) أي ساروا ليلتهم .
(٧٠٤) التعريس : نزول القوم في السفر من آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للاستراحة ، ثم ينيخون وينامون نومة خفيفة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين « لسان العرب » (٤/ ٢٨٨٠) ط/ دار المعارف بالقاهرة .

رأسه فجعل يكبِّر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ ، فنزل و صلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصلِّ معنا ، فلمّا انصرف قال : « **يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا ؟** » قال : أصابتني جنابة ، فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلَّى ، وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشًا شديدًا ، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها (٧٠٥) بين مزادتين (٧٠٦) ، فقلنا لها : أين الماء ؟ فقالت : إنه لا ماء ، فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة . فقلنا : انطلقي إلى رسول الله ﷺ . قالت : وما رسول الله ؟ (٧٠٧) ، فلم نُملِّكها حتى استقبلنا بها النبي ﷺ ، فحدَّثَتهُ ، بمثل الذي حدثتنا ، غير أنها حدثته أنها مؤتمة (٧٠٨) ، فأمر بمزاديتها فمسح في العزلاوين (٧٠٩) ، فشربنا عطاشًا أربعون رجلًا حتى رَوينا ، فملأنا كلَّ قربة معنا وإداوة غير أنه لم نُسْقِ بعيرًا ، وهي تكاد تنضُّ (٧١٠) من الملء ، ثم قال : **هاتوا ما عندكم** ، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها ، قالت : لقيت أسحرَ الناس ، أو هو نبيٌّ كما زعموا ، فهدى الله ذاك الصِّرم (٧١١) بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا » (٧١٢) .

قال ابن حجر – ﷺ –: « وقد تكلم العلماء في الجمع بين حديث النوم هذا وبين قوله ﷺ : « **إن عيني تنامان ولا ينام قلبي** » .

قال النووي : له جوابان ، أحدهما أن القلب إنما يدرك الحسـيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما ، ولا يدرك ما يتعلق بالعين لأنها نائمة والقلب يقظان . والثاني أنه كان له حالان : حال كان قلبه فيه لا ينام وهو الأغلب ، وحال ينام فيه قلبه وهو نادر ، فصـادف هذا ، أي قصـة النوم عن الصلاة . قال : والصحيح المعتمد هو الأول والثاني ضعيف . وهو كما قال . ولا يقال القلب وإن كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلًا لكنه يدرك إذا كان يقظانًا مرور الوقت الطويل ، فإن من ابتداء طلوع الفجر إلى أن حميت الشـمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مسـتغرقًا ، لأنا نقول : يحتمل أن يقال : كان قلبه ﷺ إذ ذاك مستغرقًا بالوحي ، ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم ، كما كان يستغرق ﷺ حالة إلقاء الوحي في اليقظة ، وتكون الحكمة في ذلك بيان التشـريع بالفعل لأنه أوقع في النفس كما في قضـية سـهوه في الصـلاة . وقريب من هذا جواب ابن المنير : أن القلب قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ، ففي النوم بطريق الأولى ، أو على السواء» (٧١٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمرَّ ولم يفعل ، ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمرَّ ولم يفعل ، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : « **يا أبا هر** » قلت : لبيك يا رسـول الله ، قال : « **الحق** » ومضـى فتبعته ، فدخل فاسـتأذن ، فأذن لي ، فدخل فوجد لبنًا في قدح، فقال : « **من أين هذا اللبن ؟** » قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة ، قال : « **يا أبا هر** » قلت : لبيك يا رسـول الله ، قال : «**الحق إلى أهل الصـفة فادعهم لي** » قال : وأهل الصـفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئًا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدٌ ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : « **يا أبا هر** » قلت : لبيك يا رسـول الله ، قال : « **خذ فأعطهم** » فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشـرب حتى يروي ثم يرد عليَّ القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ، ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إليَّ فتبسم فقال : « **أبا هر** »

---

(٧٠٥) سادلة رجليها : أي مدلية رجليها .
(٧٠٦) المزادة قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها .
(٧٠٧) هذا استفهام من المرأة عن معنى كلمة « رسول الله » ، لأنها لم تكن تعلم بأمر النبي ﷺ .
(٧٠٨) مؤتمة : أي ذات أيتام .
(٧٠٩) العزلاوان : تثنية عزلاء ، وهو فم القربة .
(٧١٠) تنض : أي تسيل .
(٧١١) الصرم : بكسر الصاد ، أي أبياتًا مجتمعة من الناس .
(٧١٢) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧١) باب علامات النبوة في الإسلام .
(٧١٣) « فتح الباري » (١/ ٥٨٣ ، ٥٨٤) ط / المكتبة العصرية ، بيروت .

قلت : لبيك يا ر سول الله قال : « **بقيت أنا وأنت** » قلت : صدقت يا ر سول الله ، قال : « اقعد فا شرب » فقعدت فشربت ، فقال : « ا شرب » فشربت ، فما زال يقول : « **اشرب** » حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا ، قال : « **فأرني** » فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة » (٧١٤).

وعن جابر بن عبد الله ﵁ قال : قال رسـول الله ﷺ : «**يا جابر نادى بوضـوء**» فقلت : ألا وضـوء ؟ ، ألا وضـوء ، ألا وضـوء ؟ ، قال : قلت : يا ر سول الله ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لر سول الله ﷺ الماء في أ شجاب له (٧١٥) على حمارة من جريد (٧١٦) ، قال : فقال لي : « **انطلق إلى فلان ابن فلان فانظر هل في أشـجابه من شـيء** » قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء (٧١٧) شـجب منها ، ولو أني أفرغه لشربه يابسه (٧١٨) ، فأتيت ر سول الله ﷺ ، فقلت : يا ر سول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسـه ، قال : « **اذهب فأتني به** » فأتيته به ، فأخذه بيده ، فجعل يتكلم بشـيء لا أدري ما هو ويغمزه بيديه ، ثم أعطانيه ، فقال : «**يا جابر ناد بجفنة** » فقلت: يا جفنة الركب (٧١٩) ، فأتيت بها تحمل ، فوضـعتها بين يديه ، فقال رسـول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا ، فبسـطها وفرَّق بين أصـابعه ، ثم وضعها في قعر الجفنة .

وقال ﷺ : « **خذ يا جابر فصب عليَّ ، وقل : بسم الله** » ، فصببت عليه وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أ صابع ر سول الله ﷺ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ، فقال ﷺ : « **يا جابر ناد من كان له حاجة بماء** » قال : فأتى الناس فاسـتقوا حتى رووا ، قال : فقلتُ : هل بقى أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى (٧٢٠).

قال ابن حجر– ﵀ –: « وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء ، وعلى كثرة من استقى منه » (٧٢١).

■ امتلاء ضرع الشاة باللبن ببركة النبي ﷺ ■

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : كنت أرعى غنمًا لعقبة بن معيط ، فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكر ﵁ ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا غلام هل من لبن ؟** » قال : قلت: نعم ولكني مؤتمن ، قال : « **فهل من شـاة لم ينز عليها الفحل ؟** » ، فأتيته بشـاة ، فمسـح ضـرعها ، فنزل لبن فحلبه في إناء فشـرب وسـقى أبا بكر ثم قال للضـرع : «**اقلص** » فقلص ، قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسـول الله علمني من هذا القول . قال : فمسـح رأسـي وقال : «**يرحمك الله فإنك غُلَيِّم مُعَلَّم** » ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة (٧٢٢).

وعن قيس بن النعمان السكوني ﵁ قال : انطلق رسـول الله ﷺ ومعه أبو بكر ﵁ مسـتخفيًا من قريش ، فمرَّ براع فقال : « **هل من شـاة ضربها الفحل ؟** » قال : لا ولكن هاهنا شاة قد خلفها الجهد ، فقال : « ائتني بها » ، فأتاه بها ، فمسح ضرعها ودعا بالبركة ، فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال له : بالله ما رأيت مثلك ، من أنت ؟ قال ﷺ : « **إن أخبرتك تكتم عليَّ ؟** » قال : نعم ، قال ﷺ : «**محمد رسول الله**

---

(٧١٤) رواه البخاري في « الرقاق » (٦٤٥٢) باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه .

(٧١٥) الأشجاب : جمع شجب ، وهو السقاء الذي قد أخلق وبلى وصار شنًا ، يقال شاجب : أي يابس ، وهو من الشجب الذي هو الهلاك .

(٧١٦) الحمارة : بكسر الحاء وتخفيف الميم والراء ، وهي أعواد تعلق عليها أسقية الماء .

(٧١٧) قوله : قطرة : أي يسيرة ، والعزلاء : هي فم القربة .

(٧١٨) قوله : « شربه يابسة » معناه أنه قليل جدًا ، فلقلته مع شدة يبس باقي الشجب وهو السقاء ، لو أفرغه لاشتفه اليابس منه ولم ينزل منه شيء .

(٧١٩) أي : يا صاحب جفنة الركب ، فحذف المضاف للعلم بأنه المراد ، وأن الجفنة لا تنادي ، ومعناه صاحب جفنة الركب التي تشبعهم أحضرها ، أي من كان عنده جفنة بهذه الصفة فليحضرها .

(٧٢٠) رواه مسلم في « الزهد » (٧٣٦٨) باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبى اليسر .

(٧٢١) « فتح الباري » (٦/ ٦٧٨) .

(٧٢٢) **حسـن** : رواه أحمد (١/ ٣٧٩) وابن حبان (٦٥٠٤، ٧٠٦١) وأبو يعلى (٤٩٨٥ ، ٥٠٩٦) والطبراني في «المعجم الكبير » (٨٤٤٢ ، ٨٤٥٦ ، ٨٤٥٧) وفي « المعجم الصغير » (٥١٣) والبيهقي في «دلائل النبوة » (٦/ ٨٤) .

» قال : الذي تزعم قريش أنه صابئ [٧٢٣] ؟ ، قال ﷺ : « **إنهم يقولون ذلك** » قال : فإني أشهد أنك رسول الله ، وأنه لا يقدر على ما فعلت إلا رسول ، ثم قال له : أتبعك ؟ ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أما اليوم فلا، ولكن إذا سمعت أنا قد ظهرنا فأتنا** » ، فأتى النبي ﷺ بعد ما ظهر بالمدينة [٧٢٤] .

■ تسبيح الطعام في يد الرسول ﷺ ■

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: « كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفًا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء ، فقال : « **اطلبوا فضلة من ماء** » ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال : « **حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله** » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع الطعام وهو يؤكل » [٧٢٥].

قال ابن حجر – رحمه الله –: « قوله (كنا نعد الآيات) أي الأمور الخارقة للعادة . قوله (بركة وأنتم تعدونها تخويفًا) الذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفًا ، وإلا فليس جميع الخوارق بركة ، فإن التحقيق يقتضي عد بعضها بركة من الله كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل ، وبعضها تخويف من الله ككسوف الشمس والقمر، كما قال النبي ﷺ : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده** » وكأن القوم الذين خاطبهم عبد الله بن مسعود بذلك تمسكوا بظاهر قوله تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء : ٥٩] .

■ تسليم الحجر على النبي ﷺ ■

عن جابر بن سمرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني أعرفه الآن** » [٧٢٦].

قال النووي– رحمه الله –: « في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤] وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وفي هذه الآية خلاف مشهور ، والصحيح أنه يسبح حقيقة ، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه » [٧٢٧].

■ هزيمة المشركين من قبضة تراب رماهم بها النبي ﷺ ■

عن العباس بن عبد المطلب ؓ قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولىَّ المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلِ الكفار .

---

(٧٢٣) الصابئ : هو من خرج من دين إلى دين آخر ، وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام .

(٧٢٤) **صحيح** : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/ ٣٤٣-٣٤٤) رقم (٨٧٤) والحاكم (٣/ ٨) وصححه ، وكذا صححه الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٣/ ٢٦١) .

(٧٢٥) رواه البخاري في « المناقب » (٣٥٧٩) باب علامات النبوة في الإسلام .

(٧٢٦) رواه مسلم في « الفضائل » (٢٢٧٧) باب نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٧٢٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٣٥) .

قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألاَّ تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **« أي عباس ، ناد أصحاب السمرة »** (٧٢٨) . فقال عباس ـ وكان رجلًا صيتًا (٧٢٩) ـ فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها ، فقالوا : يا لبيك يا لبيك ، قال : فاقتتلوا والكفار ... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ : **« هذا حين حمى الوطيس »** قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ، ثم قال : **«انهزموا ورب محمد »** قال : فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته ، فما زلت أرى أحدهم كليلًا (٧٣٠) وأمرهم مدبرًا » (٧٣١) .

وفي رواية عن سلمة بن الأكوع ﵁ قال : فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال : **« شاهت الوجوه»**(٧٣٢) ، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين ، فهزمهم الله عز وجل ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين » (٧٣٣) .

قال النووي- ﵀ -: « هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ إحداهما فعلية والأخرى خبرية ، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ، ورماهم بالحصيات ، فولوا مدبرين ، وذكر مسلم في الرواية الأخرى أنه ﷺ قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال : **« شاهت الوجوه »** ، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا من تلك القبضة ، وهذا أيضًا فيه معجزتان خبرية وفعلية ، ويحتمل أنه أخذ قبضة من حصى وقبضة من تراب ، فرمى بذا مرةٍ وبذا مرةٍ ، ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب » (٧٣٤) .

***

■ استجابة جبل أحد لأمر النبي ﷺ ■

عن أنس بن مالك ﵁ ، « أن النبي ﷺ صعد أحدًا (٧٣٥) وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم (٧٣٦) ، فقال ﷺ : **« اثبُتْ أحد ، فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان »** (٧٣٧) .

قال ابن حجر- ﵀ -: « قوله **(اثبت)** وقع في مناقب عمر « فضربه برجله وقال : **اثبت** » بلفظ الأمر من الثبات ، وهو الاستقرار ، وأحد مناديه ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز ، وحمله على الحقيقة أولى ، وقد تقدم شيء منه في قوله : « أحد يحبنا ونحبه » ويؤيده ما وقع في مناقب عمر أنه ضرب برجله وقال : **اثبت** » (٧٣٨)وفي الحديث معجزة أخرى للنبي ﷺ وهي إخباره باستشهاد عثمان بن عفان وعمر ابن الخطاب﵄ .

وقد وقع الأمر كما أخبر النبي ﷺ ، فقد استشهد عمر بن الخطاب ﵁ على يد أبي لؤلؤة المجوسي ، واستشهد عثمان بن عفان ﵁ على يد البغاة الذين خرجوا عليه وقتلوه في بيته وهو يقرأ القرآن .

---

(٧٢٨) السمرة : هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ، والمعنى : ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .
(٧٢٩) صيتًا : أي جهوري الصوت .
(٧٣٠) كليلًا : أي ضعيفًا .
(٧٣١) رواه مسلم في « الجهاد والسير » (١٧٧٥) باب في غزوة حنين .
(٧٣٢) شاهت الوجوه : أي قبحت .
(٧٣٣) رواه مسلم في « الجهاد والسير » (١٧٧٧) باب في غزوة حنين .
(٧٣٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٢٠) ط / دار الغد العربي .
(٧٣٥) أحد : هو الجبل المعروف بالمدينة المنورة .
(٧٣٦) أي اهتز بهم .
(٧٣٧) رواه البخاري في « فضائل الصحابة » (٣٦٧٥) باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ .
(٧٣٨) « فتح الباري » (٧/ ٤٢٧١) .

■ حفظ الله عز وجل لنبيه من إيذاء المشركين ■

عن ابن عباس ﭬ قال : لمّا نزلت : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المســد : ١] جاءت امرأة أبى لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رســول إنها امرأة بذيئة ، وأخاف أن تؤذيك فلو قمت . قال ﷺ : « **إنها لن تراني** » فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، إن صاحبك هجاني ، قال : لا ، وما يقول الشعر ، قالت أنت عندي مصدق ، وانصرفت فقلت : يا رسول الله لم ترك ؟ قال ﷺ : « **لا لم يزل ملك يسترني عنها بجناحيه** » (٧٣٩).

وعن جابر بن عبد الله ﭬ : « أنه غزا مع النبي ﷺ فأدركتهم القائلة (٧٤٠) في وادي كثير العضاة (٧٤١) ، فتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، فنزل النبي ﷺ تحت شجرة ، فعلَّق بها سيفه ، ثم نام فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به ، فقال النبي ﷺ : « **إن هذا اخترط سيفي فقال : فمن يمنعك ؟ قلت : « الله » ، فشام السيف ـ أي أغمده ـ فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه** » (٧٤٢).

قال ابن حجر – ﵀ –: « وكأن الأعرابي لمَّا شاهد ذلك الثبات العظيم ، وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه ، وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه » .

وعن أبي هريرة ﭬ قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم (٧٤٣)؟ قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أوْ لأعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته ، قال : فما فجئتهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه (٧٤٤) ويتقي بيديه . قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة ، فقال رســول الله ﷺ : « **لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا** » (٧٤٥).

وعن ابن عباس ﭬ قال : « إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر (٧٤٦) ، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإســاف (٧٤٧) لو قد رأينا محمدًا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة ﭬ تبكي حتى دخلت على رســول الله ﷺ فقالت : هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك ، فقال : « **يا بنية أريني وضوءًا** » ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا وخفضوا أبصارهم و سقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا في مجالسهم(٧٤٨)، فلم يرفعوا إليه بصـرًا ، ولم يقم إليه رجل منهم ، فأقبل رســول الله ﷺ حتى قام على رؤوســهم ، فأخذ قبضــة من التراب فقال : « **شــاهت الوجوه** » ، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلًا منهم ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر كافرًا » (٧٤٩).

---

(٧٣٩) **حسن** : رواه أبو يعلى (٢٥ ، ٢٣٥٨) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (١٤١) والبزار (٢٢٩٤ ، ٢٢٩) وابن حبان (٦٥١١) وحسنه الحافظ في « الفتح » (٩/ ٥٨٢٢) .

(٧٤٠) أي وقت القيلولة .

(٧٤١) العضاة : كل شجر يعظم له شوك . وقيل : هو العظيم من الشجر مطلقًا .

(٧٤٢) رواه البخاري في « الجهاد » (٢٩١٣) باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر .

(٧٤٣) أي هل يسجد ويلصق وجهه بالعفر ، وهو التراب .

(٧٤٤) أي : رجع يمشي إلى الوراء .

(٧٤٥) رواه مسلم في« صفات المنافقين » (٢٧٩٧) باب قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] .

(٧٤٦) أي في حجر الكعبة ، وهو ما يعرف بحجر إسماعيل .

(٧٤٧) هذه كلها أسماء لأصنام كانوا يعبدونها .

(٧٤٨) عقروا : بفتح العين وكســر القاف : من العقر ، بفتحتين ، وهو أن تثبت قوائم الرجل من الخوف ، وقيل : هو أن يفجأه الروع فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر .

(٧٤٩) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٣٠٣) .

وعنه ﷺ أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزي ، والحارث بن عطيل السهمي ، والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ ، فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة ، فأومأ جبريل عليه السلام إلى أبجله[٧٥٠] فقال : « **ما صنعت ؟** » قال : كفيته، ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ جبريل إلى عينيه ، فقال : « **ما صنعت ؟** » قال : كفتيه ، ثم أراه الأ سود بن عبد يغوث الزهري ، فأومأ إلى رأ سه فقا« **ما صنعت ؟** »ل : قال : كفيته ، ثم أراه الحارث بن عطيل السهمي ، فأومأ إلى بطنه ، فقال: « **ما صنعت ؟** » قال : كفيته ، ومرَّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه ، فقال: « **ما صنعت ؟** » ، قال : كفيته ، فأما الوليد بن المغيرة فمرَّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلًا له [٧٥١] فأصاب أبجله فقطعها ، وأما الأسود بن المطلب فعمى ، فمنهم من يقول : عمى هكذا ، ومنهم من يقول : نزل تحت سمرة [٧٥٢] فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت ، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئًا ، وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ، ها هو ذا أُطعن بال شوك في عيني ، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئًا ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأ سود بن عبد يغوث الزهري ، فخرج في رأ سه قروح فمات منها ، وأما الحارث بن عطيل فأخذه الماء الأ صفر في بطنه حتى خرج من فيه فمات منها ، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يومًا إذ دخل رأسه شبرقة [٧٥٣] حتى امتلأت منها ، فمات منها » [٧٥٤] .

وفي قصة هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة . قال أبو بكر ﷺ : فارتحلنا ، والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن جعشم على فرس له ، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، قال : «**لا تحزن إن الله معنا** » فلما دنا منا ، وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة [٧٥٥] ، قلت : هذا الطلب قد لحقنا يا ر سول الله ، وبكيت، فقال : « **ما يبكيك ؟** » فقلت : أما والله ما على نفسي أبكي ولكنني إنما أبكي عليك ، قال : فدعا عليه ر سول الله ﷺ ، فقال: « **اللهم أكفناه بما شئت** » قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها ، فوثب عنها ثم قال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك ، فادعو الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ... » الحديث ، متفق عليه .

■ إسلام الجن قرين الرسول ﷺ ■

من المعجزات التي اختص الله تعالى بها رسوله ﷺ دون غيره ، إسلام قرينه من الجن .

فعن عروة بن الزبير أن عائشة ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا ، قالت : فغرتُ عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : « **مالك يا عائشة أغرت ؟**» قلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ، فقال ر سول الله ﷺ : « **أقد جاءك شيطانك؟**» قلت : يا ر سول الله أو معي شيطان ؟ قال : « **نعم** » قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : « نعم » قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم** » [٧٥٦].

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال ر سول الله ﷺ : « **ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن** » قالوا : وإياك يا ر سول الله ؟ قال : « **وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير** » [٧٥٧].

قال النووي – رحمه الله –: « فأسلم ، برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه أسلمُ من شره وفتنته ، ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمنًا لا يأمرني إلا بخير .

---

(٧٥٠) الأبجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل إذا قطع نزف حتى الموت .
(٧٥١) أي : يبري نبلًا له .
(٧٥٢) أي : تحت شجرة .
(٧٥٣) الشبرق : نوع من الشوك .
(٧٥٤) **حسن** : رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٣١٦ ، ٣١٧) .
(٧٥٥) أي مسافة تقدر برمحين أو ثلاثة ، والرمح آلة تستعمل في القتال .
(٧٥٦) رواه مسلم في « التوبة » (٦٩٧٢) باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قرينًا .
(٧٥٧) رواه مسلم في « التوبة » (٦٩٧٠) .

واختلفوا في الأرجح منهما ، فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار لقوله ﷺ : « **فلا يأمرني إلا بخير** » .

قال القاضي عياض : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه » (٧٥٨).

■ شجرة تخبر النبي ﷺ بقدوم وفد من الجن إليه ■

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه ، فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا : أستطير ، أو أغتيل ، قال : فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حراء قال : فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال : «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن** » قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : « **لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا وكل بعرة علف لدوابكم** » فقال رسول الله ﷺ : « **فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم** » (٧٥٩) .

وفي رواية : قال معن : سمعت أبي قال : سألت مسروقًا من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ، فقال : حدثني أبوك ـ يعني ابن مسعود ـ أنه آذنته بهم شجرة » (٧٦٠).

قال النووي : « قوله : (آذنت بهم شجرة) هذا دليل على أن الله تعالى يجعل فيما يشاء من الجماد تمييزًا ، ونظيره قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٧٤] وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] وقوله ﷺ : « **إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ** » وحديث الشجرتين اللتين أتياه ﷺ ... وحديث حنين الجذع ، وتسبيح الطعام ... ورجعان حراء وأحد ، والله أعلم » (٧٦١).

■ نزول المطر في الحال ببركة دعاء النبي ﷺ ■

عن أنس بن مالك ﷺ قال : « أصابت الناس سنة (٧٦٢) على عهد النبي ﷺ ، فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة ، قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه ـ وما نرى في السماء قزعة ـ فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ ، فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي ـ أو قال غيره ـ فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : « **اللهم حوالينا ولا علينا** » ، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت (٧٦٣) ، وصارت المدينة مثل الجوبة (٧٦٤) ، وسال وادي قناة (٧٦٥) شهرًا ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود (٧٦٦) » (٧٦٧).

---

(٧٥٨) « شرح النووي على صحيح مسلم » (٨/ ٢١٦) .

(٧٥٩) رواه مسلم في « الصلاة » (٤٥٠) باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .

(٧٦٠) رواه مسلم في « الصلاة » (٤٥٠) .

(٧٦١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٤١) .

(٧٦٢) سنة : أي قحط .

(٧٦٣) أي : تقطع السحاب وزال عنها .

(٧٦٤) الجوبة : هي الفجوة ، والمعنى أن السحاب تقطع عن المدينة وصار مستديرًا طولها وهي خالية منه .

(٧٦٥) قناة : اسم لواد من أودية المدينة عليه زروع .

(٧٦٦) الجود : المطر الكثير .

(٧٦٧) رواه البخاري في « الصلاة » (٩٣٣) باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة . ومسلم في « الصلاة » (٢٠٤٥) باب الدعاء في الاستسقاء .

قال النووي رحمه الله في تعليقه على روايات استسقاء النبي ﷺ : « في هذا الفصل فوائد ، منها : المعجزات الظاهرة لرسول الله ﷺ في إجابة دعائه متصلًا به حتى خرجوا في الشمس ، وفيه أدبه ﷺ في الدعاء فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله ، بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر ساكن ولا ابن سبيل ، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة بحيث يبقى نفعه وخصبه ، وهو بطون الأودية وغيرها » [٧٦٨].

■ إخباره ﷺ بمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ■

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : كنت أنا وعليٌّ رفيقين في غزوة ذات العُشَيرة [٧٦٩] ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها ورأينا ناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي : يا أبا اليقظان ، هل لك أن نأتي هؤلاء ، فننظر كيف يعملون ؟ فجئناهم ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم ، فانطلقتُ أنا وعليٌّ فاضطجعنا في صَوْر من النخل في دقعاء من التراب ، فنمنا ، فوالله ما أهبَّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله ، وقد تتربنا من تلك الدقعاء ، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليٍّ : « **يا أبا تراب** » لما يرى عليه من التراب . قال : « **ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟** » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : «أحيمر **ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عليٌّ على هذه** » يعني قرنه « **حتى تُبَلَّ منه هذه** » يعني لحيته [٧٧٠].

■ إخباره ﷺ بأن الحسن بن علي بن أبي طالب سيصلح بين فئتين من المسلمين ■

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن علي ، فصعد به على المنبر فقال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » [٧٧١].

وهاتان الفئتان هما : فئة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفئة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

قال بدر الدين العيني – رحمه الله –: وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ ، حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر . وأصل القضية أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمَّا ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان من سنة أربعين من الهجرة ... مكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة .. وأقام الحسن أيامًا مفكرًا في أمره ، ثم رأى اختلاف الناس ، فرقة في جهته ، وفرقة في جهة معاوية ، ولا يستقيم الأمر ، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه ، سلَّم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وقيل من ربيع الآخر ، وقيل في غرة جمادى الأولى ، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أيامًا ، وسمي هذا العام عام الجماعة ، وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ [٧٧٢].

---

(٧٦٨) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٤٤٥ ، ٤٤٦) ط/ دار الغد العربي .

(٧٦٩) العشيرة : موضع بناحية ينبع ، خرج إليها رسول الله ﷺ في جمادى الأولى من السنة الثانية من الهجرة يريد قريشًا .

(٧٧٠) **حسن لغيره** : رواه أحمد (٤/ ٢٦٣) وفي « فضائل الصحابة » (١١٧٢) والحاكم (٣/ ١٤٠ ، ١٤١) وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٧٥)وفي سنده محمد بن خثيم أبو يزيد ، قال الذهبي : لا يعرف ، وفي السند أيضًا انقطاع بين يزيد بن محمد بن خثيم المحاربي ومحمد بن كعب القرظي ، وانقطاع آخر بين محمد بن خثيم أبي زيد وعمار بن ياسر رضي الله عنه .

ولكن له شاهد عن علي رضي الله عنه رواه عبد بن حميد في « المنتخب من السند » (٩٢) والطبراني في « المعجم الكبير» (١٧٣) والحاكم (٣/ ١١٣) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٧٤) وأبو يعلى (٥٦٩) وإسناده حسن.

(٧٧١) رواه البخاري في « المناقب » (٣٦٢٩) باب علامات النبوة في الإسلام .

(٧٧٢) « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » (١١/ ٢٠٢) ط/ الحلبي ، القاهرة .

■ إخباره ﷺ عن قتل الحسين بن على بن أبي طالب بأرض العراق ■

عن أم سلمة ﵂ أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم ، فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ، قال : « **أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين ، فقلت لجبريل : أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها** » (٧٧٣).

■ إخباره ﷺ عن ظهور الخوارج ■

عن أبى سعيد الخدري ﵁ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة ، وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل ! ، قال رسول الله ﷺ : « **ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ قد خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل** » فقال عمر بن الخطاب ﵁ : يا رسول الله ائذن لي فيه أ ضرب عنقه . قال رسول الله ﷺ : « **دعه ، فإن له أ صحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، و صيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يُنظَرُ إلى نصله فلا يوجد فيه شيء** ـــ ثم يُنْظر إلى قذذه (٧٧٤) فلا يوجد فيه شيء ـــ وهو القدح ـــ ثم يُنْظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود ، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر (٧٧٥) يخرجون على حين فرقة من الناس (٧٧٦) .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبى طالب ﵁ قاتلهم وأنا معه ، فَأَمَرَ بذلك الرجل فالتمس ، فوُجِدَ ، فأُتي به (٧٧٧) حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت (٧٧٨).

قال النووي ـــ ﵀ ـــ: في هذا الحديث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فإنه أخبر بهذا وجرى كله كفلق الصبح ، ويتضمن بقاء الأمة بعده ﷺ ، وأن لهم شوكة وقوة خلاف ما كان المبطلون يشيعون ، وأنهم يفترقون فرقتين ، وأنه يخرج عليه طائفة مارقة ، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد ، ويبالغون في الصلاة والقراءة ولا يقيمون بحقوق الإسلام ، بل يمرقون منه ، وأنهم يقاتلون أهل الحق ، وأن أهل الحق يقاتلونهم ، وأن فيهم رجلًا صفة يده كذا وكذا ، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها ولله الحمد (٧٧٩).

■ إخباره ﷺ فاطمة ابنته بأنها أول من تموت من أهله بعده ■

عن عائشة ﵂ ، أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارَّها فبكت ، ثم سارَّها فضحكت ، فقالت عائشة : فقلت لفاطمة : ما هذا الذي سارَّك به رسول الله ﷺ فبكيت ، ثم سارَّك فضحكت ؟ قالت : سارَّني فأخبرني بموته فبكيت ، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل من يتبعُهُ من أهله فضحكت (٧٨٠).

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ ، فقد توفيت فاطمة ﵂ بعده بستة أشهر .

---

(٧٧٣) **صحيح** : رواه ابن طهمان في « مشيخته » (٣) وابن أبى عاصم في « الآحاد والمثاني » (٤٢٩) والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٨٢١) والحاكم (٤/ ٣٩٨) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٦٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٧٧٤) قذذه : أي ريش سهمه .

(٧٧٥) قال النووي : قوله : (مثل البضعة تدردر) البضعة) بفتح الباء لا غير ، وهي القطعة من اللحم و (تدردر) معناه تضطرب وتذهب وتجيء .

(٧٧٦) قال النووي : قوله (يخرجون على حين فرقة من الناس » ضبطوه في الصحيح بوجهين أحدهما (حين فرقة) بحاء مهملة مك سورة ونون ، و (فرقة) بضم الفاء أي في وقت افتراق الناس ، أي افتراق يقع بين المسلمين ، وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية﵄ .

(٧٧٧) أي : بذي الخويصرة .

(٧٧٨) رواه البخاري في « المناقب » (٣٦١٠) باب علامات النبوة في الإسلام . ومسلم في « الزكاة » (٢٤١٧) باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

(٧٧٩) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٩٤) ط/ دار الغد العربي .

(٧٨٠) رواه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٤٥٠) باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ .

■ إخباره ﷺ بأن زينب بنت جحش هي أول من تموت بعده من نسائه ■

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أ سرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا** » ، قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا ، قالت : فكانت أطولنا يدًا زينب بنت جحش لأنها كانت تعمل بيدها وتصَّدق [٧٨١].

قال النووي - رحمه الله - : « معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقة ، وهي الجارحة ، فكن يذرعن أيديهن بقصبة ، فكانت سودة - بنت زمعة - أطولهن جارحة ، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير ، فماتت زينب أولهن ، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود .

قال أهل اللغة : يقال : فلان طويل اليد وطويل الباع إذا كان سمحًا جوادًا ، وضده قصير اليد والباع . وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ، ومنقبة ظاهرة لزينب » [٧٨٢].

■ إخباره ﷺ عن قدوم أويس بن عامر القرني من أرض اليمن ■

أخبر النبي ﷺ عن رجل من أهل اليمن أنه خير التابعين ، وذكر لأصحابه اسم هذا الرجل وصفته .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن خير التابعين رجل يقال له أويس ، وله والدة ، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم** » [٧٨٣].

وعن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس ، فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ، ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا مو ضع درهم؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت ر سول الله ﷺ يقول : « **يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ، ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا مو ضع درهم ، له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل** » فاستغفر لي ، فاستغفر له[٧٨٤].

---

(٧٨١) رواه البخاري (١٤٢٠) ومسلم في « فضائل الصحابة » (٦٢٦٦) باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها .

(٧٨٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٢٢٧) ط/ دار المعرفة ، بيروت .

(٧٨٣) رواه مسلم في « فضائل الصحابة (٢٥٤٢) باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه .

(٧٨٤) رواه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٥٤٢) . .

■ إخباره ﷺ بفتح بيت المقدس ■

عن عوف بن مالك ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم [٧٨٥] فقال : « **اعدد ستًّا** [٧٨٦] **بين يدي الساعة ، موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان** [٧٨٧] **يأخذ فيكم كقُعاص الغنم** [٧٨٨] **، ثم استفاضة المال** [٧٨٩] **حتى يُعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة** [٧٩٠] تكون بينكم وبين بني الأصفر [٧٩١] ، فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غاية [٧٩٢] تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا » [٧٩٣].

قال ابن حجر ﷺ : « قال المهلب : فيه أن الغدر من أشراط الساعة . وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها .

وقال ابن المنير : أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ، ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد ، فهي من الأمور التي لم تقع بعد .

وفيه بشارة ونذارة ، وذلك أنه دلَّ على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه . ووقع في رواية للحاكم من طريق الشعبي عن عوف بن مالك في هذا الحديث « أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس إن رسول الله ﷺ قال : « **اعدد ستًّا بين يدي الساعة** » ، فقد وقع منهن ثلاث يعني موته ﷺ ، وفتح بيت المقدس ، والطاعون ، قال : وبقى ثلاث ، فقال له معاذ : إن لهذا أهلًا » . ووقع في « الفتن » لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون في زمن المهدي على يد ملك من آل هرقل [٧٩٤].

■ إخباره ﷺ بفتح مصر ■

عن أبى ذر الغفاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما ـ أو قال ـ ذمة وصهرًا** » [٧٩٥].

قال النووي ـ ﷺ ـ : « قال العلماء : القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به .

وأما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام .

وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم .

وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم .

---

(٧٨٥) أدم : أي جلد .

(٧٨٦) قال ابن حجر : أي ست علامات لقيام الساعة ، أو لظهور أشراطها المقتربة منها .

(٧٨٧) قال ابن حجر : موتان : بضم الميم وسكون الواو ، قال القزاز: هو الموت ، وقال غيره :الكثير الوقوع .

(٧٨٨) قال ابن حجر : هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة .

(٧٨٩) قال ابن حجر : قوله: (ثم استفاضة المال) أي كثرته ، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة ، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان ، واستمرت الفتن بعده ، والسادسة لم تجئ بعد .

(٧٩٠) الهدنة : هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه .

(٧٩١) بنو الأصفر : هم الروم .

(٧٩٢) قال ابن حجر : قوه (غاية) أي راية ، وسميت بذلك، لأنها غاية المتبع إذا وقف وقفت ، ووقع في حديث ذي مخبر .. عند أبى داود في نحو هذا الحديث بلفظ « راية » بدل غاية .

(٧٩٣) رواه البخاري في « الجزية والموادعة » (٣١٧٦) باب ما يحذر من الغدر ، وقول الله تعالى : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال : ٦٢] .

(٧٩٤) « فتح الباري » (٧/ ٣٧٨٥) ط/ المكتبة العصرية ، بيروت .

(٧٩٥) رواه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٥٤٣) باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .

وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ، منها : إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة ، ومنها أنهم يفتحون مصر » [٧٩٦].

■ إخباره ﷺ بفتح الشام ■

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **« ستفتح عليكم الشام ، فإذا خُيِّرتم المنازل فيها ، فعليكم بمدينة يقال لها : دمشق ، فإنها معقل المسلمين من الملاحم ، وفسطاطُها منها بأرض يقال لها : الغوطة »** [٧٩٧].

قال السندي : قوله : **« فإذا خيرتم »** من التخيير ، أي خيركم الإمام ، **« معقل »** أي : محل حفظهم ، **« من الملاحم »** ، أي : من كثرة القتل « وفسطاطها » بضم الفاء: الخيمة . الغوطة : بلد قريب من دمشق ، يعني : ينزل جيش المسلمين ويجتمعون هناك .

إخباره ﷺ عن فتح مدينة القسطنطينية

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولًا : قسطنطينية أو رومية [٧٩٨] ، فقال رسول الله ﷺ: **« مدينة هرقل تفتح أولًا »** يعني قسطنطينية[٧٩٩] .

وعنه ﵁ قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يتو ضأ و ضوءًا مكيثًا [٨٠٠] ، فرفع رأسه فنظر إليَّ فقال : **« ستٌّ فيكم أيتها الأمة : موت نبيكم ﷺ »** - فكأنما انتزع قلبي من مكانه - قال رسول الله ﷺ : **« واحدة »** ، قال : **« ويفيض المال فيكم حتى إن الرجل ليعطي عشرة آلاف فيظل يتسخطها »** ، قال رسول الله ﷺ : **« ثنتين »** ، قال: **« وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم »** قال رسول الله ﷺ : **« ثلاث »** ، قال : **«وموت كقعاص الغنم »** ، قال رسول الله ﷺ : « أربع » قال : **« وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة ، ثم يكونون أولى بالغدر منكم »** .

قال رسول الله ﷺ : **« خمس »** ، قال : **« وفتح مدينة »** ، قال رسول الله ﷺ : «ست »، قلت : يا رسول الله ، أي مدينة ؟ قال : **« قسطنطينية »** [٨٠١]

والقسطنطينية : هي ا ستنابول بتركيا ، والتي أ صبحت بعد فتحها عا صمة الخلافة العثمانية ، وقد فتحت على يد السلطان محمد الثاني ويلقب بالفاتح ، وقد تولى الخلافة بعد وفاة والده ، وكان عمره عندما تولى الخلافة ٢٢ سنة وقد فتحها السلطان محمد الفاتح في ٢٠ من جمادي الأولى سنة ٨٥٧هجرية ، الموافق ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية .

قال الألباني- ﵀ -: « سيتحقق الفتح الثاني [٨٠٢] بإذن الله تعالى ولا بد ، ولتعلمن نبأه بعد حين » [٨٠٣].

---

(٧٩٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٩٧) ط/ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٧٩٧) **صحيح** : رواه أحمد (٤/ ١٥٩) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٤٩٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٦) وفي سنده : أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، ولكن الحديث له طرق أخرى تقويه، والله أعلم .

(٧٩٨) رومية : هي روما كما في « معجم البلدان » للحموي ، وهي عاصمة إيطاليا الآن .

(٧٩٩) **صحيح** : رواه أحمد (٢/ ١٧٦) والدرامي (١/ ١٢٦) وابن عبد الحكم في « فتوح مصر » (ص٢٥٦ ، ٢٥٧) وأبو عمرو الداني في « السنن الواردة في الفتن » (١٦/ ٢) والحاكم (٤/ ٤٢٢ ، ٥٠٨، ٥٥٥) وعبد الغني المقدسي في « كتاب العلم » (٢/ ٣٠/ ١) وقال : « حديث حسن الإسناد » ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا . كذا قال الألباني في « الصحيحة » (١/ ٣٣) .

(٨٠٠) مكيثًا : أي بطيئًا متأنيًا غير مستعجل .

(٨٠١) **حسن لغيره** : رواه أحمد (٢/ ١٧٤) وفي سنده أبو جناب - واسمه يحيى بن أبي دحية الكلبي - وهو ضعيف كما في « التقريب » (٢/ ٣٤٦) ولكن يشهد له ما قبله .

(٨٠٢) وهو فتح مدينة روما .

(٨٠٣) « السلسلة الصحيحة » (١/ ٣٣) .

■ إخباره ﷺ عن هبوب ريح ليلة غزوة تبوك ■

عن أبي حميد ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك .. فقال رسول الله ﷺ : « **ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يَقُمْ فيها أحدٌ منكم فمن كان له بعير فليشدَّ عقاله** » **فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيئٍ** (٨٠٤).

قال النووي- ﷺ -: « هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب ، وخوف الضرر من القيام وقت الريح .

وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته ، والرحمة لهم ، والاعتناء بمصالحهم ، وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا ، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح » (٨٠٥).

■ شفاء الله المرضى ببركة النبي ﷺ ■

عن البراء بن عازب ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار ، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه قال عبد الله لأ صحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت ... فانتهيت إليه فأ ضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم و ضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت ... إلى أ صحابي فقلت : النجاء (٨٠٦) فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فحدثته فقال لي : «**أبسط رجلك** » فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط » (٨٠٧).

وعن سهل بن سعد ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « **لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله** » ، قال : فبات الناس يدركون ليلتهم : أيهم يعطاها ، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : « **أين علي بن أبي طالب ؟** » ، فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : **فأرسلوا إليه** » ، فأُتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع » (٨٠٨).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : غزوت مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا ولا يكاد يسير قال : فقال لي : « **ما لبعيرك ؟** » قال : قلت : عليل . قال : فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ودعا له فما زال بين يدي الإبل قدّامها يسير قال : فقال لي : «**كيف ترى بعيرك ؟** » قال : قلت : بخير قد أصابته بركتك (٨٠٩).

---

(٨٠٤) رواه مسلم في « الفضائل » (١٣٩٢) باب في معجزات النبي ﷺ .

(٨٠٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٢٤١) ط/ دار الغد العربي .

(٨٠٦) النجاء : أي: أسرعوا .

(٨٠٧) رواه البخاري في « المغازي » (٤٠٣٩) باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق .

(٨٠٨) رواه البخاري في « المغازي » (٤٢١٠) باب غزوة خيبر .

(٨٠٩) رواه البخاري (٢٩٦٧) ومسلم في « المساقاة » (٧١٥) باب بيع البعير واستثناء ركوبه .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : «**هلّا نظرتَ إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا** » قال : قد نظرت إليها ، قال : «**على كم تزوجتها ؟** » فذكر شــيئًا ، قال : كأنهم ينحتون الذهب والفضـــة من عرض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شــيء نعطيكه ، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه ، فبعث بعثًا إلى بني عبس وبعث الرجل فيهم ، فأتاه فقال : يا رسول الله أعيتني ناقتي أن تنبعث قال : فناولته رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاها فضربها برجله ، قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق به القائد(٨١٠) .

■ استجابة الله عز وجل لدعاء نبيه ﷺ ■

■ دعاؤه ﷺ لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ■

عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أَزَّرتني بنصف خمارها وردَّتني بنصفه فقالت : يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له ، فقال : « **اللهم أكثر ماله وولده** » قال أنس : فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم (٨١١).

■ دعاؤه ﷺ لأبى هريرة وأمه ■

عن أبي هريرة ﷺ قال كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قلت : يا رسول الله ، إني كنت أدعو أمي إلى الإ سلام فتأبى عليَّ ، فدعوتها اليوم فأ سمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم اهد أم أبى هريرة** » فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئتُ فصرتُ إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعتُ أمي خشف قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، و سمعت خضخضة الماء . قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلتْ عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال : قلت : يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا . قال : قلت : يا رسـول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم حبب عبيدك هذا ــ يعني أبا هريرة ــ وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين** » فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني (٨١٢).

قال ابن كثير – ﷺ -: وقد صدق أبو هريرة في ذلك ﷺ وأرضاه ، ومن تمام هذه الدعوة أن الله شهر ذكره في أيام الجُمع حيث يذكره الناس بين يدي خطبة الجمعة ، وهذا من التقييض القدري والتقدير المعنوي (٨١٣).

---

(٨١٠) **صحيح** : رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ١٥٤) وأصل الحديث رواه مسلم في « النكاح » (٧٥) باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها .

(٨١١) رواه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٤٨١) باب من فضائل أنس بن مالك ط .

(٨١٢) رواه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٤٩١) باب من فضائل أبى هريرة ﷺ .

(٨١٣) « البداية والنهاية » (٣/ ٥٥٨) بتحقيقي .

■ دعاؤه ﷺ لأبي هريرة بالبركة في طعامه (التمر) ■

عن أبي هريرة ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ يومًا بتمرات فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة ، فقال لي : « **اجعلهن في مزود** [٨١٤] ، **فأدخل يدك ولا تنثره** » قال : فحملت منه كذا وكذا وسقًا [٨١٥] في سبيل الله ، ونأكل ونُطعم ، وكان لا يفارق حقوي [٨١٦] ، فلما قتل عثمان ﷺ ، انقطع عن حقوي فسقط [٨١٧].

■ دعاؤه ﷺ لأبي زيد الأنصاري بحسن الخِلْقَة ■

عن علباء بن أحمر قال : حدثنا أبو زيد الأنصاري ﷺ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « **ادن مني** » قال : فمسح بيده على رأسه ولحيته ، قال : ثم قال : « **اللهم جَمِّلْه وأدم جماله** » قال : فلقد بلغ بضعًا ومئة سنة وما في رأسه ولحيته بياض إلا نَبْذٌ [٨١٨] يسير ، ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض [٨١٩] حتى مات [٨٢٠].

■ دعاؤه ﷺ لرجل من الصحابة بالموت في سبيل الله ■

عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني أنمار [٨٢١] ، قال جابر : فبينا أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله هلُمَّ إلى الظل ، قال : فنزل رسول الله ﷺ فقمت إلى غرارة [٨٢٢] لنا فالتمست فيها شيئًا فوجدت فيها جِرْوَ قثاء [٨٢٣] فكسرته ثم قربته إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « **من أين لكم هذا ؟** » قال : فقلت : خرجنا به يا رسول الله من المدينة، قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهِّزُهُ يذهب يرعى ظهرنا [٨٢٤] ، قال : فجهزته ثم أدبر يذهب في الظهر وعليه بردان له قد خلقا [٨٢٥] قال : فنظر رسول الله ﷺ إليه فقال : « **أما له ثوبان غير هذين ؟** » فقلت : بلى يا رسول الله له ثوبان في العَيْبة [٨٢٦] كسوتُه إياهما ، قال : « **فادعه فمره فليلبسهما** » قال : فدعوته فلبسهما ثم ولىَّ

---

(٨١٤) المزود : بكسر الميم ، وعاء يوضع فيه الزاد .

(٨١٥) الوسق : ستون صاعًا ، والصاع أربعة أمداد .

(٨١٦) أي كان يربطه على وسطه .

(٨١٧) **حسن** : رواه أحمد (٢/ ٣٥٢) والترمذي (٣٨٣٩) وابن حبان (٦٥٣٢) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ١٠٩) وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٣٤١) .

(٨١٨) نبذ : بفتح النون وسكون الباء : أي شيء يسير أو قليل .

(٨١٩) لم ينقبض : أي لم يظهر فيه تيبس الكبر ، ولم تزل فيه طراوة الشباب .

(٨٢٠) **صحيح** : رواه أحمد (٥/ ٧٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٢١١) .

(٨٢١) بني أنمار بناحية نجد ، وهي غزوة غطفان في سنة ثلاث من الهجرة .

(٨٢٢) الغرارة : شبه العِدْل .

(٨٢٣) الجرو : القثاء والرمان . والقثاء : اسم يطلق على الخيار والعجور والفقوس .

(٨٢٤) أي يرعى دوابنا .

(٨٢٥) بردان : مثنى برد ، والبرد ثوب مخطط وأكسية يلتحف بها . وقوله : قد خلقا : أي بليا .

(٨٢٦) العيبة : مستودع الثياب .

يذهب ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « **ما لَهُ** (٨٢٧) **ضرب الله عنقه أليس هذا خيرًا له ؟** » (٨٢٨) ، قال : فسمعه الرجل فقال : يا رسول الله في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **في سبيل الله** » قال : فقتل الرجل في سبيل الله (٨٢٩) .

■ دعاؤه ﷺ على رجل متكبر ■

عن إياس بن سلمة بن الأكوع : أن أباه حدَّثه : أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال له ﷺ : « **كل بيمينك** » قال : لا أستطيع قال : « **لا استطعت ما منعه إلا الكبر** » قال : فما رفعها إلى فيه (٨٣٠) .

■ دعاؤه ﷺ على نفر من المشركين ■

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال: أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلمَّا سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلمَّا قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ، ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا ، ثم قال: « **اللهم عليك بقريش ثلاث مرات** » فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال : « **اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط** » وذكر السابع ولم أحفظه ، فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب ـ أي البئر ـ قليب بدر (٨٣١) .

■ معجزة الإسراء والمعراج ■

معجزة الإسراء والمعراج ، هي أشرف وأجل آية مادية حسية أعطيها رسول الله ﷺ ، لأنها جمعت أرفع مراتب التشريف ، وأعلى درجات التكريم ، وأبلغ منازل التعظيم ، وقد ذكرها الله في كتابه الكريم ، وسبح نفسه عند ذكره لها ، تنويهًا منه سبحانه وتعالى بعلو قدر هذه المعجزة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] وتسبيح الله عز وجل ، معناه تنزيهه عن كل سوء ونقص ، وأصل التسبيح في اللغة : التباعد ، فمعنى سبحان الله ، بعدُه ونزاهته عن كل ما لا يليق بجلاله .

قال ابن الجوزي ـ ﷺ ـ: « وفي معنى التسبيح هاهنا قولان :

أحدهما : أن العرب تسبح عند الأمر المعجب ، فكأن الله تعالى عجَّب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة .

والثاني : أن يكون خرج مخرج الرد عليهم ، لأنه (٨٣٢) لمَّا حدَّثهم بالإسراء كذبوه ، فيكون المعنى : تنزه الله أن يتخذ رسولًا كذابًا .

ولا خلاف أن المراد بعبده هاهنا محمد ﷺ » (٨٣٣).

---

(٨٢٧) أي : ماله أيلبس الخلقين مع تيسر الجديدين ووجودهما عنده ؟

(٨٢٨) قال الباجي : (ضرب الله عنقه) هي كلمة يقولها العرب عند إنكار الأمر ، ولا تريد بها الدعاء على من يقال له ذلك .

(٨٢٩) **صحيح** : رواه مالك في « الموطأ » كتاب اللباس (٢/ ٩١٠، ٩١١/ ١) باب ما جاء في لباس الثياب للجمال بها . والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٢٤٤) .

(٨٣٠) رواه مسلم في « الأشربة » (٢٠٢١) باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٨٣١) رواه البخاري في « الطهارة » (٢٤٠) ومسلم في « الجهاد والسير » (١٧٩٤) باب ما لقي النبي ﷺ عن أذى المشركين والمنافقين .

(٨٣٢) أي : الرسول ﷺ .

(٨٣٣) « زاد المسير » (٥/ ٤) ط/ المكتب الإسلامي .

معنى الإسراء والمعراج :

قال الشوكاني ــــ رحمه الله ــــ: « الإسراء : قيل: هو سير الليل ، وقيل : هو سير أول الليل خاصة ، وإذا كان الإسراء لا يكون إلا في الليل ، فلابد للتصريح بذكر الليل بعده من فائدة ، فقيل : أراد بقوله : ﴿لَيْلًا﴾ ، تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسافة أربعين ليلة ، ووجه دلالة ﴿لَيْلًا﴾ ، على تقليل المدة ما فيه من التنكير الدال على البعضية ، بخلاف ما إذا قلت : سريت الليل ، فإنه يفيد استيعاب السير له جميعًا »[٨٣٤].

وأما المعراج : فهو « مفعال من العروج ، أي الآلة التي يعرج فيها ، أي يصعد ، وهو بمنزلة السُّلَم ، لكن لا يعلم كيف هو ، وحكمه كحكم غيره المغيبات ، نؤمن به ، ولا نشتغل بكيفيته »[٨٣٥].

(٨٣٤) « فتح القدير » (٣/ ٢٨٥-٢٨٦) باختصار يسير ، ط/ دار الوفاء بالمنصورة .
(٨٣٥) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص٢٢٣) .

أدلة معجزة الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة

أولًا : أدلة القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١] ، وهذه الآية الكريمة تشير إلى الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس .

وأما الآيات التي تشير إلى عروجه ﷺ إلى السموات ، فهي قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم : ١-١٨] .

وقد بوَّب الإمام البيهقي - رحمه الله - على هذه الآيات بقوله : باب الدليل على أن النبي ﷺ عُرِجَ به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام في صورته عند سدرة المنتهى ، وقبل ذلك كان قد رأى جبريل عليه السلام في صورته وهو بالأفق الأعلى[٨٣٦] .

ثانيًا : أدلة السنة النبوية :

وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ يصف فيها رحلة الإسراء والمعراج وما صاحبهما من مشاهد وأحداث ، وسوف أكتفي بذكر بعض الأحاديث المتفق على صحتها ، والجامعة لوصف الإسراء المعراج .

■ **الحديث الأول**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : **« أتيت بالبراق [٨٣٧] ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء [٨٣٨] ، قال : ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : اخترت الفطرة [٨٣٩] ، ثم عرج بنا إلى السماء فا ستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا [٨٤٠] ، فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي**

---

(٨٣٦) « دلائل النبوة » للبيهقي (٢/ ٣٦٦) .

(٨٣٧) قال النووي : البراق ا سم الدابة التي ركبها ر سول الله ﷺ ليلة الإ سراء .. قال ابن دريد : ا شتقاق البراق من البرق لـ سرعته ، وقيل : سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه ، وقيل : لكونه أبيض .

وقال القاضي [عياض] : يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين ، يقال : شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود . قال : ووصف في الحديث بأنه أبيض ، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء ، وهي معدودة في البيض ، والله أعلم .

(٨٣٨) قال النووي : قال الزجاج : البيت المقدس : المُطَّهر ، وبيت المقدس ، أي المكان الذي يُطَّهرُ فيه من الذنوب ، ويقال فيه أيضًا : إيلياء ، والله أعلم .

وقال صاحب التحرير : المراد حلقة باب بيت المقدس ، والله أعلم ، وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور ، وتعاطي الأسباب ، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى ، والله أعلم .

(٨٣٩) قال النووي : المراد أنه ﷺ قيل له : اختر أي الإناءين شئت كما جاء مبينًا من رواية أبي هريرة ، فألُهم ﷺ اختيار اللبن .

وقوله : « اخترت الفطرة » فسروا الفطرة هنا بالإ سلام والا ستقامة ، وجعل اللبن علامة لكونه سهلًا طيبًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة ، وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل ، والله أعلم.

(٨٤٠) قال النووي : قوله : « عرج » أي صَعَدَ ... وأما قول بواب السماء : قد بعث إليه ، فمراده قد بعث إليه للإسراء وصعود السموات ؟ ....

قال القاضي : وفي هذا أن للسماء أبوابًا حقيقة وحفظة موكلين بها ..

بالخير [٨٤١] ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فا ستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبا بي ، ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أُعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير .

قال الله عز وجل : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٧] ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فا ستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فا ستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فا ستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندٌ ظهره إلى البيت المعمور [٨٤٢] ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى [٨٤٣] ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال [٨٤٤] ، قال : فلمَّا غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى عليه السلام ، فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فا سأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي [٨٤٥] فقلت : يا رب خفف على أمتي ، فحط عني خمسًا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد إنهن خمسٌ كل يوم وليلة لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه [٨٤٦].

---

(٨٤١) قال النووي : فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم ، وإن كانوا أفضل من الداعي .

(٨٤٢) قال النووي : قال القاضي رحمه الله : يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها .

(٨٤٣) قال النووي : قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم : سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ ، وحُكي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله .

(٨٤٤) قال النووي : القلال : جمع قلة ، والقلة : جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر .

(٨٤٥) قال النووي : معناه : فرجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولًا فناجيته ثانيًا .

(٨٤٦) رواه مسلم في « الإيمان » (٤٠٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

■ الحديث الثاني

عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : **« فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة (٨٤٧) ، فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا (٨٤٨) فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء ، فلمَّا جئنا السماء الدنيا قال جبريل ﷺ لخازن السماء الدنيا : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قال : هل معك أحدٌ؟ قال : نعم ، معي محمد ﷺ ، قال : فأرسل إليه ؟ قال : نعم ففتح ، قال : فلمَّا علونا السماء الدنيا فإذا رجلٌ عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة (٨٤٩) ، قال : فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال : فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح ، قال : قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ﷺ ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه (٨٥٠) ، فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى.**

قال : ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح ، قال : فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح .

فقال أنس بن مالك : فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم ـ عليه السلام ـ في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة (٨٥١) ، قال : «فلمَّا مرَّ جبريل ورسولُ الله ﷺ ، بإدريس صلوات الله عليه ، قال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال : ثم مرَّ فقلت : من هذا؟ ، فقال: هذا إدريس ، قال : ثم مررت بموسى ــ عليه السلام ــ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح ، قال : قلت: من هذا ؟ ، قال : هذا موسى ، قال : ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ

---

(٨٤٧) قال ابن حجر ﷺ : قوله (فرج) أي فتح ، والحكمة فيه أن الملك انصب إليه من السماء انصبابة واحدة ، ولم يُعرِّج على شيء سواه مبالغة في المناجاة وتنبيهًا على أن الطلب وقع على غير ميعاد ، ويحتمل أنه يكون السر في ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره ، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفًا به وتثبيتًا له ، والله أعلم .

(٨٤٨) قال ابن حجر ﷺ : الطست : إناء معروف ، وخُصَّ بذلك لأنه آلة الغسل عرفًا ، وكان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة ، وقد أبْعَدَ من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لأن المستعمل له الملك ، فيحتاج إلى ثبوت كونهم مكلفين بما كُلِّفنا به ، ووراء ذلك كان على أصل الإباحة، لأن تحريم الذهب إنما وقع بالمدينة .

قوله (ممتلئ حكمة وإيمانًا) المعنى أن الطست جعل فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة ، فسمى حكمة وإيمانًا ، أو مُثِّلا له بناء على جواز تمثيل المعاني كما يمثل الموت كبشًا .

قال النووي : في تفسير الحكمة أقوال كثيرة صَفَا لنا منها أن الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس ، وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

(٨٤٩) الأسودة : هي الأشخاص من كل شيء .

(٨٥٠) قال ابن حجر : قوله : (نسم بنيه) جمع نسمة وهي الروح .. وظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء ، وهو مشكل .

قال القاضي عياض : قد جاء أن أرواح الكفار في سجين ، وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة ، يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا ؟ وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتًا فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ ، ويدل على كونهم في الجنة والنار إنما هو في أوقات دون أوقات ، قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ ، واعتُرض بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن . والجواب عنه ما أبداه هو احتمالًا أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله ، وكان يكشف له عنهما . أ . هـ .

ويحتمل أن يقال : إن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد ، وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله ، وقد أعلم بما سيصيرون إليه ، فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره ، بخلاف التي في الأجساد فليست مرادة قطعًا ، وبخلاف التي انتقلت من الأجساد إلى مستقرها من جنة أو نار فليست مرادة أيضًا فيما يظهر . وبهذا يندفع الإيراد ويعرف أن قوله (نسم بنيه) عام مخصوص ، أو أريد به الخصوص . أ هـ . « فتح الباري » (٢/ ٥٥٠) ط/ الريان .

(٨٥١) أكثر الروايات على أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ في السماء السابعة ، وهو الصواب .

الصالح ، قلت : من هذا ؟ ، قال : هذا عيسى ابن مريم ، قال: ثم مررت بإبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، قال : قلت : من هذا ؟ ، قال: هذا إبراهيم ــ عليه السلام ــ .. قال : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام (٨٥٢) **.. ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، قال : فرجعت بذلك حتى أَمُرَّ بموسى ، فقال موسى ـ عليه السلام ـ ماذا فرض ربك على أمتك ، قال : قلت : فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى ــ عليه السلام ــ فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربي فوضع شطرها**(٨٥٣) **قال : فرجعت إلى موسى عليه السلام ، فأخبرته ، قال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال: فراجعت ربي ، فقال : هي خمسٌ وهي خمسون** (٨٥٤) **لا يبدل القول لدي، قال : فرجعت إلى مو سى ، فقال : راجع ربك ، فقلت : قد ا ستحييت من ربي ، قال : ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ** (٨٥٥) **، وإذا ترابها المسك »** (٨٥٦) .

■ **الحديث الثالث**

عن أنس بن مالك ﷺ ، عن مالك بن صعصعة ﷺ ، أن نبي الله ﷺ **حدَّثه عن ليلة أ سري به ، قال: «بينما أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر** (٨٥٧) **، مضطجعًا ، إذ أتاني آت** (٨٥٨) **فَقَدْ قال : و سمعته يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه ــ فقلت للجارود**(٨٥٩)**، وهو إلى جنبي ــ : ما يعني به ؟ ، قال : من ثغرة**

---

(٨٥٢) قال ابن حجر : قوله « حتى ظهرت » أي ارتفعت و «المستوى» ، المصعد ، و« صريف الأقلام » بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة ، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى .

وقال الخطابي : هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ، ويرفع لما أراده الله من أمره وتدبيره في خلقه سبحانه وتعالى ، لا يعلم الغيب إلا هو الغني عن الاستذكار بتدوين الكتب والاستثبات في الصحف ، أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددا .

(٨٥٣) قال ابن حجر : قوله «فوضع شطرها» ، في رواية مالك بن صعصعة «فوضع عني عشرًا» ، ومثله لشريك ، وفي رواية ثابت «فحط عني خمسًا» .
قال ابن المنير : ذكر الـ شطر أعم من كونه وقع دفعة واحدة . قلت : وكذا العـ شر ، فكأنه و ضع العـ شر في دفعتين ، والـ شطر في خمس دفعات ، أو المراد بالشــطر في حديث الباب البعض ، وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسًــا خمسًــا ، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها ، وأبدى ابن المنير هنا نكتة لطيفة في قوله ﷺ لموسى ــ عليه السلام ــ لمَّا أمره أن يرجع بعد أن صارت خمسًا ، فقال : « **استحييت من ربي**» ، قال ابن المنير : يحتمل أنه ﷺ تفرس من كون التخفيف وقع خمسًا خمسًا ، أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسًا لكان سائلاً في رفعها فلذلك استحيا .

(٨٥٤) قال ابن حجر : قوله (هن خمس وهن خمـ سون) هن خمس عددًا باعتبار الفعل وخمـ سون اعتدادًا باعتبار الثواب، وا ستدل به على عدم فر ضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر .

(٨٥٥) قال ابن حجر : المراد أن فيها عقودًا وقلائد من اللؤلؤ .

(٨٥٦) رواه البخاري في (الصلاة) (٣٤٩) ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ؟ ومسلم في «الإيمان» (٤٠٨)، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

(٨٥٧) قال ابن حجر : قوله «في الحطيم ، وربما قال في الحجر» ، هو شك من قتادة ، ووقع في رواية أبي ذر «فرج سقف بيتي وأنا بمكة » ، وفي رواية الواقدي بأسـانيده أنه أسـرى به من شـعب أبي طالب ، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها ، قالت : «ففقدته من الليل ، فقال : إن جبريل أتاني» ، والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ ، وبيتها عند شعب أبي طالب ، ففرج سقف بيته ــ وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه ـ فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعًا وبه أثر النعاس ، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق ، و في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق ، وهو يؤيد هذا الجمع .
وقيل : الحكمة في نزوله عليه من الســقف الإشــارة إلى المبالغة في مفاجأته بذلك ، والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو ، قوله : «مضطجعًا» ، زاد في بدء الخلق «بين النائم واليقظان» ، وهو محمول على ابتداء الحال، ثم لمَّا خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق ا ستمر في يقظته .

(٨٥٨) قال ابن حجر : قوله «إذ أتاني آت» هو جبريل .

(٨٥٩) الجارود : هو أحد رواه الحديث .

نحره إلى شعرته (٨٦٠) **، وسمعته يقول : من قَصِّه** (٨٦١) **إلى شعرته ـ فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من** ذهب مملوءة إيمانًا ، **فغسل قلبي** (٨٦٢) **، ثم حـ شي ، ثم أعيد** (٨٦٣) **. ثم أتيت بدابة** (٨٦٤) **دون البغل وفوق الحمار أبيض يـ ضع خطوه عند أقـ صى طرفه** (٨٦٥) **، فحملت عليه** (٨٦٦) **، فانطلق بي جبريل حتى أتى السـماء الدنيا فاسـتفتح ، فقيل : من هذا ؟ ، قال: جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد.قيل : وقد أرسـل إليه ؟ ، قال : نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلمَّا خلصت فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم ، فسَلِّمْ عليه ، فسلمت عليه ، فرَّد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال: محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ ، قال : نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففُتح ، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة ، قال: هذا يحيى وعيسى، فسَلِّمْ عليهما ، فسلمت ، فردَّا ، ثم قالا ، مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فا ستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ،**

---

(٨٦٠) ثغرة : أي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين ، وقوله : إلى شعرته : أي شعر العانة .

(٨٦١) قال ابن حجر : قوله (من قصه) أي رأس صدره ، وقد ا ستنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سـعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به ، وثبت شـق الصـدر أيضًـا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ، ولكل منهما حكمة ، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسـلم من حديث أنس «فأخرج علقة فقال : هذا حظالشـيطان منك » ، وكان هذا في زمن الطفولة ، فنشـأ على أكمل الأحوال من العصـمة من الشـيطان ، ثم وقع شـق الصـدر عند البعثة زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة . وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك .اهـ .

(٨٦٢) قال ابن حجر : قوله : (فغسل قلبي) في رواية مسلم (فا ستخرج قلبي فغسل بماء زمزم) ، وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه ، قال ابن أبي جمرة : وإنما لم يغسـل بماء الجنة لما اجتمع في ماء زمزم من كون أصـل مائها من الجنة ثم اسـتقر في الأرض ، فأيد بذلك بقاء بركة النبي ﷺ في الأرض .

(٨٦٣) قال ابن حجر : قوله (ثم حشى ثم أعيد) زاد في رواية مسلم «مكانه ثم حشى إيمانًا وحكمة ».

وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلاً عمن شاهده ، فقد جرت العادة بأن من شق بطنه وأخرج قلبه يموت لا محالة ، ومع ذلك فلم يؤْثر فيه ذلك ضررًا ولا وجعًا فضلاً عن غير ذلك

قال ابن أبي جمرة : الحكمة في شق قلبه ـ مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانًا وحكمة بغير شق ـ الزيادة في قوة اليقين؛ لأنه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان أ شجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً ، ولذلك و صف بقوله تعالى : ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم :١٧] .

(٨٦٤) قال ابن حجر : قوله «ثم أتيت بدابة» ، قيل الحكمة في الإ سراء به راكبًا مع القدرة على طي الأرض له إ شارة إلى أن ذلك وقع تأنيسًا له بالعادة في مقام خرق العادة ؛ لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه .

(٨٦٥) أي يضع رجله عند منتهى بصره .

(٨٦٦) قال ابن حجر : قوله «فحملت عليه» في رواية معمر عن قتادة عن أنس «أن رسـول الله ﷺ ليلة أسـرى به أتى بالبراق مسـرجًا ملجمًا فاسـتصـعب عليه ، فقال له جبريل : ما حملك على هذا ؟ فو الله ما ركبك قط أكرم على الله منه ، قال : فارفض عرقًا » [أخرجه الترمذي وقال : حسـن غريب ، وصـححه ابن حبان] ، قلت : رواه الترمذي (٣١٣٠) ، وابن حبان (٤٦) بسـند صـحيح] وفيه دلالة على أن البراق كان معدًا لركوب الأنبياء ، خلافًا لمن نفى ذلك كابن دحية

قال ابن المنير : إنما ا ستصعب البراق تيهًا وزهوًا بركوب النبي ﷺ عليه ، وأراد جبريل ا ستنطاقه فلذلك خجل وارفض عرقًا من ذلك ، وقريب من ذلك رجفة الجبل به حتى قال له : **«اثبت فإنما عليك نبي وصـديق وشـهيد»** ، فإنها هزة الطرب لا هزة الغضـب وقوله في رواية ثابت : «فربطته بالحلقة» ، أنكره حذيفة ، فروى أحمد والترمذي من حديث حذيفة قال : «تحدثون أنه ربطه ، أخاف أن يفر منه وقد سـخره له عالم الغيب والشـهادة ؟ » ، قال البيهقي : المثبت مقدم على النافي ، يعني من أثبت ربط البراق والصـلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك ، فهو أولى بالقبول . ووقع في رواية بريدة عند البزار «لمَّا كان ليلة أ سرى به فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فو ضع إ صبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ، ونحوه للترمذي . اهـ «فتح الباري» (٨/ ٤٤٨٥ ـ ٤٤٨٧) ط المكتبة العصرية ، بيروت باختصار يسير.

قلت : حديث بريدة رضي الله عنه رواه أيضًا الترمذي (٣١٣٢) ، وابن حبان (٤٧) والحاكم (٢/ ٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد، قيل : وقد أر سل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يو سف ، قال : هذا يوسف ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردَّ ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ ، قال : جبريل، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه ، فردَّ ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا؟ ، قال : جبريل ، قيل: ومن معك ؟ ، قال : محمد ، قيل: وقد أرسل إليه ؟ ، قال: نعم، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت، فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه، فردَّ ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فا ستفتح ، قيل : ومن هذا ؟ قال : جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أر سل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردَّ ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال: أبكي لأنَّ غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي (٨٦٧)، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فا سفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل: وقد بعث إليه ؟ ، قال : نعم ، قال : مرحبًا به، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، فإذا إبراهيم ، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح ، ثم رفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها (٨٦٨) ، مثل قلال هَجَر (٨٦٩) ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة (٨٧٠) ، قال : هذه سدرة المنتهى ،

---

(٨٦٧) قال ابن حجر : قال العلماء : لم يكن بكاء موسى حسدًا ، معاذ الله ، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى ، بل كان أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره ، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه ، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة ، وأما قولة «غلام» ، فليس على سبيل النقص ، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحدًا قبله ممن هو أسن منه ، وقد وقع من موسى من العناية بهذه الأمة من أمر الصلاة ما لم يقع لغيره .

قال ابن أبي جمرة : إن الله جعل الرحمة من قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم ، لذلك بكى رحمة لأمته.

(٨٦٨) قال ابن حجر : النبق معروف وهو ثمر السدر .

(٨٦٩) قال ابن حجر : قوله (مثل هلال هجر) ، قال الخطابي : القلال بالكسر : جمع قلة بالضم ، وهي الجرار ، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال .. وقوله (هجر) ، بفتح الهاء والجيم بلدة .

(٨٧٠) قال ابن حجر : جمع فيل .. قال ابن دحية : اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف : ظل ممدود ، وطعام لذيذ ، ورائحة زكية فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية ، والظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية ، والرائحة بمنزلة القول .

وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ ، قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات[٨٧١] ، ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك[٨٧٢] ، ثم فرضت عليَّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت، فمررت على موسى ، فقال : بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ ، قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، قال: فلما جاوزت نادى منادٍ: أمضيت فريضتي ، وخفَّفتُ عن عبادي» [٨٧٣].

هل كان الإسراء والمعراج بالبدن أم بالروح ؟

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «اختلف الناس ، هل كان الإسراء ببدنه ـ عليه السلام ـ وروحه ، أو بروحه فقط ؟ ، على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا منامًا، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء : ١] ، فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظمًا ولما

(٨٧١) قال النووي : في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة ، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ، ثم يسيران حيث شاء الله ، ثم ينزلان إلى الأرض ، ثم يسيران فيها ، ثم يخرجان منها ، وهذا لا يمنعه العقل ، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد ، وأما قول عياض : إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لكونه قال : إن النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة في الأرض ، وهو متعقب ، فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض، والحاصل أن أصلها في الجنة ، وهما يخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان . واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة . اهـ نقلاً عن «فتح الباري» (٨/ ٤٤٩٤) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

وقال الشيخ الألباني : لعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها ، كما أن أصل الإنسان من الجنة ، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض ، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها والتسليم للمخبر عنها . اهـ (السلسلة الصحيحة) (١/ ١٧٨) .

(٨٧٢) قال ابن حجر : قوله «هي الفطرة التي أنت عليها» ، أي دين الإسلام ، قال القرطبي : يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة ؛ لأنه أوَّل شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه ، والسر في ميل النبي ﷺ دون غيره لكونه كان مألوفًا له ، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة ، وقد وقع في هذه الرواية أن إتيانه الآنية كان بعد= =وصوله إلى سدرة المنتهى .. وقد وقع عند مسلم عن أنس أن إتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ولفظه : «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أخذت الفطرة ، ثم عرج إلى السماء » .. ويجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل«ثم» على غير بابها من الترتيب وإنما هي بمعنى الواو هنا ، وإما بوقوع عرض الآنية مرتين : مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس و سببه ما وقع له من العطش ، ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة ، أما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ، ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى ، ووقع في حديث أبي هريرة عند الطبري لمَّا ذكر سدرة المنتهى «يخرج من أصلها من أنهار من ماء غير آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر لذة للشاربين ، ومن عسل مصفى » فلعله عرض عليه من كل نهر إناء .. والله أعلم . اهـ «فتح الباري » (٨/ ٤٤٩٥ ـ ٤٤٩٦) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٨٧٣) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٨٨٧) باب المعراج ، ومسلم في «الإيمان» (٢٦٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أ سلم ، وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال : ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم [٨٧٤] ، رواه البخاري ، وقال تعالى : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] ، والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضًا فإن حمله على البراق ، وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح ؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله أعلم»[٨٧٥]

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السموات ، ولا حاجة إلى التأويل ، وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة ، ولا مقتضى لذلك إلا مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء»[٨٧٦] .

وأما تاريخ ليلة الإسراء فلا يعرف على وجه القطع ، وقد وقع خلاف كبير بين أهل العلم في ذلك.

قال الإمام بدر الدين العيني ــ رحمه الله ــ: «جمهور السلف والخلف على أن الإسراء كان ببدنه وروحه ، وأما من مكة إلى بيت المقدس فبنص القرآن ، وكان في السنة الثانية عشرة من النبوة ، وفي رواية البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه أسرى به قبل خروجه إلى المدينة بسنة ، وعن السدى قبل مهاجرته بستة عشر شهرًا ، فعلى قوله يكون الإسراء في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزهري يكون في ربيع الأول ، وقيل : كان الإسراء ليلة السابع والعشرين من رجب، وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته ، ومنهم من يزعم أنه كان في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهي ليلة الرغائب التي أُحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لها ، ثم قيل: كان قبل موت أبي طالب ، وذكر ابن الجوزي أنه كان في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثالثة عشرة للنبوة ، وقيل : كان في ربيع الأول ، وقيل : كان في رجب ، والله أعلم» [٨٧٧] .

(تنبيه)

تمسك القائلون بأن الإسراء كان رؤيا في المنام ، برواية أنس رضي الله عنه التي جاء في آخرها : «واستيقظ وهو في المسجد الحرام » [٨٧٨] .

والجواب : أن هذا اللفظ من أوهام شريك بن عبد الله بن أبي نمر الراوي عن أنس ، وهو ليس بالحافظ وله أوهام أخرى في هذه الرواية ، من ذلك قوله في أول الرواية : «سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه !!» ،

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله (قبل أن يوحي إليه) ، أنكرها الخطابي وابن حزم ، وعبد الحق والقاضي عياض ، والنووي ، وعبارة النووي : وقع في رواية شريك ــ يعني هذه ــ أوهام أنكرها العلماء، أحدها قوله : «قبل أن يوحى إليه » ، وهو غلط لم يُوافق عليه ، وأجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء ، فكيف يكون قبل أن يوحى إليه ؟ » [٨٧٩] .

---

(٨٧٤) **قال الشنقيطي** : «فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب ، فزعم المشركون أن من ادعى رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة ، فصار فتنة لهم ، وكون الشجرة الملعونة التي هي شجرة الزقوم على التحقيق فتنة لهم ، أن الله لما أنزل قوله : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٤] ، قالوا : ظهر كذبه ؛ لأن الشجر لا ينبت بالأرض اليابسة ، فكيف ينبت في النار؟ ! . أ هـ «أضواء البيان» (٣/ ٢٥٦) .

(٨٧٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨) .

(٨٧٦) فتح القدير (٤/ ٢٨٧) .

(٨٧٧) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري » (٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) ، ط مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة .

(٨٧٨) رواه البخاري في «التوحيد» (٧٥١٧) ، ومسلم في «الإيمان (١٦٢) ، ولم يسق لفظه ، وقال : «وساق ــ يعني شريك ــ الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني ، وقدَّم فيه شيئًا وأخَّر وزاد ونقص» . أهـ .

(٨٧٩) «فتح الباري» (١٥/ ٩٣١٦) ، ط المكتبة العصرية ، بيروت .

وقال الألوسي ـ رحمه الله ـ : «وقع في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس أنه كان ـ أي الإسراء ـ قبل أن يوحى إليه ﷺ ، وقد خطَّأه غير واحد في ذلك ، ونقل الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين » ، حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله، ثم قال : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى بألفاظ غير معروفة ، وقد روي حديث الإسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب ، وثابت البناني ، وقتادة ، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث » (٨٨٠) .

قلت : وعلى فرض صحة قوله : «فاستيقظ وهو في المسجد الحرام » ، فإن العلماء قد ذكروا تأويلاً لهذه الكلمة يتوافق مع النصوص الكثيرة السابقة المصرحة بأن الإسراء والمعراج كان يقظة بالروح والجسد .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : «قوله : (فاستيقظ وهو في المسجد الحرام) قال القرطبي : يحتمل أن يكون استيقاظًا من نومة نامها بعد الإسراء ، لأن إسراءه لم يكن طول ليلته ، وإنما كان في بعضها ، ويحتمل أن يكون المعنى أفقت مما كنت فيه مما خامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى ، لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] ، فلم يرجع إلى حال بشريته إلا وهو بالمسجد الحرام » (٨٨١) .

وهناك تأويل آخر ، وهو أن يحمل قوله (فا ستيقظ وهو في الم سجد الحرام) على أن الإ سراء قد حدث أولاً في الرؤيا ، ثم تحققت هذه الرؤيا في اليقظة .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «الأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك منامًا ثم رآه بعدُ يقظة ، لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» (٨٨٢) .

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: « ما ثبت في الصحيحين من طريق شريك عن أنس ﷺ : «أن الإسراء المذكور وقع منامًا ، لا ينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، لإمكان أن يكون رأي الإسراء المذكور نومًا ، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فأ سرى به يقظة تـ صديقًا لتلك الرؤيا المنامية ، كما رأى في النوم أنهم دخلوا الم سجد الحرام، فجاءت تلك الرؤيا كفلق الـ صبح ، فدخلوا الم سجد الحرام في عمرة القضاء عام سبع يقظة لا منامًا تصديقًا لتلك الرؤيا، كما قال تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٧] ، ويؤيد ذلك حديث عائشة الصحيح : «فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » ، مع أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ساء حفظه في تلك الرواية المذكورة عن أنس ، وزاد فيها ونقص، وقدَّم وأخَّر ، ورواها عن أنس غيره من الحفاظ على الصواب ، فلم يذكروا المنام الذي ذكره شريك » (٨٨٣) .

وأما ما ذكر عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما أن الإسراء كان رؤيا رآها النبي ﷺ ، فإن العلماء قد ردوا ما ذكر عنهما ، لأن عائشة رضي الله عنها كانت إذ ذاك صغيرة ، ولم تكن زوجته ﷺ ، وأما معاوية فكان كافرًا يومئذ .

* * *

---

(٨٨٠) «روح المعاني» (١٥ / ٦) ، ط مكتبة دار التراث بالقاهرة .

(٨٨١) «فتح الباري» (١٥/ ٩٣٢٤) .

(٨٨٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨) .

(٨٨٣) «أضواء البيان» (٣/ ٣٥٨) ط المدني .

■ تحقيق صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس ■

وهل كانت صلاته بهم قبل العروج أم بعده

قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــــ: «أنكر حذيفة في هذا الحديث [٨٨٤] أنه ﷺ صلى في بيت المقدس ، واحتج بأنه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة في البيت العتيق.

والجواب عنه : منع التلازم في الصلاة إن كان أراد بقوله : «كتب عليكم» الفرض ، وإن أراد التشريع فنلتزمه ، وقد شرع النبي ﷺ الصلاة في بيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده في شد الرحال [٨٨٥] ، وذَكَر فضيلة الصلاة فيه في غير ما حديث [٨٨٦]، وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي : **«حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها ــ وفيه ــ فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كل واحد منا ركعتين »** .. وفي حديث ابن مسعود عند مسلم «**وحانت الصلاة فأممتهم**» ، وفي حديث ابن عباس عند أحمد : «**فلمَّا أتى النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي ، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه »** ..

قال عياض : يحتمل أن يكون صلى بالأنبياء جميعًا في بيت المقدس ، ثم صعد منهم إلى السموات من ذكر أنه ﷺ رآه ، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضًا.

وقال غيره : رؤيته إياهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى لما ثبت أنه رفع بجسده ، وقد قيل في إدريس أيضًا ذلك ، وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح خاصة ، ويحتمل الأجساد بأرواحها ، والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج ، والله أعلم » [٨٨٧] .

وقد رجَّح الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء كانت بعد رجوعه من المعراج .

قال ــ رحمه الله ــــ: « وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفًا بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لمَّا حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمَّهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لمَّا مرَّ بهم في منازلهم [٨٨٨] جعل يسأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ؛ لأنه كان أولاً مطلوبًا إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لمَّا فرغ من الذي أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل ـ عليه السلام ـ له بذلك ، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس [٨٨٩] ، والله سبحانه وتعالى أعلم» [٨٩٠] .

***

---

(٨٨٤) أي حديث مالك بن صعصعة ﷺ السابق .

(٨٨٥) عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى »** [رواه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) .

(٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **«لمَّا فرغ سليمان ابن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثًا أن يؤتيه حكمًا يصادف حكمه ، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »** [رواه أحمد (٢/ ١٧٦) ، والنسائي (٢/ ١٣٤) ، وابن ماجه (١٤٠٨) ، والحاكم (١/ ٣٠ ــــ ٣١)، وصححه ووافقه الذهبي .

قلت : وقد وردت أحاديث أخرى فيها مضاعفة أجر من صلى في بيت المقدس ، ولكنها لا تخلو من ضعف .

(٨٨٧) «فتح الباري » (٨/ ٤٤٨٧ ـ ٤٤٨٨) ط المكتبة العصرية ن بيروت .

(٨٨٨) أي منازلهم في السموات .

(٨٨٩) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٨٩٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣) .

■ حال الأنبياء أثناء رؤية النبي ﷺ لهم في الإسراء والمعراج ■

قال ابن حجر ـ رحمه الله ــ: قد استشكل رؤية الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض ، وأجيب بأن أرواحهم تشكَّلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفًا له وتكريمًا ، ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس ففيه: «وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء » (٨٩١) .

وأما الحال الذي كان عليه الأنبياء عند رؤية النبي ﷺ لهم في بيت المقدس ، فقد قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله– : اختلف في حال الأنبياء عند لقي النبي ﷺ إياهم ليلة الإسراء هل أسرى بأجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة ، أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي ﷺ وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء ابن عقيل ، واختار الأول بعض شيوخنا ، واحتج بما ثبت في مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال : **«رأيت موسى ليلة أسري بي قائمًا يصلي في قبره »** ، فدلَّ على أنه أسرى به لمَّا مرَّ به . قلت : وليس ذلك بلازم بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده في الأرض ، فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة في السماء (٨٩٢) .

■ هل رأى النبي ﷺ ربه في المعراج ■

الراجح أن النبي ﷺ لم ير ربه في المعراج ، لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال : «**نورٌ أنَّى أراهُ** » (٨٩٣) ، وفي رواية قال : **«رأيت نورًا»**(٨٩٤)

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «أما قوله ﷺ : «نور أنى أراه» ، فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أني وتشديد النون وفتحها ، وأراه بفتح الهمزة ، هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات، ومعناه : حجابه نور ، فكيف أراه ؟ ، قال الإمام أبو عبد الله المازري ـــ رحمه الله : الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعني من الرؤية ، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار والأبصار ، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه .

وقوله ﷺ : « **رأيت نورًا»** ، معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره ، قال : وروى «نور أنى أراه» ، بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء . قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: هذه الرواية لم تقع إلينا ولا رأيتها في شيء من الأصول » (٨٩٥) .

وورد في صحيح مسلم أيضًا عن مسروق قال : كنت متكئًا عند عائشة ﵂ فقالت : يا أبا عائشة : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : وما هن ؟ ، قالت : من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية(٨٩٦) ، قال : وكنت متكئًا فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين انظريني (٨٩٧) ، ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير : ٢٣] ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣] ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : **«إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظيم خلقه ما بين السماء إلى الأرض .. »** الحديث (٨٩٨) وهذا نص صريح من النبي ﷺ في نفي الرؤية وجاء عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ رأى ربه ، وقد اختلفت الروايات عنه ، فورد بعضها بإطلاق الرؤية ، وفي بعضها قيدها برؤية الفؤاد .

---

(٨٩١) «فتح الباري» (٨/ ٤٤٨٩) ، ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٨٩٢) المصدر السابق (٨/ ٤٤٩٢) .

(٨٩٣) رواه مسلم في «الإيمان» (٢٩١) باب في قوله عليه السلام : «نور أني أراه » وفي قوله : «رأيت نورًا» .

(٨٩٤) رواه مسلم في «الإيمان» (٢٩٢) .

(٨٩٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٢) باختصار يسير . ط دار إحياء التراث العربي .

(٨٩٦) الفرية : الكذب .

(٨٩٧) انظريني : أي أمهليني .

(٨٩٨) رواه مسلم في «الإيمان» (٢٨٧) باب معنى قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة ، وأخرى مقيدة ، فيجب حمل مطلقها على مقيدها ، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضًا عن ابن عباس قال : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ؟ وأخرج ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل إليه أنْ نعم ، ومنها ما أخرجه مسلم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم : ١٣] ، قال : رأى ربه بفؤاده مرتين ، وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال : رآه بقلبه ، وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه ، وإنما رآه بقلبه . وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب .

وقد أنكر صاحب : «الهدى» [٨٩٩] ، على من زعم أن أحمد[٩٠٠] ، قال : رأى ربه بعين رأسه ، قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه ، وقال مرة بفؤاده ، وحكى عنه بعض المتأخرين رآه بعيني رأسه ، وهذا من تصرف الحاكي ، فإن نصوصه موجوده » [٩٠١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأما الرؤية ، فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » ، وعائشة أنكرت الرؤية ، فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول : رأى محمد ربه ، وتارة يقول : رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه ، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية ، وتارة يقول : رآه بفؤاده ، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول : رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس رضي الله عنهما ففهم منه رؤية العين، وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدلُّ ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ ، فقال : «نور أني أراه» ، وقد قال تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، ولو كان قد أراه نفسه لكان ذكر ذلك أولى ، وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، وهذه رؤيا الآيات ؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صَّدقة قوم، وكذبه قوم ، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك ، لذكره كما ذكر ما دونه » [٩٠٢] .

***

---

(٨٩٩) يعني ابن القيم في كتابه «زاد المعاد » .

(٩٠٠) أي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٩٠١) «فتح الباري» (٩/ ٥٦٥٢ ـ ٥٦٥٣) ، باختصار يسير ، ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٩٠٢) «مجموع الفتاوي » (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) .

■ المشاهد التي رآها النبي ﷺ في الإسراء والمعراج ■

ذكرت بعض الكتب التي تناولت معجزة الإسراء والمعراج مشاهد كثيرة رآها النبي ﷺ في الإسراء والمعراج ، ولكن هذه المشاهد منها ما صح عن النبي ﷺ ، ومنها ما لم يصح ، وسوف اقتصر على ذكر المشاهد التي صحت نسبتها إلى النبي ﷺ [٩٠٣] .

■ المشهد الأول

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مررت بموسى ـ عليه السلام ـ ليلة أسرى بي وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر [٩٠٤] » [٩٠٥]

وهذا الحديث يدل على أن الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ لا تبلى أجسادهم في قبورهم ، لأن الله تعالى قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما في حديث أوس بن أوس ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : **«من أفضـــل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة، وفيه الصـــعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليَّ ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ـــ يعني بليت ـــ فقال ﷺ : «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »** [٩٠٦] ، كما أخبر النبي ﷺ أن أجسـاد الأنبياء في القبور فيها حياة ، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»** [٩٠٧] .

وهذه الحياة لا تشبه حياة الدنيا من احتياج الأجساد إلى الطعام والشراب ، وغير ذلك، بل هي حياة خاصة يخلقها الله فيهم ، ولا نعلم حقيقتها .

ورؤية النبي ﷺ لموسـى وهو يصـلي في قبره، لا تتعارض مع رؤيته له في السـماء ؛ لأن الرؤية في القبر كانت قبل عروج النبي ﷺ إلى السـموات، فلما عرج به ﷺ إلى السماء ، عرج بموسى ـ عليه السلام ـ كذلك ، حتى رآه النبي ﷺ في السماء السادسة ، والله أعلم .

وقد اعترض البعض على هذا الحديث بأن التكليف قد انقطع بالموت ، فكيف يصلي موسى بعد موته ؟

وقد أجاب السبكي ـــ رحمه الله ـــ على هذا الاعتراض ، فقال : «إنا نقول: إن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى ، ولهذا ورد أنهم يسبحون ويدعون ويقرؤون القرآن ، وانظر إلى سجود النبي ﷺ وقت الشفاعة ، أليس ذلك عبادة وعملاً ؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأعمال في مدة البرزخ»[٩٠٨] .

---

(٩٠٣) من المؤسف أن المشاهد التي لم تثبت عن النبي ﷺ أصبحت تنتشر بين الناس أكثر من المشاهد الثابتة، لأن الوعاظ والخطباء الذين يذكرون هذه المشـاهد لا يهتمون بمعرفة الصـحيح من غيره ، والبعض منهم يعلم أن المشـاهد التي يذكرها لم تثبت ، ولكنه يبرر ذكره لها بأنها تؤثر في الناس وتردعهم ، وهذا تبرير خاطئ ، لأن ما صح عن النبي ﷺ يغني عن ما لم يصح .

(٩٠٤) الكثيب الأحمر : أي الجبل الأحمر القريب من بيت المقدس.

(٩٠٥) رواه مسلم في «الفضائل» (٢٣٧٥) ، باب فضائل موسى ـ عليه السلام .

(٩٠٦) **صـــحيح** : رواه أحمد (٤/ ٨) وأبو داود (١٠٤٧ و ١٥٣١) ، والنسـائي (٢/ ٩١ ـــ ٩٢) ، وابن ماجه (١٠٨٥ و١٦٣٦) وابن أبي شـيبة في «المصـنف» (٣/ ٥١٦) ، والدارمي (١/ ٣٦٩) ، وابن خزيمة (١٧٣٣ و ١٧٣٤) والطبراني في «المعجم الكبير » (٥٨٩) ، وابن حبان (٩١٠) ، والحاكم (١/ ٢٧٨ و ٤/ ٥٦٠) ، والبيهقي في «السنن الكبرى » (٣/ ٢٤٨) وفي «حياة الأنبياء » (١٠) وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٥) و صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٩٠٧) **حسن** : رواه أبو يعلي (٣٤٢٥) والبزار (٢٣٣٩ و ٢٣٤٠ ـــ كشف الأستار » وابن عساكر في «تاريخ دمشق » (١٣/ ٣٢٦) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٢٧) ، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٨٣) .

(٩٠٨) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣٨٨) .

■ **المشهد الثاني**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«رأيت ليلة أسرى بي رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ ، فقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون »** (٩٠٩) .

■ **المشهد الثالث**

عن أنس بن مالك ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **«لمّا عرج بي ربي – عز وجل– مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم »** (٩١٠) .

■ **المشهد الرابع**

عن جابربن عبد الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«عرض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضربٌ(٩١١) من الرجال كأنه من رجال شنوءة (٩١٢) ، ورأيت عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود (٩١٣) ، ورأيت إبراهيم ــ عليه السلام ــ فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم ـ يعني نفسه ـ ورأيت جبريل ـ عليه السلام ـ فإذا أقرب من رأيت به شبهًا دحية بن خليفة (٩١٤) »** (٩١٥) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : **«حين أسرى بي لقيت موسى ــ عليه السلام ــ فَنَعَتَهُ النبي ﷺ فإذا رجل حسبته قال : مضطرب (٩١٦) رَجِلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فإذا رَبْعةٌ أحمر (٩١٧) ، كأنما خرج من ديماس ــ يعني حمامًا (٩١٨) قال : «ورأيت إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأنا أشبه ولده به، قال : فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، فقيل لي : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقال : هديت الفطرة ، أما أنك لو أخذت الخمر غوتْ أمتك »** (٩١٩) .

---

(٩٠٩) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٢٠ و ١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٩) وأبو يعلي (٣٩٩٦ و ٤٠٦٩) ، وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٨) ، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (١٢٢٢) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٩٩ ــ ٢٠٠ و ١٢/ ٤٧) وابن حبان (٥٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤٩٦٥)
و ٤٩٦٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٢) .

(٩١٠) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٨ و ٤٨٧٩) والضياء في «المختارة» (٢٢٨٥ و ٢٢٨٦) والطبراني في «الأوسط» (٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧١٦) .

(٩١١) ضرب : أي خفيف اللحم .

(٩١٢) قال الجوهري : الشنوءة ، التقزز ، وهو التباعد من الأدناس ، ومنه أزد شنوءة ، وهم حي من اليمن ينسب إليهم شنيء .

(٩١٣) عروة بن مسعود : هو أحد صحابة رسول الله ﷺ .

(٩١٤) دحية بن خليفة : هو أحد صحابة رسول الله ﷺ .

(٩١٥) رواه مسلم في «الإيمان» (١٦٨) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

(٩١٦) المضطرب : هو الطويل غير الشديد .

(٩١٧) ربعة : أي ليس بالطويل جدًا ، ولا بالقصير جدًا ، بل وسط . وأحمر : يعني أبيض .

(٩١٨) **قال ابن حجر** : قوله (يعني الحمام) هو تفسير عبد الرزاق ، والديماس في اللغة : السرب ، ويطلق أيضًا على الكن ، والحمام من جملة الكن ، والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه في موضع كن خرج منه وهو عرقان » . ا هـ .

(٩١٩) رواه البخاري (٣٣٩٤) ، ومسلم في «الإيمان» (١٦٤) .

■ **المشهد الخامس**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسـول الله ﷺ : «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصـر من ذهب ، فقلت: لمن هذا القصـر ؟ فقالوا : لفتى من قريش ، فظننت أنه لي ، قلت : من هو ؟ قيل : عمر بن الخطاب ، فقلت : يا أبا حفص لولا ما أعلم من غيرتك لدخلته** » ، فقال : يا رسـول الله ، من كنت أغار عليه ، فإني لم أكن أغار عليك » (٩٢٠) .

■ **المشهد السادس**

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لمّا كانت الليلة التي أسرى بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة** ؟ فقال : هذه رائحة ما شطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : **قلت ، وما شأنها ؟** قال: بينما هي تمشُطُ ابنة فرعون ذات يوم ، إذ سقطت المِدْرَى(٩٢١) من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟ ، قالت : لا ، ولكن ربي وربَّ أبيك الله ، قالت : أُخْبِرُه بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته فدعاها ، فقال : يا فلانة وإن لك ربًا غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله ، فأمر ببقرة من نحاس (٩٢٢) فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها ، فقالت له : إني لي إليك حاجة ، قال: وما حاجتك ؟ قالت : أحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتَدْفِنَّا ، قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبيٍّ لها مُرْ ضَع ، كأنها تقاعست (٩٢٣) من أجله ، قال : يا أمَّه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت » قال ابن عباس : تكلم أربعة صغار : عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون » (٩٢٤) .

■ إمامة جبريل – عليه السلام – للنبي ﷺ بالصلاة صبيحة الإسراء ■

قال ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ: «لما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ ، وهو يقتدي بجبرائيل » (٩٢٥) .

وقال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «لم يختلف أن جبريل هبط صبيحة الإسراء عند الزوال ، فعلَّم النبي ﷺ الصلاة ومواقيتها وهيئتها » (٩٢٦) .

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نزل جبريل فأمَّني ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات » (٩٢٧) .

وكانت إمامة جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ في يومين متتالين لوقتين مختلفين لكل صلاة ، كما في حديث جابر بن عبد الله ﷺ «أن النبي ﷺ جاءه جبريل فقال : «قم فصله» فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر ، فقال : «قم فصله» فصلى العصر حين صار ظلُّ كل شيء مثله ، ثم

---

(٩٢٠) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ١٠٧ و ١٧٩ و ١٩١ ، و٢٦٩) وفي «فضائل الصحابة» (٦٧٩) والترمذي (٣٦٨٨) والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٦) .

(٩٢١) المدري : ما يسوي به شعر الرأس ، وهو المشط .

(٩٢٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ١٤٥) : «قال الحافظ أبو موسى : الذي يقع لي في معناه : أنه لا يريد شيئًا مصوغًا على صورة البقرة ، ولكنه ربما كانت قِدْرًا كبيرًا واسعًا فسماها بقرة ، مأخوذًا من التبقر : التوسع ، أو كان شيئًا يسع بقرة تامة فسميت بذلك » . أهـ .

(٩٢٣) تقاعست : تأخرت .

(٩٢٤) **حسن** : رواه أحمد (١/ ٣٠٩ـ ٣١٠) ، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٨٠)والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٨٩) .

(٩٢٥) «البداية والنهاية» (٣/ ١١٧) .

(٩٢٦) «شرح الزرقاني على موطأ مالك» (١/ ٢١) ط دار الكتب العلمية .

(٩٢٧) رواه البخاري في «بدء الخلق» (٣٢٢١) .ومسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» (٦١٠) .

جاءه المغرب فقال : «قم فصله» ، فصلى حين وجبت الشمس (٩٢٨) ، ثم جاءه العشاء فقال: «قم فصله» ، فصلى حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر فقال: «قم فصله» ، فصلى حين برق الفجر، ثم جاءه في الغد للظهر فقال : «قم فصله» ، فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ثم جاءه العصر فقال : «قم فصله» فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاءه للمغرب وقتًا ، واحدًا لم يزل عنه ، ثم جاء للعشاء حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل ـ فصلى العشاء، ثم جاءه للفجر حين أسفر جدًا فقال : «قم فصله » فصلى الفجر، ثم قال : «ما بين هذين وقت» (٩٢٩) .

وعن ابن عباس ﷺ : «أن النبي ﷺ قال : «**أمني جبريل ـ عليه السلام ـ عند البيت** (٩٣٠) **، مرتين**(٩٣١) **»** ، فذكر نحو حديث جابر إلا أنه قال فيه : «صلى المرة الثانية حين صار ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ، وقال فيه : ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ، وفيه ثم قال: «يا محمد الوقت بين هذين الوقتين »(٩٣٢) **(تنبيه)** دلت الأحاديث السابقة على ان الصلوات الخمس فرضت على النبيﷺ من بدايتها تامة ، ولكن ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر» (٩٣٣) وهذا القول يتعارض مع الأحاديث السابقة، وقد خالف ابن عباس ﷺ عائشة ﷺ ، فقال : «إن الله فرض الصلاة على لسان نبيكم ﷺ على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعًا » (٩٣٤) ، وخالفها أيضًا الحسن البصري ـــ رحمه الله ـــ قال البيهقي (٩٣٥) : «وذهب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى أن الصلوات فرضت في الابتداء بأعدادهن ، ثم ساق بسنده إلى الحسن بنحو رواية أبي مسعود الأنصاري ، ثم قال : «ففي هذا الحديث وما روي في معناه دليل على أن ذلك كان بمكة بعد المعراج ، وأن الصلوات الخمس فرضت حينئذ بأعدادهن، وقد ثبت عن عائشة ﷺ خلاف ذلك » (٩٣٦) .

وقد أجاب بعض أهل العلم على قول عائشة ﷺ بحمله على أن مرادها بالصلاة قبل الإسراء.

قال السهيلي ـ رحمه الله ـ: «ذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول ، قوله سبحانه : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر : ٥٥] ، وقال يحيى بن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : «فزيد في صلاة الحضر» ، أي زيد فيها حين أكملت خمسًا ، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أي قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم ابن عباس » اهـ .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «لعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ، ثم لمّا فرضت الخمس فرضت حضرًا على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديمًا ، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية ، والله أعلم »(٩٣٧) .

***

(٩٢٨) أي حين غربت الشمس .

(٩٢٩) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٣٣٠ ـــ ٣٣١) ، والترمذي (١٥٠) والنسائي (١/ ٢٦٣) ، وابن حبان (١٤٧٢) ، والدارقطني (١/ ٢٥٦ و ٢٥٧) والحاكم (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) والبيهقي في «السنن» (١/ ٣٦٨) وقال الترمذي: حسن صحيح .

(٩٣٠) أي عند البيت الحرام.

(٩٣١) مرتين ، أي في يومين متتاليين .

(٩٣٢) **صحيح** : رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٨) ، وأحمد (١/ ٣٣٣) والترمذي (١٤٩) ، وأبو داود (٣٩٣) ، والحاكم (١/ ١٩٢) ، والبيهقي (١/ ٣٦٤) .

(٩٣٣) رواه البخاري في «الصلاة» (٣٥٠) ، ومسلم في «الصلاة»(٦٨٥) .

(٩٣٤) رواه مسلم في «الصلاة» (٦٨٧) .

(٩٣٥) في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٠٧) .

(٩٣٦) «السنن الكبرى» (١/ ٣٦٧) .

(٩٣٧) «البداية والنهاية » (٣/ ١١٨) .

■ إخبار النبي ﷺ قريشًا بمعجزة الإسراء ■

بعد أن فرغ النبي ﷺ من أحداث الإسراء والمعراج أخبر قريشًا بما وقع له في هذه المعجزة فلم يصدقوه ، وقالوا له : كيف تزعم أنك ذهبت إلى بيت المقدس وعدت قبل انقضاء الليل ، ونحن نقضي شهرًا كاملاً في مسيرنا إليه ؟.

وكانت قريش تعرف معالم بيت المقدس لأنهم كان يشاهدونه أثناء ذهابهم إلى الشام ، ويعلمون أن النبي ﷺ لم يذهب إليه قبل ذلك ، فطلبوا منه أن يصفه لهم ، وذلك من باب تعجيزه وإظهار عدم صدقه بزعمهم ، فحينئذ أكرم الله ــــ عز وجل ــــ نبيه ﷺ بمعجزة أخرى فأتى له ببيت المقدس أمامه ، فجعل النبي ﷺ ينظر إليه وينعته لقريش ، فكان وصف النبي ﷺ للبيت يطابق معرفتهم به !!

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«لمَّا كان ليلة أُسْرِيَ بي ثم أصبحت بمكة فُظِعْتُ بأمري** (٩٣٨) **وعلمت أن الناس مكذبي ، فقعدت معتزلاً حزينًا، فمرّ بي عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليَّ ، ثم قال كالمستهزئ : هل من شيء؟ فقال** رسول الله ﷺ : **«نعم»** ، فقال: ما هو ؟ ، قال : **«أني أسـري بي الليلة»** ، فقال: إلى أين ؟ قال: **«إلى بيت المقدس»** ، فقال أبو جهل : ثم أصـبحت بين ظهرانينا ؟ ، قال رسـول الله ﷺ : **«نعم»** ، قال : فلم ير أنه مكذبه مخافة أن يجحد الحديث ، قال: فقال ، إذا دعوت إليك قومك أتحدثهم مثل ما حدثتني ؟ ، فقال رسـول الله ﷺ : **«نعم»** ، قال: فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا إليَّ ، قال: فانتفضت المجالس ، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما ، قال : فقال أبو جهل لرسول الله ﷺ : حدِّث قومك ما حدثتني ، فقال رسـول الله ﷺ : **«أسـري بي الليلة »** ، فقالوا: إلى أين ؟ فقلت : **«إلى بيت المقدس»،** قالوا : ثم أصـبحت بين ظهرانينا ؟ قال رسول الله ﷺ : **«نعم»** ، قال: فبين مصفق ، وآخروا ضع يده على رأسه مستعجبًا للكذب زعم ، قال : فقال القوم : تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ قال: وفي القوم من قد سار إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، قال : فقال رسول الله ﷺ : **«فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى لُبِّس عليّ بعض النعت ، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل وأنا أنظر إليه »** ، قال القوم : أما النعت فقد أصبت » (٩٣٩) .

وعن جابر ﷺ ، أن رسـول الله ﷺ قال : **«لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلَّى الله لي بيت المقدس** (٩٤٠) **فطفقت أخبرهم عن آياته ــــ أي أوصافه ـ وأنا أنظر إليه »** (٩٤١) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **« لقد رأيتني وأنا في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت مثله قط ، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به »** (٩٤٢) .

وكانت معجزة الإسراء والمعراج هي سبب تلقيب أبي بكر ﷺ بالصديق ، لأن قريشًا لما كذبت رسول الله ﷺ ، قالوا لأبي بكر : إن صاحبك يزعم أنه قد ذهب إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ، فقال لهم أبو بكر ﷺ : لئن كان قال ذلك فقد صـدق ، قالوا : فتصـدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ ، قال : نعم إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء ، وبذلك سمي أبوبكر بالصديق ﷺ .

---

(٩٣٨) أي اشتد عليّ أمري .

(٩٣٩) **صحيح** : رواه أحمد (١/ ٣٠٩) والبزار (٥٦ ــــ كشف الأستار) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٨٥) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٧٨٢) وفي « الأوسط » (٢٤٤٧) وابن منده في «التوحيد (٢٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) .

(٩٤٠) أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته .

(٩٤١) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٨٨٦) باب حديث الإسراء ، ومسلم في «الإيمان» (١٧٠) باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال

(٩٤٢) رواه مسلم في «الإيمان» (١٧٢) باب ذكر المسيح ابن مريم ، والمسيح الدجال .

■ الحكمة في الإسراء بالنبي من مكة إلى بيت المقدس ■

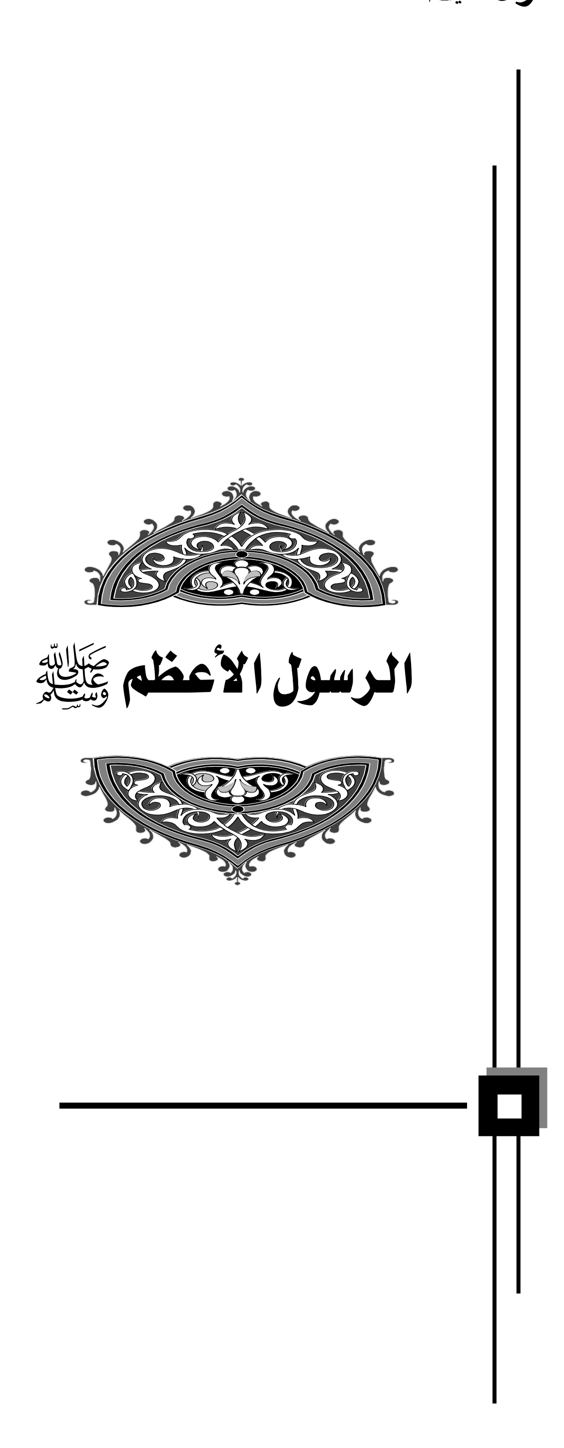
قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ: «الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده ؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح ، فلما ذَكَرَ أنه أُسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى

بيت المقدس في ليلة ، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره ، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن ، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند»[٩٤٣] .



(٩٤٣) «فتح الباري» (٧/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) ط الريان .

الفصل الخامس
شفاعة الرسول ﷺ لأمته



أجمع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة على أن الرسول ﷺ يشفع لأمته عند ربه يوم القيامة لورود نصوص الكتاب والسنة بذلك .

تعريف الشفاعة :

قال الشيخ ابن عثيمين ــــ رحمه الله ــــ: «الشفاعة في اللغة : جعل الشئ شفعًا . وفي الاصطلاح: التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة ، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة، لأنك إذا توسطت له صرت معه شفعًا تشفعه » [٩٤٤] .

وقد وردت النصوص الشرعية بإثبات أكثر من شفاعة للرسول ﷺ .

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «العقيدة الواسطية » ثلاث شفاعات للرسول ﷺ ، وهي :

١ ـ الشفاعة في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم ، وهي الشفاعة العظمى .

٢ ـ الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها .

٣ ـ الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ﷺ .

وذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم خمس شفاعات للرسول ﷺ ، وهي:

١ـ الشفاعة العظمى .

٢ ـ الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

٣ ـ الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم .

٤ ـ الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ﷺ .

٥ ـ الشفاعة في أهل الجنة لزيادة درجاتهم فيها .

وقد ذكر أبو العز الحنفي ــــ رحمه الله ــــ في شرحه للطحاوية أن النبي ﷺ له ثماني شفاعات يوم القيامة ، ولكن بالنظر تبين أن ما ذكره الإمام النووي هو الأصوب . والله أعلم ، وهناك شفاعة خاصة لأبي طالب عم الرسول ﷺ وهذه الشفاعة لتخفيف العذاب عنه في نار جهنم .

■ الشفاعة العظمى ■

عن أبي هريرة ﷺ قال : «أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس [٩٤٥] منها نهسة ، قال : **«أنا سيد الناس يوم القيامة** [٩٤٦] **، وهل تدرون بم ذاك؟، يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد** [٩٤٧] **فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر** [٩٤٨] **وتدنو**

---

(٩٤٤) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ١٦٨) ط العلمية للنشر والتوزيع .

(٩٤٥) نهس : أي أخذ بأطراف أسنانه .

(٩٤٦) قال النووي ــــ رحمه الله : قوله ﷺ : **«أنا سيد الناس يوم القيامة »** ، إنما قال هذا تحدثًا بنعمة الله تعالى ، وقد أمره الله تعالى بهذا ، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ . قال القاضي عياض : قيل السيد الذي يفوق قومه والذي يُفزع إليه في الشدائد ، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة ، وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها وتسليم جميعهم له ، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ » . اهـ

(٩٤٧) الصعيد : هو الأرض الواسعة المستوية .

(٩٤٨) ينفذهم البصر : أي يحيط بهم الناظر لا يخفي عليه منهم شيء لاستواء الأرض وخُلُوِّها مما يستتر به أحد عن الناظرين .

الشمس[٩٤٩] ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ، ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ ، فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بَلَغَنا ؟ ، فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله [٩٥٠] ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي [٩٥١] ، اذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول الر سل إلى الأرض و سمَّاك الله عبدًا شكورًا ، ا شفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ ، فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى إبراهيم ﷺ فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ ، فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى مو سى ، فيأتون مو سى ﷺ فيقولون : يا مو سى أنت ر سول الله ، فضَّلَك الله بر سالاته وبتكليمه على الناس، ا شفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنبًا ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت ر سول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ا شفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله عليَّ ويُلهمني من محامده وحُسْن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يُقال: يا محمد ارفع رأسك سل تُعْطَهْ اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر [٩٥٢]أو كما بين مكة وبُصْرَى »[٩٥٣] .

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود المرادة في قول الله عز وجل : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] ، وقد ورد هذا التفسير عن النبي ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ ، وسئل عنها ، فقال : «**هي الشفاعة** »[٩٥٤] .

---

(٩٤٩) تدنواالشمس : أي تقترب من رؤوس الخلائق . وقد جاء في حديث المقداد بن الأسود الذي رواه مسلم قوله ﷺ : «**حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه (أي خاصرتيه) ، ومنهم من يلجمه العرق لجامًا. وأشار ﷺ بيده إلى فيه** » .

(٩٥٠) يغضب الله تعالى في هذا اليوم هذا الغضب لكثرة العا صين من عباده . وأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى صفة الغضب كما يليق بجلاله تعالى ، من غير تكييف (أي لا نقول كيف يغضب) ومن غير تأويل (أي من غير صرف النص عن ظاهره) ، ومن غير تشبيه (أي لا نشبه غضب الله تعالى بغضب المخلوق) ، لأن الله تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

(٩٥١) أي نفسي هي التي تستحق أن يُشفع لها .

(٩٥٢) المصراعان : جانبا الباب . وهجر : مدينة عظيمة وهي قاعدة بلاد البحرين ، وقال بعضهم : هي قرية من قرى المدينة . وبصري مدينة معروفة بالعراق .

(٩٥٣) رواه البخاري في «التفسير» (٤٧١٢) ، ومسلم في «الإيمان» (٤٧٢) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٩٥٤) **حسن** : رواه أحمد (٢/ ٤٤١ و ٤٤٤ و ٥٢٨) والترمذي (٣١٣٧) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٥ ـــ ١٤٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٧٢) ، وفي «أخبار أصبهان» ، (٢/ ٣٦٨) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٨١ ـــ ٢٧٢) ، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٠٥) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٠٩٦).

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسـول الله ﷺ : **« إن الشـمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصـف الأذن ، فبينما هم كذلك اسـتغاثوا بآدم ثم بموســى ثم بمحمد ﷺ ، فيشــفع ليُقضــى بين الخلق ، فيمشــي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله** مقامًا **محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم»**(٩٥٥) .

***

قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ: « قوله (بحلقة الباب) أي باب الجنة ، أو هو مجاز عن القرب إلى الله تعالى ، والمقام المحمود هى الشفاعة العظمى التي اختص بها، وهي إراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم ، والمراد بأهل الجمع أهل الحشر ؛ لأنه يومٌ يجمع فيه الناس كلهم » (٩٥٦) .

وعن كعب بن مالك ﷺ ، أن رســول الله ﷺ قال : **«يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل (٩٥٧) ، ويكســوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود »** (٩٥٨) .

وعن ابن عمر ﷺ قال : سمعت ر سول الله ﷺ يقول : **«إن الناس يـ صيرون يوم القيامة جثا (٩٥٩) ، كل أمة تتبع نبيها ، يقول : يا فلان ا شفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إليَّ فذلك المقام المحمود»** (٩٦٠).

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : «يُجْمَعُ الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم المنادي ، حفاة عراة كما خلقوا ، سكوتًا لا يتكلم نفس إلا بإذنه ، قال : فينادي : يا محمد ، فيقول: لبيك وســعديك والخير في يديك ، والشــر ليس إليك ، المهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، ســبحان رب البيت ، فذاك المقام المحمود الذي قال الله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] (٩٦١) .

وقال ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ أي افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم » (٩٦٢) .

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبدًا إلا للرسول ﷺ ، وهي أعظم الشفاعات ؛ لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم »(٩٦٣).

---

(٩٥٥) رواه البخاري في «الزكاة» (١٤٧٥) باب من سأل الناس تكثرًا .

(٩٥٦) «فتح الباري» (٤/ ١٩٦٣) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(٩٥٧) التل : الكومة من الرمل .

(٩٥٨) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٤٥٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٤٢) وفي «مسند الشاميين» (١٧٨٥) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٦ ـ ١٤٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد » (٢٠٩٣) وابن حبان (٦٤٧٩) والحاكم (٢/ ٣٦٣) وصححه ووافقه الذهبي .

(٩٥٩) جثا : جمع جثوة ، وهو الذي يجلس على ركبتيه .

(٩٦٠) **حسن** : رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٥) ، ورواه البخاري في «التفسير» (٤٧١٨) موقوفًا على ابن عمر ﷺ .

(٩٦١) **صحيح** : رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٤) ، والطيالسي في مسنده (٢/ ٢١) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٤) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٨) وابن منده في «الإيمان» (٩٣٠) ، والحاكم (٢/ ٣٦٣) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٩٦٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٥) .

(٩٦٣) «شرح العقيدة الواسطية» (٣٣٦ ـ ٣٣٧) ، ط دار الغد الجديد بالمنصورة .

وقوله ﷺ في الحديث : «فأرفع رأسي فأقول : يا رب أمتي أمتي » يوهم أن هذه الشفاعة خاصة بأمته ﷺ فقط . وقد أجاب القاضي عياض ـ رحمه الله ـ عن هذا الإشكال فقال : «جاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله : **« أمتي أمتي»** ، وقد جاء في حديث حذيفة في هذا الحديث نفسه قال : «فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث [٩٦٤] .

وبهذا يتصل الحديث ؛ لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد ، ثم بعد ذلك حلّت الشفاعة في أمته ﷺ وفي المذنبين ، وحلّت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء في الأحاديث الأخر » [٩٦٥] .

وقد بيَّن هذا الحديث عظيم قدر الرسول ﷺ عند ربه ، وتشريفه له أمام هذا الجمع .

وقد علَّق القاضي عياض ــ رحمه الله ــ على اعتذار الأنبياء عن الشفاعة فقال : «هذا يقولونه تواضعًا وإكبارًا لما يسألونه . قال : وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره ، وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى انتهى الأمر إلى صاحبه، قال: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد ﷺقال: وأما مبادرة النبي ﷺ لذلك وإجابته لدعوتهم فلتحققه ﷺ أن هذه الكرامة والمقام له ﷺ خاصة .

قال النووي : وفيه ــ أي الحديث ــ تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة ، فإن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الإقدام عليه غيره ﷺ وعليهم أجمعين ، والله أعلم » [٩٦٦] .

■ تنبيه حول عصمة الأنبياء ■

من عقيدة أهل السنة والجماعة التي أجمع عليها السلف والخلف أن الأنبياء والرسل معصومون من كبائر الذنوب . وأما الصغائر فقد ذهب كثير منهم إلى عدم عصمتهم منها [٩٦٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « إن القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى أنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»[٩٦٨]

وقال ـ رحمه الله ـ : «وعامة الجمهور الذين يجوِّزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها ، فلا يصدر عنهم ما يضرهم ، كما جاء في الأثر : كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة ، والله ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] [٩٦٩] وأما ما جاء في حديث الشفاعة من ارتكاب بعض الأنبياء لذنوب يوحى ظاهرها أنها تنافي عصمتهم ، فقد أجاب أهل العلم على ذلك .

---

(٩٦٤) هذا الحديث رواه مسلم في «الإيمان» (٣٢٩) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . وقال النووي ـ رحمه الله ـ : «جنبتا الصراط : معناهما جانباه ، وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما وكبير وقعهما فتصوران شخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى . قال صاحب التحرير : في الكلام اختصار والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما » .

(٩٦٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٥٥) بتحقيقي ، ط دار الغد الجديد بالمنصورة .

(٩٦٦) المصدر السابق (٣/ ٥٤) .

(٩٦٧) وذهب بعض أهل السنة إلى عصمتهم أيضًا من الصغائر ، وهو قول القاضي عياض في «الشفا» والنووي في شرح مسلم ، وابن حزم في «الفصل» (٤/ ٢) .

(٩٦٨) «مجموع الفتاوي» (٤/ ٣١٩) .

(٩٦٩) «منهاج السنة النبوية » (١/ ٤٧٢) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

أما بالنسبة لآدم عليه وقوله : «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته » ، وقد وردت هذه المعصية في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٥ ـ ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١١٥ ـ ١٢٢] .

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المعصية التي صدرت من آدم عليه السلام هي من صغائر الذنوب .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «قوله تعالى ... ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢١] هو ونحوه من الآيات مستند من قال من أهل الأصول بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر التي تتعلق بالتبليغ ، لأنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة إلى الله حتى تصير كأنها لم تكن » [٩٧٠] .

وهذا ما رجحه الألوسي [٩٧١] وغيره .

وذهب القرطبي ـــ رحمه الله ـــ إلى أن هذه المعصية كانت قبل النبوة ، قال: «ما أضيف من هذا ـــ أي الذنوب ـــ إلى الأنبياء فإما أن تكون صغائر ، أو ترك الأولى، أو قبل النبوة ، قلت : وهذا حسن ، قال الإمام أبو بكر بن فورك ـ رحمه الله تعالى : كان هذا من آدم قبل النبوة ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ، فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان ، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم الذنوب وجهًا واحدًا ؛ لأن قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم ، فإذا بعثهم الله تعالى إلى خلقه وكانوا مأمونين في الأداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب ، وهذا نفيس ، والله أعلم » [٩٧٢] .

وقد ذهب الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى أن آدم ـ عليه السلام ـ كان قد تأوَّل أمر الله له بعدم الأكل من الشجرة على الندب وليس على الإيجاب ولا على التحريم ، وأنه لم يأكل من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهي الله عز وجل لهما عن الأكل من الشجرة ليس على التحريم ، وأن آدم قد نسي أن إبليس عدوٌّ له فأحسن الظن بيمينه .

قال ـ رحمه الله ـ: «فما احتجوا به [٩٧٣] قول الله عز وجل : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ، قالوا : فقربها آدم فكان من الظالمين ، وقد عصى وغوى . وقال تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ﴾ والمتاب لا يكون إلا من ذنب ، وقال تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ وإزلال الشيطان معصية .

قال ـ رحمه الله ـ: وهذا كله بخلاف ما ظنوا ، أما قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فقد علمنا أن كل خلاف لأمر آمر فصورته صورة المعصية ، فيسمى معصية لذلك وغواية ، إلا أنه منه ما يكون عن عمدٍ وذكر فهذه معصية على الحقيقة ؛ لأن فاعلها قاصد إلى المعصية وهو يدري أنها معصية ،

---

(٩٧٠) «أضواء البيان» (٤/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨) .

(٩٧١) انظر «روح المعاني» (٨/ ٢٧٤) ط دار الفكر ، بيروت .

(٩٧٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٥٣٤) بتحقيقي ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٩٧٣) أي القائلين: بجواز ارتكاب الأنبياء لكبائر الذنوب !!!

وهذا هو الذي نزَّهنا عنه الأنبياء عليهم السلام ، ومنه ما يكون عن قصد إلى خلاف ما أمَر به وهو يتأول في ذلك الخير ، ولا يدري أنه عاص بذلك ، بل يظن أنه مطيع لله تعالى ، أو أن ذلك مباح له ، لأنه يتأول الأمر الوارد عنه ليس على معنى الإيجاب ولا على التحريم لكن إما على الندب إن كان بلفظ الأمر أو الكراهية إن كان بلفظ النهي ..

وهذا هو الذي قد يقع من الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به إذا وقع منهم ، وعلى هذا السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله تعالى : ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٣٥] ، أي ظالمين لأنفسكما ، والظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه ، وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذي يقع بغير قصد وليس معصية ، لا الظلم الذي هو القصد إلى المعصية وهو يدري أنها معصية ، وبرهان هذا ما قد نصّ الله تعالى من أن آدم ـ عليه السلام ـ لم يأكل من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى الله عز وجل لهما عن أكل الشجرة ليس على التحريم ، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً ، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الأبد ، قال تعالى ـ حاكيًا عن إبليس أنه قال لهما : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٩٧٤] [الأعراف : ٢٠ ـ ٢١] ، وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه :١١٥] ، فلما نسي آدم ـ عليه السلام ـ عَهْدُ الله إليه في أن إبليس عدو له أحسن الظن بيمينه .

قال ابن حزم : ولا سلامة ولا براءة من القصد إلى المعصية ولا أبعد من الجراءة على الذنوب أعظم من حال من ظن أن أحدًا لا يحلف حانثًا ، وهكذا فعل آدم عليه السلام ، فإنه إنما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيًا بنص القرآن ، ومتأولاً وقاصدًا إلى الخير ، لأنه قدَّر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى ، فيكون مَلَكًا مقربًا ، أو خالدًا فيما هو فيه أبدًا ، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله عز وجل به ، وكان الواجب أن يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره ، لكن تأول وأراد الخير فلم يصبه ، ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورًا ، ولكن آدم لما فعله وأُخذ به بإخراجه من الجنة إلى نكر الدنيا ، كان بذلك ظالمًا لنفسه ، وقد سمى الله قاتل الخطأ قاتلاً ، كما سمى العامد ، والمخطئ لم يتعمد معصية ، وجعل في الخطأ في ذلك كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنبًا »[٩٧٥] .

وقال القاسمي ـ رحمه الله ـ : «قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وجماعة من المتأخرين : الصواب أن آدم ـ عليه السلام ـ لمّا قاسمه عدو الله أنه ناصح وأكَّد كلامه بأنواع من التأكيدات ، أحدها : القسم ، والثاني : الإتيان بجملة اسمية لا فعلية ، والثالث : تصديرها بأداة التأكيد ، والرابع : الإتيان بلام التأكيد في الخبر ، الخامس : الإتيان به اسم فاعل لا فعلاً دالاً على الحدث ، السادس : تقديم المعمول على القليل فيه ، ولم يظن آدم أن أحدًا يحلف بالله كاذبًا يمين غموس ، فظن صدقه ، وأنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة ، ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح ، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة اليمين في أثناء ذلك باعتذار أو توبة ، كما نجد هذا التأويل في نفس كل مؤمن أقدم على معصية .

وقال ابن مفلح : فآدم عليه السلام لم يخرج من الجنة إلا بالتأويل ، فالتأويل لنص الله أخرجه ، وإلا فهو لم يقصد المعصية والمخالفة وأن يكون ظالمًا مستحقًا للشقاء »[٩٧٦] .

وأما اعتذار نوح ـ عليه السلام ـ عن الشفاعة بقوله : «قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي».وهذه الدعوة هي في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح : ٢٦ ـ ٢٧] ، ودعوة نوح عليه السلام على قومه

---

(٩٧٤) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «وقوله ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أي حلف لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ فإني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان .. أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله . وقال قتادة في الآية حلف بالله أني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما ، وكان بعض أهل العلم يقول : من خدعنا بالله انخدعنا له » . اهـ تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

(٩٧٥) «الفصل في الملل والنحل » (٤/ ٣ ـ ٤) ط مكتبة السلام العالمية .

(٩٧٦) «محاسن التأويل» (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩) .

ليس فيها مخالفة لأنه ما دعا بدعوته على قومه إلا بعد أن مكث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وهم لا يستجيبون له، فطلب من الله ـ عز وجل ـ أن يستأصلهم حتى لا ينتشر الكفر في الأرض بسببهم .

ولكن ذكر البعض أن نوحًا ـ عليه السلام ـ قد عصى ربه ، وذلك عندما طلب من ربه سبحانه أن ينجي ابنه قائلاً : ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود : ٤٥] ، فأجابه الله سبحانه بقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] .

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: « وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن نوحًا عليه السلام تأوَّل وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله ، فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ، وهذا لو فعله أحد لكان مأجورًا ، ولم يسأل نوح عليه السلام تخليص من أيقن أنه ليس من أهله ، فقُرِّع على ذلك ، ونُهي عن أن يكون من الجاهلين ، فتندَّم ـ عليه السلام ـ من ذلك وفزع ، وليس هاهنا عمد للمعصية ألبتة» [٩٧٧] .

وأما كذبات إبراهيم ـ عليه السلام ـ التي اعتذر بها عن الشفاعة ، فقد بينها الرسول ﷺ في قوله : « **لم يكذب إبراهيم ـ عليه السلام إلا ثلاث كذبات ، اثنتين منهن في ذات الله ، قوله ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ، وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، وقوله عن امرأته ساره إنها أختي** » [متفق عليه] .

وقد أجاب أهل العلم عن هذه الكذبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «أما قوله ﷺ : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات .. » فتلك كانت معاريض [٩٧٨] ، فكان مأمورًا بها ، وكانت منه طاعة لله، والمعاريض قد تسمى كذبًا لكونه أفهم خلاف ما في نفسه » [٩٧٩] .

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قال علماؤنا : الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، والأظهر أن قول إبراهيم فيما أخبر عنه عليه السلام كان من المعاريض ، وإن كانت معاريض حسنات وحججًا في الخلق ودلالات ، لكنها أثرت في الرتبة وخفضت عن محمدٍ المنزلة ، واستحيا منها قائلها ، على ما ورد في حديث الشفاعة، فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم إجلالاً لله» [٩٨٠] .

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «إن كذبات إبراهيم الثلاث كانت من باب المعاريض والتورية ، وأما إطلاق الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذبًا لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا محضًا ، وقد سماهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ كذبات تواضعًا منه لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع » [٩٨١] .

وذهب بعض أهل العلم إلى حمل الكذب في الحديث على حقيقته وأن إبراهيم عليه السلام فعل ذلك من باب تحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما .

وقال ابن عقيل ـ رحمه الله ـ: «دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم عليه السلام ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ؟ ، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم ـ عليه السلام ـ يعني إطلاق الكذب على ذلك إلا في حالة شدة الخوف لعلو مقامه ، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما ، وأما تسمية إياها كذبات فلا يريد أنها تُذم ، فإن الكذب وإن كان قبيحًا مخلاً لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها » [٩٨٢] .

---

(٩٧٧) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٥) وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧) .
(٩٧٨) في «اللسان » : «المعاريض» ، التورية بالشيء عن الشيء .
(٩٧٩) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) .
(٩٨٠) تفسير القرطبي (١١/ ٣٠١) ط الريان .
(٩٨١) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٧٢) .
(٩٨٢) فتح الباري (٦/ ٤٥١) ط الريان .

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله ﷺ لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ إلا ثلاث كذبات: «ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وواحدة في شأن سارة وهي قوله: إن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام»[٩٨٣].

قال المازري: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى، فالأنبياء معصومون منه، سواء كثيره وقليله، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ، ويُعدُّ من الصفات كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف. قال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم، سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منها أم لا، و سواء قل الكذب أم كثر، لأن منصب النبوة يرتفع عنه، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم. وأما قوله ﷺ: (ثنتين في ذات الله تعالى وواحدة في شأن سارة) فمعناه أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع، وأما نفس الأمر فليست كذبًا مذمومًا لوجهين:

أحدهما: أنه ورّى بها، فقال في سارة: أختي في الإسلام، وهو صحيح في باطن الأمر.

والوجه الثاني: أنه لو كان كذبًا لا تورية فيه لكان جائزًا في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانًا مختفيًا ليقتله، أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبًا، وسأل عن ذلك، وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز، بل واجب لكونه في دفع الظلم، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم.

قال المازري: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات وأخرجها عن كونها كذبًا، قال: ولا معنى للامتناع عن إطلاق لفظ أطلقه رسول الله ﷺ، قلت: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح لا مانع منه.

قال العلماء: والواحدة التي في شأن سارة هي أيضًا في ذات الله تعالى، لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة، وقد جاء ذلك مفسرًا في غير مسلم، فقال: «ما فيها كذبة إلا يماحل بها عن الإسلام»، أي يجادل ويدافع.

قالوا: وإنما خصَّ الاثنين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعًا له وحظًا مع كونها في ذات الله تعالى. وذكروا في قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سأسقم، لأن الإنسان عرضة للأسقام، وأراد بذلك الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم، وقيل: سقيم بما قدَّر علي من الموت. وقيل: كانت تأخذه الحمة في ذلك الوقت. وأما قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ فقال ابن قتيبة وطائفة: جعل النطق شرطًا لفعل كبيرهم، أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقال الكسائي: يوقف عند قوله: بل فعله أي فعله فاعله، فأضمر، ثم يبتدئ فيقول: كبيرهم هذا، فاسألوهم عن ذلك الفاعل، وذهب الأكثرون إلى أنها على ظاهرها، وجوابها ما سبق، والله أعلم»[٩٨٤].

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في معنى قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ـ أي قال إبراهيم مقيمًا للحجة عليهم مبكتًا لهم: بل فعله كبيرهم هذا مشيرًا إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ أي إذ كانوا ممن يمكنه النطق ويقدر على الكلام ويفهم ما يقال له، فيجيب عنه بما يطابقه، أراد عليه السلام أن يبين لهم أن مَنْ لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحقٍ للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه إله، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة، ولأنهم إذا قالوا: إنهم لا

---

(٩٨٣) الذي حمل لإبراهيم ـــ عليه السلام ـــ على أن يقول هذا عن سارة هو أن إبراهيم عليه السلام أراد الهجرة إلى مصر وأخذ معه زوجته سارة، وكانت سارة جميلة وحسنة المنظر، وكان فرعون مصر في ذلك الوقت لا= =يعلم بامرأة جميلة في أرضه إلا وأخذها لنفسه وإن كان لها زوج قتله، فأراد إبراهيم عليه السلام أن ينجو من قتل هذا الطاغية له، فقال لسارة ما قال، وبهذا نجى الله تعالى إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ وسارة من هذا الطاغية. وانظر صحيح البخاري حديث رقم (٣٣٥٨).

(٩٨٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١١٠ ـ ١١١) بتحقيقي، ط دار الغد الجديد بالمنصورة، وانظر «الفصل» لابن حزم (٤/ ٥).

ينطقون، قال لهم : فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصـــر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه ؟ فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق ، فإن ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته » (٩٨٥) .

وأما قول موسى ـ عليه السلام : «إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها » ، فقد كان قتل موسى ـ عليه السلام ـ للقبطي عن طريق الخطأ وكان ذلك قبل النبوة.

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص:١٥ ـ ١٦] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ قيل : لما عرف موسى عليه السلام ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون ، وفشا ذلك منه فأخافوه فخافهم ، فكان لا يدخل مدينة فرعون إلا خائفًا مستخفيًا .

قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ والمعنى ، إذا نظر إليهما الناظر قال : هذا من شيعته ، أي من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي من قوم فرعون : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي طلب نصـــره وغوثه ،وإنما أغاثه لأن نصـــر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم ، وفرض في جميع الشرائع ،﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ قال قتادة : بعصاه، وقال مجاهد : بكفه ، أي دفعه .. ففعل موسى ـــ عليه السلام ـــ ذلك وهو لا يريد قتله، إنما قصـد دفعه فكانت فيه نفســه ، وهو معنى ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ ، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من إغوائه . قال الحســن : لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ في تلك الحال ؛ لأنها كانت حال كف عن القتال ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ خبر بعد خبر ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ندم موسى عليه الســلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس ، فحمله ندمه على الخضـــوع لربه والاســتغفار من ذنبه . قال قتادة : عرف والله المخرج فاســتغفر ، ثم لم يزل ﷺ يعدد ذلك على نفســه مع علمه بأنه قد غُفر له ، حتى إنه في القيامة يقول : «إني قتلت نفسًــا لم أومر بقتلها » ، وإنما عدده على نفسه ذنبًا وقال : ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ ، وكان قتله مع ذلك خطأ ، فإن الوكزة والكزة في الغالب لا تقتل ، وروي مسلم (٩٨٦) ، عن سالم بن عبد الله أنه قال : يا أهل العراق ما أ سألكم عن الـ صغيرة ، وأركبكم للكبيرة ، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت ر سول الله ﷺ يقول : **«إن الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض وإنما قَتَل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل** : ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ﴾ [طه : ٤٠] ، وقد أو ضح مو سى ـــ عليه السلام – أن قتله للقبطي كان قبل النبوة وليس بعدها، كما في قو له تعالى في كلام فرعون لموســى : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء : ١٩ ـ ٢٠] (٩٨٧) .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «الفعلة المذكورة هي قتله نفسًا منهم.

وأظهر الأقوال عندي في معنى قوله ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أن المراد به كفر النعمة ، يعني أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيرًا ، وإحساننا إليك ، تتقلب في نعمتنا فكفرتنعمتنا ، وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفسًا منا ، وباقي الأقوال تركناه لأن هذا أظهرها عندنا .

قوله تعالى : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي قال موســى مجيبًا لفرعون : ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا ﴾ أي إذ فعلتها وأنا في ذلك الحين من الضــالين ، أي قبل أن يُوحى الله ويبعثني رسولاً ، وهذا هو التحقيق إن شاء الله في معنى الآية .

---

(٩٨٥) فتح القدير (٣/ ٥٦٦) ط دار الوفاء بالمنصورة .
(٩٨٦) في «الفتن وأشراط الساعة » (٢٩٠٥) ، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان .
(٩٨٧) تفسير القرطبي (٧/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) باختصار يسير ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

وقول من قال من أهل العلم : وأنا من الضالين ، أي من الجاهلين ، راجعٌ إلى ما ذكرنا ، لأنه بالنسبة إلى ما علمه الله من الوحي يعتبر قبله جاهلاً : أي غير عالم بما أوحي الله إليه » (٩٨٨) .

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: «قول موسى ـ عليه السلام ـ ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء : ٢٠]، قول صحيح ، وهو حاله قبل النبوة ، فإنه كان ضالاً عمّا اهتدى له بعد النبوة ، وهو ضلال الغيب عن العلم ، كما تقول : أضللت بعيري ، لا ضلال القصد إلا الإثم ، وهكذا قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧] أي ضالاً عن المعرفة » (٩٨٩) .

***

■ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته ■

أجمع أهل السنة والجماعة من السلف والخلف على أن الرسول ﷺ يشفع عند ربه لأهل الكبائر من أمته.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني (٩٩٠) ــ رحمه الله ــ: «يؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ، ومرتكبي الكبائر ، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ ، ثم ساق بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » (٩٩١) ،

قال ابن خزيمة ــ رحمه الله ــ: «قوله ﷺ : «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، فإنما أراد شفاعتي بعد هذه الشفاعة التي عمّت جميع المسلمين ، وهي شفاعة لمن أدخل النار من المؤمنين بذنوب وخطايا قد ارتكبوها لم يغفرها الله لهم في الدنيا فيخرجوا من النار بشفاعته .

فمعنى قوله ﷺ : «**شفاعتي لأهل الكبائر** » ، أي من ارتكب من الذنوب الكبائر ، فأدخلوا النار بالكبائر » (٩٩٢) .

وقد أنكرت الخوارج والمعتزلة هذا النوع من الشـفاعة !! ، لأن مذهبهم أن مرتكبي الكبائر مخلدون في النار ، لا يخرجون منها لا بشـفاعة ولا غيرها !!

ومذهبهم هذا متفرع عن مفهومهم للإيمان الذي يغاير مفهومه عند أهل السنة والجماعة.

فالإيمان عند أهل السـنة والجماعة حقيقة مركبة من قول وعمل ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصـي . فمرتكب الكبائر عندهم مؤمن ناقص الإيمان من أجل ذنوبه ، أو يعبرون عنه بقولهم : إنه مؤمن بإيمانه ، فاسق بمعصيته .

---

(٩٨٨) أضواء البيان (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) باختصار يسير .

(٩٨٩) الفصل (٤/ ١٢) .

(٩٩٠) في «عقيدة السلف أصحاب الحديث » (ص٢٥٨) ط دار العاصمة بالرياض .

(٩٩١) **صـحيح** : رواه أحمد (٣/ ٢١٣) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) ، والطيالسـي (٢٠٢٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٧٠ ـ ٢٧١) ، والطبراني في «المعجم الصـغير » (٤٣٨ و ١١٠١) والبزار (٣٤٦٩) والآجري في «الشـريعة » (٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦١) وابن حبان (٦٤٦٨) والحاكم (١/ ٦٩ و ٣/ ٢١٣) . وأخرجه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٧١) والآجري في «الشريعة» (٤٣٦ و ٤٣٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) وابن حبان (٦٤٦٧) والحاكم (١/ ٦٩) عن جابر بن عبد الله ﷺ .

(٩٩٢) «التوحيد» (ص٢٧٢) ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

وأما الإيمان عند الخوارج والمعتزلة فهو حقيقة كلية غير قابلة للتبعيض ، أي أن الإيمان عندهم إما أن يقوم كله أو يسقط كله ، وعندهم أن ذهاب بعض الإيمان يذهب الإيمان كله ، فيرون أن من زنى كمن أشرك الله !! ، ومن ثم قالوا : إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان بالكلية ويسقط في الكفر !!! ، ومن هنا جاء نفيهم لهذه الشفاعة !!

و قد أجمع أهل السنة على بطلان مذهبهم [٩٩٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «ينبغي أن يُعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحدٌ من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحدٌ ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، واتفقوا أيضًا على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته ، وفي الصحيحين عنه أنه قال : **«لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »** [٩٩٤] .

وهذه الأحاديث مذكورة في مواضعها ...

وأما قول القائل : إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله ، فهذا ممنوع ، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء ، ثم قالت الخوارج والمعتزلة : هو مجموع ما أمر الله به ورسول وهو الإيمان المطلق [٩٩٥] ، كما قاله أهل الحديث ، قالوا [٩٩٦]: فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار ، وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة منه إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئًا واحدًا يستوي فيه البر والفاجر !! ، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، كقوله ﷺ : «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان** »[٩٩٧] ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل ، وجمهورهم يقولون يزيد وينقص » [٩٩٨] .

وقال ـــ رحمه الله ـــ : «قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد»: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانًا ، قالوا : إنما الإيمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به ، إلى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم : مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم فقالوا : الإيمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار والاعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة ، قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل من فريضة ونافلة فهو من الإيمان ، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعا صي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مـ ستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقـ صي الإيمان بارتكابهم الكبائر ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »** [٩٩٩] الحديث ، يريد مستكمل الإيمان [١٠٠٠] ، ولم يرد نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع على

---

(٩٩٣) وقد استدلوا ببعض الشبهات لتأييد مذهبهم . و قمت بالرد عليها في كتابي «مفهوم الإيمان عند السلف»

(٩٩٤) رواه البخاري (٧٤٧٤) ، ومسلم في «الإيمان» (١٩٨) .

(٩٩٥) الإيمان المطلق : هو الإيمان الواجب أو الإيمان المفصل أو الإيمان الكامل بالواجبات ، وهو القدر الذي إذا ما أتى به المرء على وجهه تصديقًا والتزامًا وعملاً ، بمعنى أن يأتي بكل ما أُمر به من واجبات وينتهي عن كل ما نهى عنه من محرمات ، وهذا الإيمان ينجي صاحبه من دخول النار ابتداءً .

(٩٩٦) أي الخوارج والمعتزلة .

(٩٩٧) رواه مسلم في «الإيمان» (٣٢٥ و ٣٢٦) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٩٩٨) «الإيمان» (ص١٤٦ ـ ١٤٧) ط مؤسسة المختار بالقاهرة .

(٩٩٩) رواه البخاري (٥٥٧٨) ، ومسلم في «الإيمان» (٥٧) .

(١٠٠٠) و علَّق الشيخ ابن عثيمين ـــ رحمه الله ـــ على الحديث بقوله : «هنا نفى عنه الإيمان الكامل حين زناه ، أما بعد أن يفرغ من الزنى فقد يؤمن ، فقد يلحقه الخوف من الله بعد أن يتم الزنى فيتوب ، لكن حين إقدامه على الزنى لو كان عنده إيمان كامل ما أقدم عليه ، بل إيمانه ضعيف جدًا حين أقدم عليه » . اهـ «شرح العقيدة الواسطية » (ص٣٧١) .

توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا إلى القبلة وانتحلوا دعوة الإسلام من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال » (١٠٠١) .

وقال ـ رحمه الله ـ في «العقيدة الواسطية» : «من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللســان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصــية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصــي والكبائر كما يفعله الخوارج » اهـ .

وقد علق الـ شيخ ابن عثيمين على قوله : «وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة .. إلخ » ، فقال ــــ رحمه الله – : «أهل القبلة هم المســلمون ، وإن كانوا عصاة ، لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة ، فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر .. فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان ، فأصل الإيمان موجود عنده (١٠٠٢) ، ولكن كماله مفقود»(١٠٠٣) .

وقال **أبو العز الحنفي – رحمه الله** –: «أهل الســنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج ، إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة لكان مرتدًا يقتل على كل حال ، ولا يُقبل عفو ولى القصــاص ، ولا تجري الحدود في الزنا والســرقة وشــرب الخمر ، وهذا القول معلومٌ بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإ سلام ، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإ سلام ، ولا يدخل في الكفر ، ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضًا ، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين (١٠٠٤)، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ إلى أن قال : ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا ، وجعله أخًا لوليّ القصـــاص، والمراد أخوَّةُ الدين بلا ريب . وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ إلى قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [الحجرات : ٩ ـ ١٠] ، ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل ، بل يقام عليه الحد فدّل على أنه ليس بمرتد » (١٠٠٥) .

ومن أجوبة أهل السنة أيضًا على الخوارج والمعتزلة أن الله تعالى جعل أصحاب الكبائر في مشيئته يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذَّبهم ، ولو كانوا كافرين لم يدخلوا تحت مشيئته ، كما في حديث عبادة بن الصامت ﷺ ، قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال : «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به فهو كفارةٌ له ، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه**» (١٠٠٦) .

قال النووي – رحمه الله –: «في هذا الحديث فوائد .. منها الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها ، بل هو بمشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، خلافًا للخوارج والمعتزلة ، فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي ، والمعتزلة يقولون : لا يكفر ولكن يخلد في النار » (١٠٠٧) .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله : «قال المازني : فيه ـ أي الحديث ـ ردٌ على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ، وردٌ على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة ، لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل لابد أن يعذبه » (١٠٠٨) .

(١٠٠١) «الإيمان» (ص٢٠٧ ـ ٢٠٨) .
(١٠٠٢) أصل الإيمان : أي الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر .
(١٠٠٣) «شرح العقيدة الواسطية » (ص٣٦٨) ط دار الغد الجديد بالمنصورة .
(١٠٠٤) أي من جملة المؤمنين وليس المراد أنه من المؤمنين كاملي الإيمان .
(١٠٠٥) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص٣٢١ ـــ ٣٢٢) ط المكتب الإ سلامي . وانظر «الفصل» لابن حزم (٣/ ١٣١ ـــ ١٣٢) و « شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص٣٦٩) .
(١٠٠٦) رواه البخاري في «الإيمان» (١٨) وفي «الحدود» (٦٧٨٤) باب الحدود كفارة . ومسلم في «الحدود»(١٧٠٩) باب الحدود كفارات .
(١٠٠٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ١٩٨) .
(١٠٠٨) «فتح الباري» (١/ ٩٤) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

ومن أجوبة أهل السنة كذلك على الخوارج والمعتزلة أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تصرح بخروج عصاة المؤمنين من النار إما بعفو الله تعالى أو بالشفاعة .

قال النووي ـ رحمه الله : «قال القاضي عياض ـ رحمه الله : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه : ١٠٩] ، وقوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وأمثالهما، وبخبر الصادق ﷺ ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها![١٠٠٩] ، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وبقوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر : ١٨] ، وهذه الآيات في الكفار [١٠١٠] ، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب [١٠١١] وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار ، لكن الشفاعة خمسة أقسام أولها مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب ...

الثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهذه وردت أيضًا لنبينا ﷺ وقد ذكرها مسلم ـ رحمه الله .

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين ، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله ، كما جاء في الحديث : « **لا يبقى فيها إلا الكافرون**» .

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضًا شفاعة الحشر » [١٠١٢] .

وقال ابن حجر ـــ رحمه الله : «قال ابن بطال : أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من ادخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وغير ذلك من الآيات . وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار ، وجاءت الأحاديث بإثبات الشفاعة المحمدية متواترة » [١٠١٣] .

وعلّق أيضًا على الحديث الذي رواه البخاري (٦٥٧٣) فقال: وفيه : « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده ، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود ، فيخرجونهم قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة ، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ... » قال : « فيه أن جماعة من مذنبي هذه

(١٠٠٩) قوله (بعض المعتزلة) لأنه يوجد من المعتزلة من أثبت الشفاعة للمذنبين عندما عجز عن رد أو تأويل الأحاديث التي تثبتها .

(١٠١٠) لأن سياق الآيات يدل على ذلك ، فالآية الأولى جاءت في سياق قوله تعالى عن المشركين : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٣٨ ـ ٤٨] .
=

= **قال ابن كثير ـ رحمه الله** -: «قوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي من كان متصفًا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع ؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً ، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالدًا فيها» . اهـــ تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٧) .

وقال ـــ رحمه الله ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . اهـ تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥) .

(١٠١١) أي كتاب الإيمان من صحيح مسلم ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(١٠١٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٣٧ ـ ٣٨).

(١٠١٣) «فتح الباري » (١٣/ ٧٩٣٩) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

الأمة يعذبون بالنار ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة خلافًا لمن نفى ذلك عن هذه الأمة ، وتأوّل ما ورد بضروب متكلفة ، والنصوص الصريحة متضافرة بثبوت ذلك » [١٠١٤] .

ومن الغرائب أن بعض المعتزلة لم يستطيعوا الصمود أمام النصوص الكثيرة المصرحة بخروج عصاة المؤمنين من النار فا ضطربوا وقالوا قولاً يخالف أصلهم **!!**

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : «قال ابن بطال : سلّم بعض المعتزلة وقوع الشفاعة لكن خصها بصاحب الكبيرة الذي تاب منها وبصاحب الصغيرة الذي مات مصرًّا عليها ، وتعقب أن التائب من الذنب لا يعذب ، وأن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر ، فيلزم قائله أن يخالف أصله » [١٠١٥] .

***

■ شفاعة الرسول ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها ■

هذه الشفاعة تكون بعد عبور أهل الجنة على الصراط ، ووقوفهم على القنطرة للقصاص ، وهو غير القصاص الذي كان في عَرَصات القيامة ، بل هو قصاص أخص ، يطهر الله فيه قلوب أهل الجنة ، وينزع ما فيها من غلٍ ، ثم بعد ذلك يدخلهم الجنة ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة لا يجدونها مفتوحة ، فحينئذ يشفع الرسول ﷺ عند ربه لأهل الجنة أن يدخلوها وقد أشار إلى هذه الشفاعة القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] [١٠١٦] .

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله -: «وهذا يدل أن هناك شيئًا بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب .

وهو صريح فيما رواه مسلم [١٠١٧] عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ...** » وذكر الحديث ، وفيه: «**فيأتون محمدًا ، فيقوم فيؤذن له ..** »الحديث [١٠١٨] .

***

■ شفاعته ﷺ في أهل الجنة لزيادة درجاتهم ■

هذا النوع من الشفاعة يكون بواسطة دعائه ﷺ [١٠١٩] لبعض أهل الجنة أن يرفع الله درجاتهم فوق ما كان يقتضيه عملهم .

فقد دعا النبي ﷺ لأبي سلمة لما مات ، فقال ﷺ : «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه**» [١٠٢٠] .

(١٠١٤) المصدر السابق (١٣/ ٧٩٨١) .

(١٠١٥) المصدر السابق (١٣/ ٧٩٣٩) .

(١٠١٦) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥) .

(١٠١٧) في «الإيمان» (١٩٥) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(١٠١٨) «شرح العقيدة الواسطية» (ص٣٣٧) .

(١٠١٩) والدعاء شفاعة كما في الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ ، قال : «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه » .

(١٠٢٠) رواه مسلم في «الجنائز» (٢٠٩٥) باب في إغماض الميت والدعاء له .

ولما مات أبو عامر الأشعري ﷺ دعا له النبي ﷺ بقوله : «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس** » (١٠٢١) .

***

■ شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب ■

هذا النوع من الشفاعة يكون بواسطة دعائه ﷺ ،فعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**عُرضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رُفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى عليه السلام وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : «**ما الذي تخوضون فيه** ؟» فأخبروه ، فقال : «**هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** »، فقام عكَّاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : «**أنت منهم** »، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال :« **سبقك بها عكاشة** » (١٠٢٢) فقد دعا النبي ﷺ لعكاشة بن محصن ﷺ أن يدخله الله الجنة بغير حساب ولا عذاب .

قال النووي – رحمه الله –: «أما قوله ﷺ للرجل الثاني : « **سبقك بها عكاشة** » فقال القاضي عياض : قيل : إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة. وقيل : بل كان منافقًا فأجابه النبي ﷺ بكلام محتمل ، ولم ير ﷺ التصريح له بأنك لست منهم لما كان عليه ﷺ من حسن العشرة » (١٠٢٣) ،

وقال ابن حجر – رحمه الله –: «صحح النووي أن النبي ﷺ علم بالوحي أنه يجاب في عكاشة ولم يقع ذلك في حق الآخر . وقال السهيلي : الذي عندي في هذا أنها كانت ساعة إجابة علمها ﷺ واتفق أن الرجل قال بعدما انقضت ، ويبينه ما وقع في حديث أبي سعيد : «ثم جلسوا ساعة يتحدثون» وفي رواية ابن إسحاق بعد قوله : «**سبقك بها عكاشة ، وبردت الدعوة** » أي انقضى وقتها(١٠٢٤) ».

وخبر دخول السبعين ألف من هذه الأمة بغير حساب ولا عذاب موجود في التوراة الحقيقية كعلامة على فضل رسول الله ﷺ وفضل أمته .

عن الفلتان بن عاصم ، أن خاله قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ شخَّص بصره إلى رجل، فإذا يهودي عليه قميص و سراويل ونعلان . قال : فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول : يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «**أتقرأ التوراة؟** » قال: نعم ، قال : « **أتقرأ الإنجيل؟**» قال: نعم ، قال: «**القرآن؟**» قال : لا ولو تشاء قرأته فقال النبي ﷺ : «**فبم تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبيًا؟** » قال: إنا نجد نعتك ومخرجك ، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفنا أنك لست به!! ، قال رسول الله ﷺ : «**ولم يا يهودي ؟** » قال : إنا نجده مكتوبًا : يدخل من أمته الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفرًا يسيرًا ، فقال رسول الله ﷺ : «**إن أمتي لأكثر من سبعين ألفًا** » (١٠٢٥) .

(١٠٢١) رواه البخاري في «المغازي» (٤٣٢٣) باب غزاة أوطاس ، ومسلم في «الفضائل» (٦٢٨٩) باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ﷺ .

(١٠٢٢) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٥٤١) باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ومسلم في «الإيمان» (٥١٧) باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب . واللفظ له .

(١٠٢٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٧٨ ـ ٧٩) .

(١٠٢٤) «فتح الباري» (١٣/ ٧٩٢٠) .

(١٠٢٥) **صحيح** : رواه ابن حبان (٢١٠٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٣) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤١٥) ط دار الفكر ، بيروت .

■ شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه ■

بعد موت أبوي الرسـول ﷺ تكفل جده عبد المطلب برعايته وتربيته ، وبعد موت عبد المطلب قام على رعاية الرسـول ﷺ وتربيته عمه أبو طالب ، وقد عاش أبو طالب حتى أدرك بعثة الرسول ﷺ ، ودعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام ولكنه أبى أن يدخل في دين الإسلام وتمسك بملة عبد المطلب حتى مات عليها .

ومع ذلك فقد كان أبو طالب يدافع عن النبي ﷺ ويحميه من أذى المشـركين ، وكان يعتقد أن الرسـول ﷺ صـادق فيما يقول . وقال مخاطبًا قريشًا :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول[1026]

حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل[1027]

فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير باطل

وقال مخاطبًا الرسول ﷺ ويقول له :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقر بذاك منك عيونا

وهذا المعروف الذي صنعه أبو طالب ، قابله النبيﷺ بالشفاعة له عند ربه حتى يخفف عنه العذاب يوم القيامة .

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رسول الله ﷺ ذُكر عند عمه أبو طالب، فقال: [1028] . **«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح [1029] من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه »**[1030]

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال : **«نعم هو ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**[1031] .

وعن ابن عباس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **«أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه »** [1032] .

(١٠٢٦) السورة : الشدة والبطش .

(١٠٢٧) حدبت : عطفت . والذرا : جمع ذروة ، وهي أعلى ظهر البعير . والكلاكل : جمع كلكل ، وهو معظم الصدر .

(١٠٢٨) رواه البخاري في «مناقب الأنصـار» (٣٨٨٥) باب قصـة أبي طالب . ومسـلم في «الإيمان» (٢١٠) باب شـفاعة النبي ﷺ ؛ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

(١٠٢٩) الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض إلى الكعبين ، واستعير من النار .

(١٠٣٠) رواه البخاري في « مناقب الأنصـار » (٣٨٨٥) باب قصـة أبي طالب . ومسـلم في « الإيمان » (٢١٠) باب شـفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(١٠٣١) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٥٧٢) باب صفة الجنة والنار .ومسلم في «الإيمان» (٢٠٩) باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

(١٠٣٢) رواه مسلم في «الإيمان» (٢١٢) باب أهون أهل النار عذابًا .

وهذه الشـفاعة من خصـائص النبي ﷺ ، إذ لا يشـفع أحدٌ في كافر غير النبي ﷺ، ولا تتعارض هذه الشـافعة مع قول الله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] ، لأن شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب من أجل تخفيف العذاب عنه ، وليست من أجل إخراجه من النار .

قال ابن حجر ـــ رحمه الله – : «استشكل قوله ﷺ : **«تنفعه شفاعتي»** ، بقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] ، وأجيب بأنه خص ، ولذلك عدوه في خصـائص النبي ﷺ ، وقيل معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث ، والمراد بها في الآية الإخراج من النار وفي الحديث المنفعة بالتخفيف » [١٠٣٣] .



(١٠٣٣) فتح الباري (١٣/ ٧٩٤٣) .

حوض النبي ﷺ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن — وفي رواية وأحلى من العسل ـ وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا »** (١٠٣٤) .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله ﷺ : **(حوضى مسيرة شهر)** ، زاد مسلم والإسماعيلي وابن حبان في روايتهم من هذا الوجه «وزواياه سواء » ، وهذه الزيادة تدفع تأويل من جمع بين مختلف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول ، وقد اختُلف في ذلك اختلافا كثيرًا ، فوقع في حديث أنس **«كما بين أيلة وصنعاء من اليمن »** (١٠٣٥) ، وأيلة مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام ، وفي حديث أبي هريرة : **«أبعد من أيلة إلى عدن»** ، وعدن بلد مشهور على ساحل البحر أواخر سواحل اليمن ، وفي حديث أبي ذر **«ما بين عُمان إلى أيلة»** (١٠٣٦) ، وعُمان بلد على ساحل البحر من جهة البحرين ، وفي حديث أبي بردة عند ابن حبان **«ما بين ناحيتي حوض كما بين أيلة وصنعاء مسيرة شهر »** ، وهذه الروايات متقاربة لأنها كلها نحو شهر أو تزيد أو تنقص ، ووقع في روايات أخرى التحديد بما هو دون ذلك ، فوقع في حديث عقبة بن عامر **«كما بين أيلة إلى الجُحفة»**(١٠٣٧) ، وفي حديث جابر **«كما بين صنعاء إلى المدينة »** ، وفي حديث ثوبان **«ما بين عدن وعمان البلقاء »** ، وعمان هذه بفتح المهملة وتشديد الميم وتنسب إلى البلقاء لقربها منها ، والبلقاء : بلدة معروفة من فلسطين ، وهذه المسافات متقاربة ، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلاً أو تنقص ، وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف ، فقال عياض : هذا من اختلاف التقدير ، لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابًا من الرواة ، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة ، وكان النبي ﷺ يضرب في كل منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة ، ويقرِّب ذلك للعلم ببعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض لا على إرادة المسافة المحققة ، قال : فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى » (١٠٣٨) .

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله ﷺ : **(كيزانه كنجوم السماء)** وفي رواية **(فيه أباريق كنجوم السماء)** ، وفي رواية **(والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء)** وفي رواية **(كأن الأباريق فيه كالنجوم)** ، المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره ، وأنها أكثر عددًا من نجوم السماء ، ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك ، بل ورد الشرع به مؤكدًا كما قال ﷺ : **«والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء »** (١٠٣٩) .

وقد اختص الله نبيه ﷺ بهذا الحوض ، دون سائر الأنبياء .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : «قد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض ، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه : **«إن لكل نبي حوضًا»** ، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله ، وأن المرسل أصح ، وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه ، فإنه لم ينقل نظيره لغيره ، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة » (١٠٤٠) يعني سورة الكوثر.

(١٠٣٤) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٥٧٩) ، ومسلم في «الفضائل» ، (٢٢٩٢) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١٠٣٥) رواه البخاري (٢٥٨٠) ، ومسلم (٢٣٠٣) .

(١٠٣٦) رواه مسلم (٢٣٠٠) .

(١٠٣٧) رواه مسلم (٢٢٩٦) ، والجحفة : قرية بالقرب من المدينة .

(١٠٣٨) «فتح الباري (١٣/ ٧٩٩١) ، ط المكتبة العصرية ، باختصار .

(١٠٣٩) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٥١ ـ ٥٢) .

(١٠٤٠) «فتح الباري» (١٣/ ٧٩٨٦ ـ ٧٩٨٧) باختصار يسير .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الكوثر هو الحوض ، وا ستدلوا بما رواه م سلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال : «بينا ر سول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ ، قال : «أنزلت عليَّ آنفًا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ ، ثم قال : **أتدرون ما الكوثر ؟** ، فقلنا: الله ورسوله أعلم ، قال : «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء**» (١٠٤١) .

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الكوثر نهر في الجنة أعطيه ر سول ﷺ ، والكوثر في اللغة : المفرط في الكثرة ، وقد و صف الله النهر بالكثرة لعظيم قدره (١٠٤٢) .

قال الفخر الرازي ـــ رحمه الله -: «الكوثر في اللغة : فوعل من الكثرة ، وهو المفرط في الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر : بم آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر ، أي بالعدد الكثير ، ويقال للرجل الكثير العطاء : كوثر ، قال الكميت :

وأنت كثير يا بن مروان طيب ... وكان أبوك ابن الفضائل كوثرًا

ويقال للغبار إذا سطع وكثر : كوثر ، هذا معنى الكوثر في اللغة .

واختلف المفسرون فيه على وجوه :

الأول : وهو المشهور المستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة .

القول الثاني : أنه حوض ، والأخبار فيه مشهورة ، ووجه التوفيق بين هذا القول، والقول الأول ، أن يقال : لعل النهر ينصب في الحوض ، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض ، فيكون الحوض كالمنبع » (١٠٤٣) .



(١٠٤١) رواه مسلم في «الصلاة» (٤٠٠) ، باب حجة من قال :البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة .

(١٠٤٢) انظر تفسير الطبري (٣٠/ ٣٢٣) ط دار الفكر .

(١٠٤٣) التفسير الكبير (٣٢/ ٣١٣) ط دار إحياء التراث العربي .

وفاة الرسول ﷺ

قبل وفاة الرسول ﷺ ، ووداعه لأمته وقعت أحداث علم النبي ﷺ منها أن أجله قد اقترب ، وأنه أوشك على مفارقة الدنيا ، فمن ذلك :

■ نزول سورة النصر على رسول الله ﷺ ■

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر : ١] ، دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال : **«إنه قد نعيت إليَّ نفسي»** ، فبكت ، فقال لها : **«لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي»** ، فضحكت ، فرآها بعض أزواج النبي ﷺ فقالت لها : رأيناك بكيت ثم ضحكت ، فقالت : إنه قال لي : **« نعيت إليَّ نفسي»** فبكيت ، فقال : **«لا تبكين فإنك أول أهلي لحوقًا بي فضحكت»** [١٠٤٤] .

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما : هل كان يعلم ر سول الله ﷺ متى يموت [١٠٤٥] ؟ قال : نعم، قيل: ومن أين ؟ قال : إن الله تعالى جعل علامة موته في هذه السورة : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر:١] ، يعني فتح مكة ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ ، ذلك علامة موته ، وقد كان نعي نف سه إلى فاطمة ر ضي الله عنها ، فإن المراد من هذه الـ سورة أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا ، فقد اقترب أجلك ، فتهيأ للقائنا بالتحميد والا ستغفار ، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الر سالة والتبليغ ، وما عندنا خير لك من الدنيا ، فاستعد للنقلة إلينا .

قال ابن عباس : لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله ﷺ نفسه ، فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة » [١٠٤٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر يدخلني مع أ شياخ بدر [١٠٤٧] ، فكأن بعضهم وجد[١٠٤٨] ، في نفسه فقال : لِمَ تدخلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله [١٠٤٩] ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعا ذات يوم ، فما رُئيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم . قال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لي : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ ، فقلت : لا ، قال : فما تقول : قلت : هو أجل ر سول الله ﷺ أعلمه له ، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ ، وذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك وا ستغفره إنه كان توابا ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول » [١٠٥٠] .

***

■ مدارسة جبريل ـ عليه السلام ـ النبي ﷺ بالقرآن مرتين ■

كان جبريل ـ عليه السلام ـ يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن في كل عام مرة ، وفي العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ ، عارضه جبريل ـ عليه السلام ـ بالقرآن مرتين ، فعلم النبي ﷺ أجله قد اقترب .

(١٠٤٤) **حسن** : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٠٧) وفي «الأوسط» (٨٨٣) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٧) .

(١٠٤٥) يعني هل كان يعلم بقرب انتهاء أجله ؟

(١٠٤٦) **حسن** : رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٠٣) وفي «المعجم الأوسط» (١٩٩٦) .

(١٠٤٧) أي من شهد غزوة بدر من المهاجرين والأنصار .

(١٠٤٨) وجد : أي غضب .

(١٠٤٩) يعنون أن لهم أبناء في مثل سن ابن عباس ، ولا يصطحبونهم في هذه المجالس .

(١٠٥٠) رواه البخاري في «التفسير» (٤٩٧٠) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال : **«مرحبًا يا بنتي»** ، فأجلسها عن يمينه ، ثم إنه أسر إليها حديثًا فبكت فاطمة ، ثم سارها فضحكت أيضًا ، فقلت لها : ما يبكيك ؟ ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن ، فقلت لها حين بكت : أخَصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين ، و سألتها عمَّا قال : فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها فقالت : إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة ، وإنه عارضه به في العام مرتين : **«ولا أُراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقًا بي ونعم السلف أنا لك »** ، فبكيت لذلك ، ثم إنه سارني فقال : **«ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة»** ، فضحكت لذلك » (١٠٥١) .

■ تخيير الرسول ﷺ بين البقاء في الدنيا أو لقاء ربه ■

خيَّر الله ـ عز وجل ـ رسوله ﷺ بين البقاء في الدنيا أو لقائه ، فحينئذ علم النبي ﷺ أن أجله قد اقترب ، وأنه أوشك على مفارقة الدنيا .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : **«إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده »** ، فبكى أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له ، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا به » (١٠٥٢) .

وفي رواية قال : «خرج إلينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس ، فقام على المنبر فقال : **«إن عبدًا عُرضت عليه الدنيا وزينتها ، فاختار الآخرة »** ، قال : فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر ، فقال : بأمي وأمي، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا . قال : ثم هبط عن المنبر ، فما رئي عليه حتى الساعة » (١٠٥٣) .

قال الإمام العيني ـ رحمه الله ـ : «قوله : هو المخير بفتح الباء ، أي خير الله رسوله بين البقاء في الدنيا ، ورحلته إلى الآخرة » (١٠٥٤) .

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «كان أبو بكر رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ هو العبد المخير ، فبكى حزنًا على فراقه ، وانقطاع الوحي وغيره من الخير دائمًا ، وإنما قال ﷺ إن عبدًا ، وأبهمه لينظر فهم أهل المعرفة، ونباهة أصحاب الحذق » (١٠٥٥) .

وعن أبي مويهبة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة إلى البقيع ، فاستغفر لأهل البقيع وقال : **«ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضًا، يتبع آخرها أولها ، والآخرة شر من الأولى ، ثم قال : «يا أبا مويهبة إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ، فاخترت لقاء ربي والجنة» ، ثم انصرف فابتدأه وجعه الذي قبضه الله فيه »** (١٠٥٦) .

قال البيهقي ـ رحمه الله ـ: «مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ هذه السورة ـ يعني سورة النصر ـ فكانت علامة لاقتراب أجله ، وعارضه جبريل ـ عليه السلام ـ بالقرآن في ذلك العام مرتين ، فكانت علامة أخرى لأجله ، وخيَّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، فكانت علامة أخرى لأجله ، فأدّى كل واحد من الرواة ما سمع»(١٠٥٧) .

(١٠٥١) رواه البخاري في «الاستئذان» (٦٢٨٦) باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه . ومسلم في «الفضائل» (٢٤٥٠) باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ، واللفظ له .

(١٠٥٢) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٣٩٠٤) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة . ومسلم في «الفضائل» (٢٣٨٢) باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(١٠٥٣) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٩١) ، والدارمي (٧٧) ، والحاكم (٤/ ٢٨٢) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(١٠٥٤) «عمدة القاري» (١٤/ ٢٥) ط البابي الحلبي بالقاهرة .

(١٠٥٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٥٠) ط دار إحياء التراث العربي .

(١٠٥٦) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤٧/ ٨٧٢) ، والدارمي (٨٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٢) ، والحاكم (٣/ ٤٤ ـ ٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي .

(١٠٥٧) «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٧) باختصار يسير .

■ مرض رسول الله ﷺ ■

بعد أن فرغ الرسول ﷺ من حجة الوداع ، ذهب إلى المدينة ، فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفرًا ، وقام بتجهيز جيش أسامة بن زيد ﷺ ، وذهب و صلى على شهداء أحد ، فعن عقبة بن عامر ﷺ قال : « صلي ر سول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : **«إني بين أيديكم فَرَط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها »** ، قال : فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ »(١٠٥٨) .

قال ابن حجر ـــ رحمه الله ـ: قوله : (كالمودع للأحياء والأموات) توديع الأحياء ظاهر ، لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ ، وأما توديع الأموات فيحتمل أن يكون الصحابي أراد بذلك انقطاع زيارته للأموات بجسده ، لأنه بعد موته وإن كان حيًا فهي حياة أخروية لا تشبه الحياة الدنيا ، والله أعلم »(١٠٥٩) .

ثم ابتدأ المرض برسول الله ﷺ ليالٍ بقين من صفر ، قيل: في الثاني والعشرين منه، وقيل : في التاسع والعشرين ، وهو قول الأكثر ، وذلك بعد رجوعه من زيارة أهل البقيع ، وكان أول ما آلمه ﷺ صداع في رأسه ، ولما اشتد المرض عليه استأذن نساءه أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة فأذنَّ له .

عن عائشة ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : **«بل أنا والله يا عائشة وا رأساه »** ، قالت : ثم قال : **«وما ضرك لو متِ قبلي فقمت عليك وكفنتك**(١٠٦٠) **، وصليت عليك ، ودفنتك ؟ »** .

قالت : قلت : والله لكأني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه(١٠٦١) ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به(١٠٦٢) وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يُمَرَّض في بيتي فأذنَّ له ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصبًا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي .

قال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس فقال : أتدري من الرجل الآخر ؟ هو علي ابن أبي طالب»(١٠٦٣) .

(١٠٥٨) رواه البخاري في «المغازي» (٤٠٤٢) باب غزوة أحد . ومسلم في «الفضائل» (٢٢٩٦) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(فائدة) ذهب جمع من أهل العلم إلى أن المراد بصلاة النبي ﷺ على شهداء أحد بمعنى الدعاء لهم ، لما ورد في البخاري (١٣٤٣) عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ لم يصل على شهداء أحد . وقد جمع ابن القيم رحمه الله بين هذه الأحاديث فقال : «الصواب في هذه المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها لمجيء الآثار بكل واحد= =من الأمرين، وهذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وهي الأليق بأصوله ومذهبه » . ا هـــ «تهذيب السنن» (٤/ ٢٩٥) . وذهب الشوكاني إلى أن الأحاديث المثبتة للصلاة على الشهيد تقدم على الأحاديث النافية، لأن المثبت مقدم على النافي . وقال الألباني : «لا شك أن الصلاة عليهم أفضل من الترك إذا تيسرت لأنها دعاء وعبادة » . اهـ «أحكام الجنائز» (ص٨٣) .

(١٠٥٩) «فتح الباري» (٨/ ٤٦٦٢) ط المكتبة العصرية ، بيروت .

(١٠٦٠) هذا يدل على أن المرأة يغسلها زوجها إذا ماتت ، وهي تغسله كذلك ، لقول عائشة : «لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسَّل رسولَ الله ﷺ إلا نساؤه » [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند حسن] .

وقد أو صى أبو بكر ﷺ أن تغسله أسماء زوجته ، فغسلته ، وغسَّل على بن أبي طالب زوجته فاطمة . رواه الشافعي والدارقطني وأبو نعيم والبيهقي بسند حسن . قال الشوكاني : «ولم يقع من سائر الصحابة إنكار على عليٍّ وأسماء فكان إجماعًا » . اهـ «نيل الأوطار» (٤/ ٣٧) .

(١٠٦١) من أعرس بالمرأة إذا بنى بها أو غشيها .

(١٠٦٢) قال ابن الأثير في «النهاية» : استعز به المرض واستعز عليه إذا اشتد عليه وغلبه .

(١٠٦٣) **صحيح** : رواه أحمد (٦/ ٢٢٨) ، وابن ماجه (١٤٦٥) وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤/ ٢٠١) والدارمي (٨٠) والنسائي في «الوفاة» (٣) ، والدارقطني (٢/ ٧٤) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٩٦) ، وفي «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٩) . وروي البخاري بعضه (٤٤٤٢) .

ثم ا شتد المرض على النبي ﷺ في بيت عائ شة ﵂ ، وأ صابته حمى شديدة ، يقول ابن مسعود ﵁ : « دخلت على ر سول الله ﷺ ، وهو يوعك فمســـتـه بيـدي ، فقـلـت: يـا رســـول الله إنـك لـتـوعـك وعـكـا شـــديـدًا ، فـقـال رســـول الله ﷺ : **«أجـل إني أو عك(١٠٦٤) كما يوعك رجلان منكم»** ، قال: فقلت : ذلك أن لك أجرين ، فقال رسول الله ﷺ: **«أجل»** (١٠٦٥) .

وقال أبو سعيد الخدري ﵁ : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك ، فو ضعت يدي عليه ، فوجدت حرَّه بين يدي فوق اللحاف ، فقلت : يا ر سول الله ما أشدها عليك ، قال: **«إنا كذلك يُضَّعف لنا البلاء ، ويضعف لنا الأجر»** ، قلت : يا ر سول الله أي الناس أ شد بلاءً ؟ ، قال: **«الأنبياء »** ، قلت : يا رسـول الله ثم من ؟ ، قال : **«الصـالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يُحَوِّيها (١٠٦٦)، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء »** (١٠٦٧) .

وعن عبيد الله بن عبد الله (١٠٦٨) قال : دخلت على عائشة فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض ر سول الله ﷺ ؟ ، قالت : بلى ، ثَقُلَ النبي ﷺ ، فقال : **«أَصَـلَّى الناسُ ؟ »** ، قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسـول الله ، قال : **«ضـعوا لي ماءً في المِخضـب»** (١٠٦٩) ففعلنا ، فاغتسـل ، ثم ذهب لينوءَ (١٠٧٠) فأغمى عليه، ثم أفاق ، فقال: **«أَصَلَّى الناسُ؟ »** قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال: **«ضعوا لي ماءً في المخضب»** ، ففعلنا، فاغتسل (١٠٧١) ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال: **«أَصَلَّى الناسُ؟»**، قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : **«ضعوا لي ماءً في المخضب»** ، ففعلنا ، فاغتســل ، ثم ذهب لينوءَ فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : **«أَصَـلَّى الناس ؟ »** ، فقلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسـول الله ، قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول ، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس ، فقال : أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقًا ـ : يا عمر صل بالناس (١٠٧٢) ، قال : فقال عمر : أنت أحق بذلك ، قالت : فصلى بهـم أبـو بـكـر تـلـك الأيـام ، ثـم إن رســـول الله ﷺ وجـد مـن نـفسـه خـفـة فـخـرج بـيـن رجـلـيـن أحـدهـما العباس (١٠٧٣) لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ ألاَّ يتأخر وقال لهما : **«أجلساني إلى جنبه»** فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، وكان أبو بكر يُصَلِّي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، والنبي ﷺ قاعد» (١٠٧٤) .

(١٠٦٤) الوعك : الحمى ، وقيل ألمها .

(١٠٦٥) رواه البخاري (٥٦٤٧) ، ومسلم (٢٥٧١) .

(١٠٦٦) في «النهاية» : التحوية : أن يدير كساء حول سنام البعير ثم يركبه .

(١٠٦٧) **صـحيح** : رواه أحمد (٣/ ٩٤) وابن ماجه (٤٠٢٤) وأبو يعلي(١٤٤) وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١) والحاكم (٤/ ٣٠٧) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(١٠٦٨) هو : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أحد الفقهاء السبعة .

(١٠٦٩) المخضب : إناء نحو المركن الذي يغتسل فيه ، وتغسل فيه الثياب .

(١٠٧٠) ذهب لينوء : أي يقوم وينهض .

(١٠٧١) قال النووي : حمل القاضي عياض الغسل هنا على الوضوء من حيث إن الإغماء ينقض الوضوء، ولكن الصواب أن المراد غسل جميع البدن ، فإنه ظاهر اللفظ ، ولا مانع يمنع منه ، فإن الغسل مستحب من الإغماء.

(١٠٧٢) إنما قال أبو بكر ﵁ ذلك لأنه خشي ألا يُسمع الناس قراءته من كثرة البكاء . وقيل : يحتمل أن يكون ﵁ فهم من الإمامة الصغرى الإمامة الكبرى ، وعلم ما في تحملها من الخطر ، وعلم قوة عمر ﵁ على ذلك فاختاره ، ويؤيده أنه عند البيعة أشار أبو بكر على الناس أن يبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ﵄ .

(١٠٧٣) والثاني هو علي بن أبي طالب ﵁ .

(١٠٧٤) رواه البخاري (٦٨٧) ، ومسلم (٤١٨) .

وعن عائشة ﵂ قالت : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : **«يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر** (١٠٧٥) **، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبْهَري**(١٠٧٦) **من ذلك السم»**(١٠٧٧) .

وعن أم مبشر ﵂ قالت : دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبض فيه ، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك ؟ فإني لا أتهم إبني إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر ـ وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي ﷺ ـ فقال رسول الله ﷺ : **«وأنا لا أتهم غيرها ، هذا أوان انقطاع أبهري »** (١٠٧٨) .

■ الرسول ﷺ ساعة الاحتضار ■

عن عائشة ﵂ : «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث (١٠٧٩) على نفسه بالمعوذات (١٠٨٠) ، ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعَهُ الذي توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»(١٠٨١) .

ولمسلم : «جعلت أنفث عليه أمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي » (١٠٨٢) .

وعنها ﵂ قالت : إن من نِعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفِّي في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونحري (١٠٨٣) ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته . دخل عليَّ عبد الرحمن بن أبي بكر ، وبيده السواك ، وأنا مسندةٌ رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت : أليِّنُه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمَرَّه (١٠٨٤) ، وبين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : **«لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات »** (١٠٨٥) وفي رواية : **«اللهم أعني على سكرات الموت»** .

وعن أنس بن مالك ﵁ : «أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفى فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة (١٠٨٦) ، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك ، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ ،

(١٠٧٥) قال ابن إسحاق كما في «الفتح» (٨/ ٤٨٤٨) : «لما اطمأن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ قيل لها : الذراع، فأكثرت فيها من السم ، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها ، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته .. وأن بشر بن البراء مات منها » .

(١٠٧٦) الأبهر : عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه .

(١٠٧٧) صحيح : رواه البخاري تعليقًا (٤٤٢٨) ، ووصله الحاكم (٣/ ٥٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٧٢) والبزار كما في «فتح الباري » .

(١٠٧٨) **صحيح** : رواه أحمد (٦/ ١٨) وعبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨١٥) ، وأبو داود (٤٥١٣) ، والحاكم (٣/ ٢١٩) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(١٠٧٩) النفث : هو النفخ مع رذاذ خفيف .

(١٠٨٠) **قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ:** «المراد بالمعوذات سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، وجمع إما باعتبار أن أقل الجمع اثنان ، أو باعتبار أن المراد الكلمات التي يقع التعوذ بها من السورتين ، ويحتمل أن المراد بالمعوذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص ، وأطلق ذلك تغليبًا ، وهذا هو المعتمد » . اهـ .

(١٠٨١) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٣٩) باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(١٠٨٢) رواه مسلم في «الطب» (٢١٩٢) باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

(١٠٨٣) السحر : الصدر ، والنحر : موضع القلادة من الصدر .

(١٠٨٤) أمَرَّه : أي أمره على أسنانه فاستاك به .

(١٠٨٥) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٤٩) باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(١٠٨٦) في رواية أخرى (٤٤٤٨) : «أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين » .

فنكص أبو بكر على عقبيه ليصِلَ الصف ، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم ، وأرخى الستر ، فتوفى من يومه »[١٠٨٧] .

***

■ آخر وصايا النبي ﷺ قبل الموت ■

عن أم سـلمة ﵂ : أن النبي ﷺ كان يقول في مرضـه الذي توفى فيه : «**الصـلاة الصـلاة وما ملكت أيمانكم** » فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه »[١٠٨٨] .

وقوله ﷺ : «**الصلاة الصلاة**» بالنصب ، بتقدير : أقيموها ، أو راعوها واحفظوها .

وقوله : «**وما ملكت أيمانكم**» ، قيل : أراد المماليك ، وقرنهم بالصلاة ليعلم أن القيام بمقدار حاجتهم من النفقة والكسوة واجب على من ملكهم وجوب الصلاة التي لا سعة في تركها .

وقيل : أراد به الزكاة ، لأن القرآن والحديث إذا ذكر فيهما الصلاة ، فالغالب ذكر الزكاة بعدها.

وأما قول أم سلمة : «فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه» أي ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه .

وعن عائشـة وابن عباس﵃ قالا : «لما نزل[١٠٨٩] برسـول الله ﷺ طفق [١٠٩٠] يطرح خميصـة [١٠٩١] له على وجهه ، فإذا اغتم كشـفها عن وجهه وهو كذلك يقول : «**لعنة الله على اليهود والنصارى**[١٠٩٢] **اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا** [١٠٩٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللهﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» ، قالت : فلولا ذاك لأُبرز قبْره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا »[١٠٩٤] .

وعن جُنْدب ﵁ قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[١٠٩٥]وهو يقول : «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصـالحيهم مسـاجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »** [١٠٩٦] .

(١٠٨٧) رواه البخاري في «الأذن» (٦٨٠) باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .

(١٠٨٨) **صـحيح** : رواه ابن ماجة (١٦٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٠ و ٣٥١) والنسـائي في «الكبري» (٧٠٩٧) ، وفي «الوفاة» (٢٢) ، ورواه أحمد (١/ ٧٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨) ، وأبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨) وأبو يعلي (٥٩٦) ، عن علي بن أبي طالب ط .

(١٠٨٩) نزل :أي لما حضرت المنية والوفاة .

(١٠٩٠) طفق : أي شرع وجعل .

(١٠٩١) خميصة : كساء له أعلام .

(١٠٩٢) **قال ابن حجر** : « ا ستشكل ذكر النصارى فيه ، لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى عليه السلام وبين نبيناﷺ نبي غيره وليس له قبر – لأنه رفع إلى السـماء حيًا – ، والجواب : أنه كان فيهم أنبياء أيضًـا لكنهم غير مرسـلين كالحواريين ومريم في قول ، أو الجمع في قوله (أنبيائهم) بإزاء الجموع من اليهود والنـصارى ، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء ، ويؤيده قوله في رواية مـسلم من طريق جندب : « كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » ا هـ « فتح الباري » (١/ ٥٣٣) .

(١٠٩٣) رواه البخاري في«المغازي» (٤٤٤٣ و ٤٤٤٤) باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ومسـلم في «الصـلاة» (٥٣١) باب النهي عن بناء المسـاجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

(١٠٩٤) رواه البخاري (٤٤٤١) ، ومسلم (٥٢٩) .

(١٠٩٥) أي خمسة أيام .

(١٠٩٦) رواه مسلم (٥٣٢) .

وهذه الوصية العظيمة من النبي ﷺ وهو على فراش الموت كانت حماية لجناب التوحيد وسد ذرائع الشرك، لأن وجود الأضرحة داخل المساجد قد يحمل بعض الناس على الغلو في أصحاب هذه الأضرحة ، ولذا لم يكتف النبيﷺ بالنهي عن بناء المساجد على الأضرحة ، بل كان يأمر بتسوية القبور المرتفعة عن الأرض لئلا يفتتن الناس بها ، كما في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي (١٠٩٧) ، قال : قال لي علي بن أبي طالب ﷺ : «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا (١٠٩٨) إلا سويته » (١٠٩٩) .

قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ: «وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث لا يرتفع على القدر المشروع واجبة محتمة ، فمن إشراف القبور أن يرتفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد ، فإن ذلك من المنهي عنه بلا شك ولا شبهة » (١١٠٠) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين أهل العلم المعروفين ، وتُكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب (١١٠١) ، لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك » (١١٠٢) .

ومسألة هدم الأضرحة أو إخراجها من المساجد هي مسؤولية ولاة الأمور ، ولا يجوز لآحاد الرعية فعل ذلك درءًا للفتنة .

***

■ آخر ما تكلم به النبي ﷺ ■

عن عائشة ﷺ قالت : «كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر ، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : **«اللهم الرفيق الأعلى»** (١١٠٣) فقلت : إذًا لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح ، قالت : فكان آخر كلمة تكلم بها : **«اللهم الرفيق الأعلى »** (١١٠٤) .

وفي رواية قالت : سمعت النبي ﷺ في مرضه الذي فيه وأخذته بحة يقول : ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩] (١١٠٥) .

وفي رواية : **«اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق»** (١١٠٦) .

وفي رواية قالت : «أغمى على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري ، فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء ، فلما أفاق قال : «**بل أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل »** (١١٠٧) .

(١٠٩٧) هو : حيان بن حصين ، أبو الهياج الأسدي ، تابعي ثقة ، كان رئيس شرطة علي بن أبي طالب ﷺ .

(١٠٩٨) المشرف : هو الذي ارتفع بناؤه . ومعنى سويته : هدمته .

(١٠٩٩) رواه مسلم في «الجنائز» (٩٦٩) ، باب الأمر بتسوية القبر .

(١١٠٠) «شرح الصدور» (ص١٤) .

(١١٠١) أي المذهب الحنبلي .

(١١٠٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٦٩) .

(١١٠٣) الرفيق : المكان الذي تحصل فيه المرافقة . والمراد بالرفيق الأعلى : الجنة .

(١١٠٤) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٦٣) باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ .

(١١٠٥) رواه البخاري (٤٤٣٥) ، ومسلم (٢٤٤٤) .

(١١٠٦) رواه البخاري (٤٤٤٠) ، ومسلم (٢٤٤٤) .

(١١٠٧) **صحيح** : رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٠٥) وفي «الوفاة» (٢٨) ، وابن حبان (٦٥٩١ ـ إحسان).

وعن أنس ﷺ قال : لما ثقل النبي ﷺ جعلَ يتغشّاهُ ، فقالت فاطمة ـــ رضي الله عنها : واكربَ أباه ، فقال لها : «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم ..**» (١١٠٨) .

قال ابن حجر ـــ رحمه الله -: «يستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة عليها السلام «واكرب أباه» وأنه ليس من النياحة ، لأنه ﷺ أقرها على ذلك » (١١٠٩) .

ولما فاضت روحه ﷺ خرجت معها رائحة طيبة ، قالت عائشة ﷺ : «قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري ، قالت : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها » (١١١٠) .

وكانت وفاته ﷺ في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر للهجرة(١١١١) .

وقد استمر مرضهﷺ عشرة أيام ، وقيل اثنا عشر يومًا ، وقيل أربعة عشر يومًا ، والله أعلم .

وكان عمره ﷺ حين وفاته ثلاثًا وستين سنة فعن عائشة ﷺ : «أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاثٍ وستين »(١١١٢) .

«ولمّا توفى ﷺ اضـــطرب المســـلمون ، فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لســـانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال : إنما بُعث إليه كما بُعث إلى موســـى ، وكان من هؤلاء عمر بن الخطاب ﷺ» (١١١٣) ولما علم أبو بكر ﷺ بموت النبي ﷺ : «أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح (١١١٤) ، حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم (١١١٥) ، رسول الله ﷺ وهو مُغشًّـى بثوب حبرة ، فكشـف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبّله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتتين (١١١٦) ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها »(١١١٧) ثم خرج أبو بكر ﷺ ، وعمر ﷺ يكلم الناس، يقول لهم : ما مات رســـول الله ﷺ ، فقال أبو بكر لعمر : «اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعدُ من كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

(١١٠٨) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٦٤) باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(١١٠٩) «فتح الباري » (٨/ ٥٠٦١) ط المكتبة العصرية .

(١١١٠) **صحيح** : رواه أحمد (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢) والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢١٣) .

(١١١١) قيل كان أوله ، وقيل ثانيه وقيل ثاني عشر وقيل ثالث عشر وقيل خامس عشر ورجح ابن حجر أنه اليوم الثاني من ربيع الأول .

(١١١٢) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٦٦) ، ومسلم في «الفضائل» (٢٣٤٩) .

(١١١٣) «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي (١/ ١٨٠) .

(١١١٤) السنح : موضع بحوالي المدينة .

(١١١٥) تيمم : أي قصد .

(١١١٦) قال ابن حجر : «أشـار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سـيحيا فيقطع أيدي رجال ، لأنه لو صـح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى ، فأخبر أنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، وكالذي مّر على قرية » . اهـــ «فتح الباري» (٣/ ١٣٨) ط الريان .

(١١١٧) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٥٢ و ٤٤٥٣) .

قال الله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، قال عمر : والله ما هو إلا أن سـمعت أبا بكر تلاها فعَقِرتُ (١١١٨) حتى ما تقلني رجلاي (١١١٩) ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات » (١١٢٠) .

■ كيف غُسِّل النبي ﷺ ■

عن عائ شة ﵂ قالت : «لمّا أرادوا غ سل ر سول الله ﷺ اختلفوا فيه ، فقالوا : ما الله ما ندري أنجرد ر سول الله ﷺ كما نجرد موتانا أو نغ سله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم » (١١٢١) .

وكان غسله ﷺ يوم الثلاثاء، وغسَّله العباس بن عبد المطلب وابناه الفضل وقثم ، وعلي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، و شقران مولى ر سول الله ﷺ ، وأوس بن خولي الأنصاري ﵃ ، وكان أسامة وشقران﵄ يصبان الماء (١١٢٢) .

■ كيف كُفِّن النبي ﷺ ■

عن عائشة ﵂ قالت : «كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية (١١٢٣) من كرسف (١١٢٤) ليس فيها قميص ولا عمامة » (١١٢٥) .

قال المباركفوري ـ رحمه الله ـ: «قولها : ليس فيها قميص ولا عمامة » ، فيه دليل على أن القميص ليس مستحبًا في الكفن ، وهو قول الجمهور .

وقال مالك والحنفية باسـتحبابه ، وأجابوا عن قول عائشـة ﵂ : «ليس فيها قميص ولا عمامة» ، يحتمل بأنه نفى وجودهما ، ويحتمل أن يكون المراد نفي المعدود أي الثلاثة خارجة عن القميص والعمامة ، وهما زائدان ، وأن يكون معناه ليس فيها قميص جديد أو ليس فيها القميص الذي غسل فيه ، أو ليس فيها قميص مكفوف الأطراف ، ويجاب بأن الاحتمال الأول هو الظاهر» (١١٢٦) .

(١١١٨) عقرت : بفتح العين ، أي دهشت وتحيرت .

(١١١٩) أي ما تحملني .

(١١٢٠) رواه البخاري في «المغازي» (٤٤٥٤) عن ابن عباس ﵄ .

(١١٢١) **صـحيح** : رواه أحمد (٧/ ٢٦٧) وابن إسـحاق كما في سـيرة ابن هشـام (٤/ ٢١٦) ، والحاكم (٣/ ٥٩ ــ ٦٠) ، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٤٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(١١٢٢) انظر «جوامع السيرة النبوية» لابن حزم (ص٢١٠) .

(١١٢٣) هي ثياب بيض من القطن ، وهي منسوبة إلى سحول قرية باليمن .

(١١٢٤) الكرسف : القطن .

(١١٢٥) رواه البخاري في «الجنائز» (١٢٦٤) ، ومسلم في «الجنائز» (٩٤١) .

(١١٢٦) تحفة الأحوذي (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) .

■ كيفية صلاة الجنازة على النبي ﷺ ■

قال ابن إسحاق ــــ رحمه الله-: «فلما فُرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع في سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«ما قُبض نبيٌّ إلا دفن حيث يقبض»** (١١٢٧) ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفى عليه ، فحفر تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالاً (١١٢٨) ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد » (١١٢٩) .

قال ابن كثير ــــ رحمه الله -: «وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحدٌ عليه أمر مجمع عليه لا خلاف فيه ، وقد اختلف في تعليله ، وليس لأحد أن يقول : لأنه لم يكن لهم إمام ، لأنّا قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه ـ عليه السلام ـ بعد تمام بيعة أبي بكر ﷺ ، وقد قال بعض العلماء : إنما لم يؤمهم أحد ليباشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه ، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة : رجالهم ونساءهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء .

وأما الـ سهيلي فقال ما حا صله : إن الله قد أخبر أنه وملائكته يـ صلون عليه ، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يبا شر الـ صلاة عليه منه إليه (١١٣٠) ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل ، قال : وأيضًا فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة ، فالله أعلم » (١١٣١) .

■ كيف دفن النبي ﷺ ■

عن عائشة ﷺ قالت : «لمّا مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق (١١٣٢) ، حتى تكلموا في ذلك ، وارتفعت أصواتهم ، فقال عمر : لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حيًا ولا ميتًا ، فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعًا ، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ، ثم دفن ﷺ » (١١٣٣) .

وعن أنس ﷺ قال : «لما توفي رسول الله ﷺ كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح (١١٣٤) ، فقالوا : نستخير ربنا ونبعث إليهما ، فأيهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد ، فلحدوا للنبي ﷺ » (١١٣٥) .

قال النووي ـ رحمه الله -: «أجمع العلماء على أن الدفن في اللحد والشق جائزان ، ولكن إن كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل ، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل » (١١٣٦) .

(١١٢٧) **صحيح بطرقه** : رواه أحمد (١/ ٧) وعبد الرزاق في «المصنف» (٦٥٣٤) ، والترمذي (١٠١٨) وفي «الشمائل» (٣٧١ و ٤٧٨) وابن ماجه (١٦٢٨) وأبو يعلى (٢٢ و ٢٣ و ٤٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٣٦٦) .

(١١٢٨) أي فرادى .

(١١٢٩) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) .

(١١٣٠) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦].

(١١٣١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٦) باختصار يسير . ط مؤسسة التاريخ العربي .

(١١٣٢) اللحد : هو الشق في عرض القبر من جهة القبلة . والشق : هو الضريح ، وهو أن يحفر إلى أسفل كالنهر.

(١١٣٣) **صحيح** : رواه ابن ماجه في «الجنائز» (١٥٥٨) باب ما جاء في الشق .

(١١٣٤) يضرح : أي يدفن في الشق .

(١١٣٥) **صحيح** : رواه أحمد (٣/ ٩٩) ، وابن ماجه (١٥٥٧) .

(١١٣٦) «المجموع» (٥/ ٢٨٧) باختصار يسير .

وعن ابن عباس ﷺ قال : «دخل قبر النبي ﷺ : العباس وعلي والفضـــل ، وســـوّى لحده رجل من الأنصـــار [(١١٣٧)] ، وهو الذي ســـوّى لحود الشهداء يوم بدر » [(١١٣٨)] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ : «أن النبي ﷺ أُلحد ونصب عليه اللبن نصبًا ، ورفع قبره من الأرض نحوًا من شبر » [(١١٣٩)] .

وعن ابن عباس ﷺ قال : «جعل في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء » [(١١٤٠)] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : «هذه القطيفة ألقاها شقران مولى رسول الله ﷺ ، وقال: كرهت أن يلبسها أحد بعد رسول الله ﷺ ، وقد نص الشافعي وجميع أ صحابنا وغيرهم من العلماء على كراهة و ضع قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر ، و شذ عنهم البغوي من أ صحابنا فقال في كتابه «التهذيب» : لا بأس بذلك لهذا الحديث ، والصـــواب كراهته كما قال الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث بأن شـــقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه غيره من الصـحابة ولا علموا ذلك ، وإنما فعله شـقران لما ذكرناه عنه من كراهته أن يلبسـها أحد بعد النبي ﷺ ، لأن النبي ﷺ كان يلبسـها ويفترشها ، فلم تطب نفس شقران أن يستبدلها أحد بعد النبي ﷺ، وخالفه غيره ، فروى البيهقي عن ابن عباس أنه كره أن يجعل تحت الميت ثوب في قبره ، والله أعلم » [(١١٤١)] .

وذكر ابن عبد البر أن تلك القطيفة استخرجت قبل أن يهال التراب [(١١٤٢)] .

ودفن ﷺ في ليلة الأربعاء ، فعن عائشة ﷺ قالت : «توفى النبي ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء »[(١١٤٣)] .

وفي رواية قالت : «ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي[(١١٤٤)] من آخر الليل ، ليلة للأربعاء » [(١١٤٥)] ، وقد تأخر دفن النبي ﷺ لاختلاف الصحابة في تعيين مكان الدفن، ولدهشتهم بهذا الأمر الهائل ، والله أعلم .

■ ما أصاب الصحابة من غم بموت رسول الله ﷺ ■

عن أنس ﷺ قال : «لَمَّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضْنا أيدينا من التراب وإنّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا » [(١١٤٦)] .

وهذا تعبير عن اللوعة بفقد رسول الله ﷺ ، وأنها ساعة شديدة حتى أنكر الصحابة أنفسهم من شدة الحزن ، وانقطاع الوحي ، وفقد الصحبة .

(١١٣٧) هو : أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ﷺ .

(١١٣٨) **صحيح** : رواه البزار (٨٥٥) ، وابن حيان (٦٦٣٣) وابن الجارود (٢٦٨) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار » (٤/ ٤٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٥٤) .

(١١٣٩) **صحيح** : رواه ابن حبان (٦٦٣٥) .

(١١٤٠) رواه مسلم في «الجنائز» (٩٦٧) باب جعل القطيفة في القبر .

(١١٤١) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٣٢ ـ ٣٣) .

(١١٤٢) «تحفة الأحوذي » (٤/ ١٤٩) .

(١١٤٣) **حسن** : رواه أحمد (٦/ ١١٠) والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٠) .

(١١٤٤) المساحي : جمع مسحاة ، وهي مجرفة من حديد .

(١١٤٥) **حســـن** : رواه أحمد (٦/ ٦٢ و ٢٤٢ و ٢٧٥) وابن أبي شـــيبة (٣/ ٣٤٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٩٧) والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٥٦) .

(١١٤٦) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٦١٨) وفي «الشمائل» (٣٢٩) وأحمد (٣/ ٢١) و (٢٦٨) وابن حبان (٢١٦٢ ـــ موارد) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٧٤) ، والحاكم (٣/ ٥٧) وصححه ووافقه الذهبي .

وعن أنس ﷺ قال : «قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة ر سول الله ﷺ لعمر ، انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان ر سول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ما عند الله خير لرسـول الله ﷺ ، فقالت : ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسـوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها » (١١٤٧) .

■ ميراث النبي ﷺ ■

عاش النبي ﷺ زاهدًا في الدنيا ، ولم يتطلع إلى شيء من متاعها ، ولذلك لم يترك بعد موته درهمًا ولا دينارًا .

قالت عائشة ﷺ : «توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي ، فكِلْتُه (١١٤٨) ففنى » (١١٤٩) ،

وعنها ﷺ قالت : «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء » (١١٥٠) ، أي أنه لم يوص بثلث ماله ولا غيره إذ لم يكن له مال .

وعن عمرو بن الحارث ﷺ قال : «ما ترك ر سول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء (١١٥١) ، و سلاحه (١١٥٢) ، وأرضًا جعلها صدقة » (١١٥٣) .

قال ابن حجر ـ رحمه الله -: «قوله : (ولا عبدًا ولا أمة) أي في الرق ، وفيه دلالة على أن من ذكر من رقيق النبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات ، وإما أعتقه» (١١٥٤) .

وأما الأرض التي جعلها صدقة ، فهي حصة في أرض فدك (١١٥٥) ، وخيبر وبني النضير .

وقد جاءت فاطمة ﷺ إلى أبي بكر بعد توليه الخلافة تطلب منه ميراثها من رسـول الله ﷺ ، فقال لها أبو بكر ﷺ : إن رسـول الله ﷺ قال : **«لا نُورثُ ما تَركْنا صدقة »** (١١٥٦) .

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسـول الله ﷺ قال : **«لا يقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ، ومؤنة عاملي (١١٥٧) فهو صدقة »** (١١٥٨) .

قال النووي ــ رحمه الله - : «ليس المراد بهذا اللفظ ــ أي لا يقتسم ــ النهي لأنه إنما ينهى عما يمكن وقوعه ، وإرثه ﷺ غير ممكن ، وإنما هو بمعنى الإخبار ، ومعناه : لا يقتسمون شيئًا لأني لا أورث، هذا هو الصحيح المشهور من مذاهب العلماء في معنى الحديث » (١١٥٩) .

(١١٤٧) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٥٤) ، باب من فضائل أم أيمن .

(١١٤٨) أي وضعته في المكيال ، وفني : أي فرغ .

(١١٤٩) رواه البخاري في «فرض الخمس» (٣٠٩٧) باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته .

(١١٥٠) رواه مسلم في «الوصية» (١٦٣٥) باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به .

(١١٥١) اسمها دُلدُل .

(١١٥٢) من نحو سيف ورمح ومغفر وحربة الخ .

(١١٥٣) رواه البخاري في «الوصايا» (٢٧٣٩) .

(١١٥٤) «فتح الباري» (٦/ ٣٨٨٦) .

(١١٥٥) فدك : بفتح الفاء ، بلد بينها وبين المدينة نحو ثلاث مراحل .

(١١٥٦) رواه البخاري في «فرض الخمس» (٣٠٩٣) ، ومسلم في «الجهاد» (١٧٥٩) باب قول النبي ﷺ : «لا نورث ما تركنا فهو صدقة » .

(١١٥٧) قال ابن حجر: «المراد بالعامل في هذا الحديث : القيم على الأرض والأجير ونحوهما ، أو الخليفة بعده ﷺ ».

(١١٥٨) رواه البخاري في «الوصـايا» (٢٧٧٦) باب نفقة القيم للوقف ، ومسـلم في «الجهاد» (١٧٦٠) باب قول النبي ﷺ : **«لا نورث ما تركنا فهو صدقة »** .

(١١٥٩) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٧٣) .

الفهرس

